النهضة الحسينية

مصادر وأخبار
الأيام المدنية

السيد محمد حسن ترحيني
العاملي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

شبكة الفكر
alfeker.net

النهضة الحسينية

مصادر وأخبار
الأيام المدنية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

النهضة الحسينية

مصادر وأخبار الأيام المدنية

السيد محمد حسن ترحيني العاملي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدِنا ونبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مقدمـــة

- ١ -

شهادة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أهم الأحداث التي وقعت في القرن الأول الهجري.

وعُبِّر عنهـا في العصورِ المتأخرة بـ (ثورة الحسين) عليه السلام، وهو تعبير ليس في محله، لأن الثورة قيامٌ لإصلاح حالة سياسية شاذة، مع أن شهادة أبي عبد الله عليه السلام قيـامٌ لإصلاح مجتمعٍ قد ترَدَّتْ حالاته الفكرية والسياسية والسلوكية، فالأَولى تسميتُها بالنَّهضة.

- ٢ -

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، عينُه على اللوحِ المحفوظِ وقلبُه على الصراط المستقيم، فلا يشوبُ نهضتَه إحتمالُ الأنا، ولا احتمال الخطأ، ولا احتمال التقصير، ولا نزعة التسلط كما في ثوراتِ الكثير من بني البشر.

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، هو آخر أهل الكساء، المُجسِّد للإيمان الكامل، والعبودية التامة والفضائل الإنسانية، والمُحاط بدلالة القرآن على طهارته ووجوب محبته وإطاعته، ومُحاط بدلالة الأخبار

النبوية على إمامته مما أضفى على شخصيته قداسة الأنبياء.

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، ضد ابن ميسون المُجسِّد للكفر الكامل، والفسق والباطل والمجون مع دلالة القرآن على أنه من الشجرة الملعونة، ودلالة الأخبار على لعنه ولعن قومه.

- ٣ -

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، خرج بنفسه وعياله ونسائه وأطفاله، مع قلة الناصر وكثرة المُخاذل.

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، اشترك فيها العربي والرومي والمولى، والأبيض والأسود، والرجل والمرأة، والوالد والولد، والزوج والزوجة، والكبير والصغير حتى الرضيع، والصحابي والتابعي، والمُجسِّد للقيم القرآنية كبُرير، وللقيم الإنسانية كزُهير.

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، تجلّى فيها الكمال البشري القولي والفعلي في وقت واحد، مع أن الكمال البشري، القولي والفعلي، والفكري والنفسي والخلقي، والفردي والإجتماعي برز على صعيد الأنبياء في أوقات متفاوتة، وعلى يد كل نبي برز جانب، ولذا إذا عزفتِ الإنسانية نشيد الكمال متفرقاً على صعيد الأنبياء في أوقات متعددة فقد عزفت الإنسانية نشيد الكمال موحداً في وقت واحد وعلى يد معصوم واحد، فكان النَّهضة الحسينية.

- ٤ -

والنَّهضة الحسينية نهضة معصومٍ، كان الصراع فيها بين حقٍ مجردٍ عن القوة ضد القوة المجردة عن الحق، فلذا كانت معركة

العقائد والقيم والحقوق والواجبات، وكانت معركة المبادئ والأفكار، فلذا كثُر فيها الرمز وأُفعمت بالخصائص والأسرار ولم تكن معركة بين أفراد للغلبة العسكرية، بل معركة إستشهادية لإثبات مفاهيم قرآنية ونبوية، ومعركة إستشهادية لإبطال مفاهيم أموية ونفاقية.

- ٥ -

على رغم أهمية النَّهضة الحسينية، وعلى رغم كثرة ما كُتب فيها، فتبقى الحاجة ماسّة للكتابة فيها، فلا بد من الكتابة بموضوعية وشمولية عن أسبابها من جهة، وعن ماهيتها من جهةٍ ثانية، وعن أسرارها ورموزها وخصائصها من جهةٍ ثالثة، وعن نتائجها وما ترتب عليها من جهةٍ رابعة، وعن مواسمها ومراسمها وشعائرها المنصوصة في الأخبار.

وعن وقائعها ومجرياتها من جهةٍ خامسة، والجهة الخامسة هي الأساس في الجميع لأن الموضوعية تقتضي البحث عن وقائع النَّهضة أولاً ثم البحث عن أسبابها وخصائصها وغير ذلك من أمورها.

فاقتصرت في هذا الكتاب على الجهة الخامسة، مع ثبْتٍ للكتب التي تعرضت لمقتل أبي عبد الله الحسينعليه السلام ولذا قسّمتُ هذا الكتاب إلى قسمين، قسم في المصادر، وقسمٌ في الوقائع.

القسم الأول

مصادر النهضة الحسينية

البحث فيه عن الكتب المتضمِّنة لأخبار وقائع النَّهضة الحسينية، في كل قرن.

ولم تكن عادة القدماء قائمة على ذكر السنة التي يتم فيها تأليف الكتاب، وعلى فرض الذكر فهو أمر نادر، فلذا ننسب الكتاب ـ بحسب التصنيف التاريخي ـ تبعاً لسنة وفاة المؤلف.

ولم أعثر على من كتب في وقائع النَّهضة الحسينية وقد توفي في القرن الأول.

القرن الثاني

كتب جماعة في وقائع النَّهضة الحسينية في هذا القرن، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو القاسم: الأصبغ بن نباتة المجاشعي الحنظلي الكوفي.

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، بل من اجلائهم، ومن شرطة الخميس، وفي الذريعة ج٢٢ ص٢٣: (وعمر بعده طويل ـ كذا في المصدر ـ وتوفي بعد المائة).

وذكر له الشيخ الطوسي مقتل الحسين عليه السلام، حيث قال في الفهرست ص ٦٦: (وروى الدوري أيضاً عنه مقتل الحسين عليه السلام، عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن أحمد بن يوسف الجعفي، عن محمد بن يزيد النخعي، عن أحمد بن الحسين، عن أبي الجارود، عن الأصبغ، وذكر الحديث بطوله).

أقول: لم يصل إلينا هذا المقتل، وقال في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٤: (والظاهر أنه أول من كتب مقتل الحسين، وكتابه أسبق المقاتل).

٢ ـ أبو عبد الله: جابر بن يزيد الجُعفي:

من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، توفي سنة ١٢٨، ذكره النجاشي في كتابه تحت رقم ٣٣٢ فقال: (وله كتاب الفضائل، ... وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: لم يصل إلينا هذا المقتل.

٣ ـ أبو معاوية: عمار بن معاوية الدُّهَني:

توفي سنة ١٣٣. قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٠: (وثّقه أحمد، وابنُ معين، وأبو حاتم، والناس، ... وقال ابن عيينة: قطع بشر بن مروان عرقوبيه في التشيع).

يروي مقتل الحسين عليه السلام عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وقد أدرجه الطَّبري في تاريخه في حوادث سنة ٦١ للهجرة، وسنذكر تمامه عند البحث في أخبار النَّهضة الحسينية، وإن كان الخبر المذكور مجملاً لم يتعرض للكثير من التفاصيل.

٤ ـ أبو الحكم: عوانة بن الحكم بن عيّاض بن وزير بن عبد الحارث الكلبي.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١١٩ دار المعرفة: (من علماء الكوفيين، راويةٌ للأخبار، عالماً بالشعر والنَّسب، وكان فصيحاً ضريراً... وتوفي عوانة في سنة سبعٍ وأربعينَ ومائة، وله من الكتب: كتاب التاريخ، كتاب سيرة معاوية وبني أمية).

أقول: لم تصل إلينا كتبه، لكن الطَّبري في تاريخه نقل عن عوانة

تارة بواسطة هشام الكلبي ستة أخبار، وأخرى بواسطة غيره سبعة أخبار.

٥ ـ أبو مِخْنَف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

قال الذهبي عن وفاته في ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٤٢٠ (مات قبل السبعين ومائة)، وفي التاريخ العربي والمؤلفون ج ١ ص ١٧١ (توفي سنة ١٥٧)، وكذا في معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ ص ٦٧٧.

وأما حاله فقد قال الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ (لوط بن يحيى، أبو مخنف، أخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال مُرّة: ليس بشيءٍ، وقال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم).

وقال عنه النجاشي تحت رقم ٨٧٥: (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، ووجههم، وكان يُسْكَن إلى ما يرويه).

وقال عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج على ما في تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ٤٤ من باب اللام (وأبو مخنف من المُحدّثين، وممن يرى صحة الإمامة بالإختيار، وليس من الشيعة، ولا معدوداً من رجالها).

ومن نص ابن أبي الحديد يُعرف أن المراد بالتشيع في كلام العامة هو الميل إلى أهل البيت عليهم السلام، بخلاف الرفض فيُراد به عندهم الإعتقاد بإمامة الائمة الإثنى عشر عليهم السلام.

وعليه فأبو مخنف عامي يميل إلى آل البيت عليهم السلام، ولذا اقتصر النجاشي على توثيقه بأنه يُسْكَن إلى رواياته.

وقال ابن النديم في الفهرست ص ١٢٢: (وله من الكتب... كتاب مقتل الحسين عليه السلام... قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز: قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة، وقد اشتركوا في فتوح الشام).

وقال النجاشي تحت رقم ٨٧٥: (وصنف كتباً كثيرة منها:... كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

وقال الشيخ في الفهرست ص ١٥٩: (من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام على ما زعم الكشي، والصحيح أن أباه كان من أصحاب علي عليه السلام، وهو لم يلقه، له كتب كثيرة في السير، منها كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: مقتله لم يصل إلينا، والمطبوع المنسوب إليه قد اشتمل على غرائب تخالف السياق التاريخي ولا يعقل صدورها عن أبي مخنف، بالإضافة إلى أن بقية أخبار المطبوع تخالف أخبار أبي مخنف المروية في تاريخ الطَّبري، فلذا يجزم المتأمل بأن هذا المطبوع ليس له، وإنما هو لغيره قطعاً.

وأول من صرح بذلك الشيخ حسين النوري في كتابه اللؤلؤ والمرجان باللغة الفارسية ص ١٥٦ ـ ١٥٧، حيث قال ما مُعَرّبُه:

(أبو مخنف لوط بن يحيى، وهو من كبار المُحدثين، ومعتمد أرباب السير والتواريخ، ومقتله في نهاية الإعتبار، حسبما يعلم من نقل الأعاظم من علمائنا المتقدمين عنه وعن سائر مؤلفاته.

إلا أنه وللأسف الشديد أن النسخة الأصلية للمقتل والتي لا عيب فيها ليست بين أيدينا، والمقتل الموجود الآن بيننا المنسوب إليه مشتمل على بعض المطالب المُنْكَرة، المخالفة لإصول المذهب، ولا

بد أن الأعادي والجُهّال هم الذين أدخلوا تلك المطالب في ذلك الكتاب لأجل بعض الأغراض الفاسدة، ولذلك يسقط كتاب المقتل من الإعتبار فيما ينفرد بنقله مما لا يوثق به).

وظاهر كلامه أن منفردات المطبوع مما لا يصح الإعتماد عليها، وأما غيرها فيصح، ولعله حكم بذلك ظناً منه أنها موافقة لروايات أبي مخنف المنقولة في تاريخ الطَّبري، أولم يصل إليها يد التحريف والتزوير.

وهذا هو الظاهر من كلام تلميذه الطهراني في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٧ قال:

(مقتل أبي عبد الله الحسينعليه السلام لأبي مخنف... طبع على الحجر... ونسبته إليه مشهورة، لكن الظاهر أن فيه بعض الموضوعات، وقد حققه شيخنا النوري في اللؤلؤ والمرجان).

وهو الظاهر من كلام السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه: مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام ص ٤٢ حيث قال:

(ولا يخفى أن الكتاب المتداول في مقتلهعليه السلام، المنسوب إلى أبي مخنف، قد اشتمل على كثير من الأحاديث التي لا علم لأبي مخنف بها، وإنما هي مكذوبة على الرجل، وقد كثرت عليه الكذّابة، وهذا شاهد على جلالته)، نقلاً عن وقعة الطف للشيخ اليوسفي ص ٢٣، ولكن التقابل بين أخبار المطبوع وأخبار أبي مخنف الموجودة في الطَّبري يفيد أن يد التحريف قد وصلت إلى جميعها، فلا عبرة بالمطبوع بتمامه، وهذا ما صرح به المحدث القمي في الكنى والألقاب ج١ ص ١٥٥، حيث قال:

(أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم

الأزدي. . . وليعلم أن لأبي مخنف كتباً كثيرة في التاريخ والسير، منها كتاب مقتل الحسين عليه السلام، الذي نقل منه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه، ولكن للأسف أنه فُقد ولا يوجد منه نسخة، وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين، ومن أراد تصديق ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطَّبري وغيره عنه، حتى يعلم ذلك، وقد بيّنت ذلك في نَفَس المهموم في طرماح بن عدي، والله العالم).

وقال في مقدمة نَفَس المهموم ص ١٠:

(ولأبي مخنف كتب كثيرة في السير، منها كتاب مقتل الحسين عليه السلام، الذي ينقل عنه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه، ومن راجع تاريخ الطَّبري يعلم أن أكثر ما نقله في مقتل الحسين عليه السلام بل جُلّه أخذه من مقتل أبي مخنف.

وإذا تأمل إلى هذا المقتل المنسوب إليه وإلى ما نقله الطَّبري وغيره من المؤرخين منه ويقابلهما يعلم أن هذا المقتل ليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المُعْتَمدين، فعلى هذا إني لا أعتمد على ما تفرد بنقله).

وقال السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة مجلد ٤ ص ٦١٤ (وقع في مقتلٍ منسوب لأبي مخنف، وقد طبع مع الجزء العاشر من البحار، وطبع أيضاً في بمبئ ذكر أمورٍ ـ إلى أن قال ـ:

ولما تأملت بعض هذا المقتل المطبوع المنسوب إلى أبي مخنف علمتُ أنه ليس لأبي مخنف، وأنه منه برئ، وإنما ألفه رجلٌ ونسبه إلى أبي مخنف، وربما يكون فيه شيءٌ من مقتل أبي مخنف، بأن يكون هذا الرجل عَمَد إلى مقتل أبي مختف فمسخه وغيّره وحرّفه تحريفاً

قبيحاً، فزاد عليه ونقص منه وغيّر وبدّل، وأبو مخنف من رؤساء أهل الأخبار، وكلُ من ألَّف في التاريخ نقل عنه وأخذ منه، وأكثر ما في هذا المقتل لا يمكن صدوره من أبي مختف)

ولقد أجاد الشيخ اليوسفي في مقدمة كتابه (وقعة الطف لأبي مخنف) المأخوذ من تاريخ الطَّبري ص ٢٣، حيث قال عن مؤلف المقتل المطبوع:

(فمن المقطوع به أن الكتاب من جمع جامع غير أبي مخنف، ولا يُدرى من هو هذا الجامع ومتى جمعه؟ والذي يبدو لي أنه كان من العرب المتأخرين غير عارف بالتاريخ والحديث والرجال وحتى الأدب العربي، فإنه يستعمل في الكتاب كلمات هي من استعمال العرب المتأخرين باللغة الدارجة العامية).

فائدة: بعد عدم صحة إسناد المقتل المطبوع إلى أبي مخنف فالعمدة على ما اورده الطَّبري في تاريخه في حوادث ٦١ للهجرة عن أبي مخنف، ولذا قام الشيخ حسن الغفاري باستلال أخبار أبي مخنف من تاريخ الطَّبري، وطبعها باسم (مقتل الحسين)، وبعده الشيخ محمد هادي اليوسفي، وطبعها باسم (وقعة الطف)، وقد ذكر الأخير في المقدمة الكثير من الأغلاط الفاحشة الموجودة في المقتل المطبوع.

فائدة أُخرى:

نقل القندوزي في كتابه ينابيع المودة ج ٣ ص ٥٣ ـ ٩٥، في الباب الحادي والستين مقتل أبي مخنف، ولكن المُحقّق لهذا الكتاب في طبعته الأخيرة أشار في الهامش إلى المقتل بقوله:

(لما وجدنا هذه النسخة لا تتطابق مع النسخة الشائعة، ولا نسخة الطبري، تركناها على حالها، بَيْدَ أننا لاحظنا من خلال تقارب

النص نسبيّاً أنها تكاد تكون مختصرة عن النسخة الشائعة، والله أعلم).

وعليه، فيكون لمقتل أبي مخنف ثلاث نُسخ، **الاولى**: ما أورد عنها الطبري في تاريخه، وهو الصحيح. **الثانية**: المقتل المطبوع الشائع والمنسوب إلى أبي مخنف، وقد عرفت كلام العلماء فيه، **الثالثة**: مقتل أبي مخنف الذي أورده القندوزي في كتابه المتقدم، وقد عرفت بحسب اعتراف محققِّه أنه أقرب إلى المنسوب زوراً إلى أبي مخنف، بل قد يكون مختصراً منه.

فائدة ثالثة

العمدة في معرفة خبر عمار بن معاوية عن الإمام الباقر عليه السلام ومعرفة أخبار عوانة بن الحكم على تاريخ الطَّبري أيضاً، هذا بالنسبة للقرن الثاني.

القرن الثالث

كتب جماعة في أخبار النَّهضة الحسينية في هذا القرن، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم.

١ ـ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

قال الذَّهبي في ميزان الإعتدال ج ٤ ص ٣٠٤ (مات سنة أربع ومائتين)، وفي الفهرست لابن النديم ص ١٢٤ (وتوفي هشام في سنة ست ومائتين)، وفي تأسيس الشيعة ص ٢٣٩ (قال الذَّهبي: توفي سنة ست ومائتين، وقيل: سنة خمس ومائتيں، وهو الأصح).

وأما عن حاله فهو شيعي معتقد بالإمامة، قال عنه النَّجاشي تحت رقم ١١٦٦: (النَّاسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا. وله الحديث المشهور قال: اعتللت علة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس فعاد إليّ علمي، وكان أبو عبد الله عليه السلام يُقرَّبه ويُدنيه ويبسطه)، ولذا لا يلتفت إلى قول الكشي في الإختيار تحت رقم ٧٣٣ عنه وعن جماعة: (هؤلاء من رجال العامة إلا أن لهم ميلاً ومحبة شديدة، وقد قيل: إن الكلبي كان مستوراً ولم يكن مخالفاً).

هذا وقال عنه النَّجاشي تحت الرقم السابق (وله كتب كثيرة منها... كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: مقتله لم يصل إلينا، ولكن اعتمد عليه الطَّبري كثيراً في تاريخه في حوادث سنة ٦١ للهجرة.

٢ ـ أبو عبد الله: محمد بن عُمر الواقدي.

قال عن وفاته ابن النديم في الفهرست ص ١٢٧ ـ ١٢٨ (قال محمد بن سعد كاتبه: أخبرني أبو عبد الله الواقدي أنه ولد سنة ثلاثين ومائة، ومات عشية يوم الإثنين لإحدى عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين، وله ثمانٍ وسبعون سنة).

وعن حاله قال عنه ابن النديم في المصدر السابق: (وكان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار... عالماً بالمغازي والسِيَر والفتوح، واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار).

وقال عنه ابن النديم أيضاً في المصدر السابق: (وله من الكتب... كتاب مولد الحسن والحسين، ومقتل الحسين عليه السلام).

وقال في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٨ (مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للواقدّي المدني البغدادي).

أقول: لم يصل إلينا مقتله، لكن نقل عنه ابن سعد في طبقاته، وابنُ أعثم في الفتوح.

٣ ـ أبو عبيدة: مُعَمّر بن المثنّى.

قال عن وفاته ابن النديم في الفهرست ص ٧٦: (وولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومائة، وتوفي سنة عشر ومائتين، وقيل: إحدى عشرة، وقال أبو سعيد: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع).

وقال عنه في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٨: (مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام لمُعمّر بن المثنى، روى عنه السيد ابن طاووس في اللهوف).

أقول: قال ابن طاووس في اللهوف ص ١٢٧ (وروى مُعمّر بن المثنى في مقتل الحسين عليه السلام، فقال ما هذا لفظه: فلما كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد إلى مكة في جند كثيف، قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقاتله إن قدر عليه، فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية).

هذا ومقتله لم يصل إلينا.

٤ ـ إبو المفّضل: نصر بن مزاحم.

قال عن وفاته الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٤ ص ٢٥٣ (مات سنة اثنتي عشرة ومائتين).

وقال النجاشي عن حاله وكتابه تحت رقم ١١٤٨ (كوفي، مستقيم الطريقة، صالح الأمر، غير أنه يروي عن الضعفاء، كتبه حِسان، منها: . . . وكتابه مقتل الحسين عليه السلام).

وقال الشيخ في الفهرست ص ٢٠٤ (نصر بن مزاحم المنقري له كتب. . . وكتاب مقتل الحسين عليه السلام).

وقال ابن النديم في الفهرست ص ١٢٢: (وله من الكتب. . . كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام).

أقول: كتابه لم يصل إلينا.

٥ ـ أبو عبيد: القاسم بن سلاّم الهروي.

توفي سنة ٢٢٢ هـ، أو ٢٢٣، أو ٢٢٤، كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ ص ٦٤٢.

قال السيد عبد العزيز الطباطبائي في مقال له عن المدونات التاريخية لوقعة الطف في مجلة الموسم العدد الثاني عشر، المجلد الثالث ١٤١٢ هـ، ص ١٤٤ (كتاب مقتل الحسين لأبي عبيد، القاسم بن سلاّم الهروي، المتوفى، سنة ٢٢٤هـ، ذكره أبو سعيد السمعاني في عداد كتب أبي عبيد التي قرأها أبو علي الحداد الحسن بن أحمد الإصبهاني على الحافظ أبي نعيم، ورواها عنه.

فقال في التحبير، في ترجمة أبي علي الحداد ـ ج ١ ص ١٨٥ ـ بعدما عدّد الكتب، ومنها هذا: سمع هذه الكتب أبو علي الحداد من أبي نعيم الحافظ، عن أبي القاسم الطبراني، عن علي بن عبد العزيز، عنه.

وحكاه الذهبي في ترجمة أبي علي الحداد من سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٣٠٦، عن أبي نقطة، مما سمعه أبو علي الحداد من أبي نعيم، ومنها مقتل الحسين لأبي عبيد القاسم بن سلاّم).

أقول: لم يصل إلينا مقتله، غير أن ابن عبد ربه في العقد الفريد نقل شيئاً منه في الجزء الخامس ص ١٢٥ ـ ١٢٩.

٦ ـ أبو الحسن: علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني البغدادي.

قال الذهبي عن وفاته في ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٥٣: (مات المدائني سنة أربع، أو خمس وعشرين ومائتين، عن ثلاث وتسعين سنة).

وقيل: غير ذلك كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ ص ٥١٢.

وعن حاله وكتابه قال الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٢٥: (علي بن محمد المدائني عامي المذهب، وله كتب كثيرة حسنة في السير، وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

وقال ابن شهراشوب في معالم العلماء ص ٧٢ تحت رقم ٤٨٦: (كتبه حسنة، منها السيرة في مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: لم يصل إلينا مقتله، غير أن أبا الفرج الأصفهاني اعتمد عليه في مقاتل الطالبيين.

٧ ـ أبو عبد الله: محمد بن سعد بن منيع البصري.

قال ابن النديم في الفهرست ص ١٢٨:

(محمد بن سعد كاتب الواقدي... من أصحاب الواقدي، روى عنه، وألف كتبه من تصنيفات الواقدي، وكان ثقة مستوراً، عالماً بأخبار الصحابة والتابعين، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين).

له كتاب الطَّبقات، مطبوع في تسع مجلدات، تحت إشراف بعض المستشرقين، وليس فيه ذكر لترجمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومقتله مع أنه من الصحابة.

وقد وجد السيد عبد العزيز الطباطبائي في خزانة السلطان أحمد الثالث في إسلامبول بعض أجزاء الطبقات، وفيها ترجمة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فقام بإخراجهما في كتابين مستقلين، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث سنة ١٤١٦ هـ.

والعجب أن الطبقات قد طبعت أخيراً في بيروت، وفي مقدمتها تصريح بوجود نسخة إسلامبول، وأن طبقة المستشرقين ناقصة، ولم يتداركوا هذا النقص.

أقول: في الترجمة المذكورة مقتله عليه السلام، وهو أول مقتل وصل إلينا بقلم مؤلفه، والروح الأموية واضحة في المقتل إذ يصور النزاع بين الإمام الحسين عليه السلام وابن زياد من غير علم يزيد، ولهذه الخصوصية الاموية اعتمد عليه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن النديم في بغية الطلب في تاريخ حلب، وغيرهما.

٨ ـ أبو عمرو: خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بـ (شبّاب)

قال عن وفاته الذهبي في ميزان الإعتدال ج ١ ص ٦٦٥: (مات سنة أربعين ومائتين).

وقال ابن النديم في الفهرست ص ٢٨٣: (وله من الكتب... كتاب التاريخ).

وقال عن كتابه شاكر مصطفى في (التاريخ العربي والمؤرخون) ج ١ ص ٢٣٥: (وأهمية كتابه في التاريخ هو أنه أقدم كتاب بين أيدينا لتاريخ الإسلام مرتب على الحوليات، ولعلّه كان المثال الذي احتذاه الطَّبري، وأخذ كثيراً من المعلومات عنه).

أقول: تكلم ابن خيَّاط في تاريخه في حوادث سنة ستين عن بعض أخبار النَّهضة الحسينية بصورة إتهامية، حيث أورد طلب البيعة من الحسين عليه السلام ليزيد، وأورد بعث الحسين مسلماً للكوفة، ولقاء الإمام عليه السلام للفرزدق وأسماء بعض من قتل من الطالبيين، وكأنه يُصوّر النَّهضة بأنها شق عصا الطاعة، وفي هذا روح أموية واضحة.

٩ ـ أبو إسحاق: إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي.

كان حياً سنة ٢٦٩ كما في النجاشي ص ١٩، وقال عنه

النجاشي تحت رقم ٢١ (كان ضعيفاً في حديثه متهوماً، له كتب منها: . . . كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

وقال الشيخ في الفهرست ص ٣٣ ـ ٣٤: (كان ضعيفاً في حديثه، متهماً في دينه، وصنّف كتباً جملتها قريبة من السواد، منها: . . . كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام . . . وأخبرنا أبو الحسين بن أبي القمي، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن إبراهيم، بمقتل الحسين عليه السلام خاصة).

أقول: لم يصل إلينا مقتله، وإن وصل إلى الشيخ الطوسي.

١٠ ـ أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٠٥:

(الكوفي، مولده بها، وإنما سمي الدَيْنَوري، لأنه قاضي الدَيْنَور. . . وحكى في كتبه عن الكوفيين. . . مولده في مُستهلّ رجب، وتوفي سنة سبعين ومائتين، وله من الكتب. . . كتاب المعارف).

وقال كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٢٩٧:

(من تصانيفه الكثيرة. . . المعارف. . . الإمامة والسياسة).

أقول: ذكر ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٤ سنة مقتل الإمام عليه السلام ومن قتله، وعمرَه حين القتل، وذكر أسماء بعض ولده، ولم يذكر شيئاً عن تفاصيل مقتله، نعم في الإمامة والسياسة ذكر شيئاً من أخبار النَّهضة الحسينية، ولكن بعضها مكذوب كزواج الإمام الحسين عليه السلام من أرينب بنت إسحاق ج ١ ص ١٦٦ ـ ١٧٣، وفي هذا محاولة لإبراز النَّهضة الحسينية على أنها قتال على الزواج، والروح الأموية ظاهرة في كتابه.

١١ ـ أبو جعفر: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.

قال عن سنة وفاته كحالة في معجم المؤلفين ج١ ص٣٢٢ إنها: (٢٧٩ هـ).

وقال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٤٢ ـ ١٤٣: (من أهل بغداد... وكان شاعراً راوية... وله من الكتب... كتاب الأخبار والأنساب)، وقال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٢٣ (له من الكتب... التاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم).

أقول: كتاب أنساب الأشراف قد طبع بتمامه في الآونة الأخيرة، وفي الجزء الثالث ص ٣٦٨ ـ ٤٢٦ أخبار عن مقتل أبي عبد الله عليه السلام، وفي الجزء الخامس ص ٣١٣ ـ ٣١٨ أخبار عن خروجه إلى مكة وما جرى له، وأخباره توافق أخبار الطَّبري غالباً خصوصاً فيما يرويه عن أبي مخنف.

١٢ ـ أبو جعفر: محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي صاحب نوادر الحكمة.

توفي في حدود سنة ٢٨٠ هـ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج٣ ص ١١٤ ذكره النجاشي تحت رقم ٩٣٩:

(ولمحمد بن أحمد بن يحيى كتب، منها كتاب نوادر الحكمة، وهو كتاب حسن كبير... كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: مقتله لم يصل إلينا.

١٣ ـ أبو بكر: عبيد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا.

قال عن وفاته ابن النديم في الفهرست ص ٢٣٠:

(كان ورعاً زاهداً عالماً بالأخبار والروايات، وتوفي يوم الثلاثاء، لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة، سنة إحدى وثمانين ومائتين).

وقال عنه الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٣٤:

(عامي المذهب، له كتب، منها مقتل الحسين عليه السلام)، ومثله قال ابن شهراشوب في معالم العلماء ص ٧٦.

أقول: مقتله لم يصل إلينا.

١٤ ـ أبو حنيفة: أحمد بن داوود الدَيْنَوري.

توفي سنة ٢٨٢، وفي رواية: ٢٨١، وقيل: ٢٩٠، كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ١ ص ١٣٦.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٠٦:

(ثقة فيما يرويه، معروف بالصدق، وله من الكتب... كتاب الأخبار الطوال).

أقول: أورد في كتابه المذكور أخبار النَّهضة الحسينية، وهي توافق غالباً أخبار أبي مخنف المروية في تاريخ الطَّبري.

١٥ ـ أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي.

توفي سنة ٢٨٣ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ١ ص ٦٣، قال عنه النَّجاشيّ تحت رقم ١٩: (وله مصنفات كثيرة انتهى إلينا منها... كتاب مقتل الحسين عليه السلام)، ومثله الشيخ الطوسي في الفهرست ص ٣١ ـ ٣٢.

أقول: لم يصل إلينا مقتله، نعم هو صاحب كتاب الغارات

المطبوع، والذي اعتمد عليه ابن أبي الحديد في شرحه، والمجلسي في بحاره.

١٦ ـ أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، يُعرف بابن واضح، وباليعقوبي، وابن اليعقوبي.

توفي سنة ٢٩٢ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ١ ص ١٠٢.

قال عنه في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٣: (مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للأخباري الشهير بابن واضح، صاحب تاريخ اليعقوبي، المتوفى بعد سنة ٢٩٢، أو سنة ٢٩٤).

قال كحالة في معجمه ج ١ ص ١٠٢: (من مؤلفاته: التاريخ...)

أقول: لم يصل إلينا مقتله، نعم كتابه في التاريخ المعروف بتاريخ اليعقوبي قد أورد فيه شيئاً من أخبار النَّهضة الحسينية، لكنه موجز.

وفي أعيان الشيعة ج٣ ص٢٠٢:

(كان من المؤرخين والجغرافين المشهورين... ويظهر تشيعه من كتابه في التاريخ، وقد ذكر فيه حديث الغدير، بل ومن كتاب البلدان ايضاً). وفي هذا رفعٌ لوهم عدم تشيعه.

١٧ ـ أبو عبد الله: محمد بن زكريا بن دينار الغلاّبي.

قال عن وفاته النجاشي ص ٣٤٧: (ومات محمد بن زكريا سنة ثمان وتسعين ومائتين).

وقال عنه تحت رقم ٩٣٦ (له كتب... مقتل الحسين عليه السلام)،

وفي الفهرست لابن النديم ص١٣٨ (وله من الكتب: كتاب مقتل الحسين بن علي).

أقول: لم يصل إلينا مقتله.

القرن الرابع

كتب جماعة في هذا القرن عن مجريات النَّهضة الحسينية، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيّ وفاتهم.

١ ـ أبو جعفر: محمد بن جرير الطَّبري.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ٢٨٧:

(ولد بآمل سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات في شوال سنة عشر وثلاثماية، وله سبع وثمانون سنة).

وقال كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ١٩٠:

(من تصانيفه: . . . . تاريخ الأمم والملوك).

أقول: كتابه المذكور أوسع كتاب تاريخي، نظَّمه على السنين، وحَرَصَ على ذكر الأسانيد. ذكر (١٣٧) خبراً عن مجريات النَّهضة الحسينية، منها (١١٠) أخبار عن أبي مخنف برواية هشام الكلبي، و (١٥) خبراً عن هشام عن غير أبي مخنف، و (٧) أخبار عن عوانة برواية أبي ربيعة، و (٤) أخبار عن ابن سعد، وخبراً واحداً عن الإمام الباقرعليه السلام برواية عمّار الدّهني، كل ذلك في الجزء الخامس ص ٣٣٨ ـ ٤٧٠.

وما رواه عن هشام عن أبي مخنف قد أخذه من مقتل هشام كما

صرح بذلك في حوادث سنة ثلاث وستين ج ٥ ص ٤٨٧.

وما رواه عن هشام عن غير أبي مخنف، فهو تارة عن هشام عن عوانة، لا يتجاوز ستة أخبار، وأخرى عن هشام عن غير عوانة.

وقد روى عن عوانة من غير طريق هشام كما عرفت، وعليه فالقول بأن الطَّبري أورد مقتل هشام فقط المروي عن شيخيه أبي مخنف وعوانة بن الحكم ليس في محله والقول للشيخ اليوسفي في مقدمة وقعة الطف ص ٩.

والقول بأن أخبار النَّهضة الحسينية في تاريخ الطَّبري هي مقتل أبي مخنف ليس في محله، والقول للسيد حسن الصدر في تأسيس الشيعة ص ٢٣٦ عندما تكلم عن أبي مخنف فقال:

(وقد اعتمد عليه أئمة أهل السنة، كابن جرير الطَّبري، وابن الأثير في تاريخهما، خصوصاً ابن جرير، وقد شحن تاريخه الكبير من رواية أبي مخنف، بل هو ليس إلا كتاب أبي مخنف عند التحقيق).

٢ ـ أبو محمد: أحمد بن أعثم الكوفي.

قال عنه السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة المجلد الثاني ص ٤٨١:

(أحمد بن أعثم الكوفي، أبو محمد، الاخباري المؤرخ، توفي حدود سنة ٣١٤ هـ ذكره ياقوت في معجم الأدباء بهذا العنوان وقال: كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف، له كتاب المألوف، وكتاب الفتوح معروف، ذكر منه إلى أيام الرشيد، وله كتاب التاريخ إلى أيام المقتدر. . .

وهكذا ذكره المجلسي في البحار بعنوان أحمد بن أعثم، وقال:

إن له تاريخاً، ونقل عنه في البحار... ومن الغريب قول صاحب مجالس المؤمنين أنه كان شافعي المذهب).

أقول: كتاب الفتوح مطبوع بحيدر آباد، وفي الجزء الخامس ص ١٠ ـ ٢٥٣ اخبار عن النَّهضة الحسينية، وقد إنفرد بأشياء، وذكر في أول الفصل جميع الأسانيد، وتجميع الأسانيد في مكان ثم ذكر أخبارها يفقد الأخبار مزية وهي: إرجاع كل خبر إلى راويه.

وكتاب الفتوح المطبوع بحيدر آباد كثير الأغلاط والسقط لأنه معرب عن الترجمة الفارسية للفتوح المكتوب باللغة العربية بحسب الأصل، وقد طُبع الفتوح في دار الفكر ـ بيروت بتحقيق الدكتور سهيل زكّار ـ تبعاً لنسخه العربية، وقد أورد أخبار النَّهضة في الجزء الثاني ص ٧٥ ـ ١٨٨.

٣ ـ أبو القاسم: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ٢٨٤:

(يعرف بابن بنت منيع، ومولده سنة أربع عشرة ومائتين، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمـاية).

ذكر في كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٩٤ أن له كتاباً بإسم مقتل الحسين عليه السلام، كما في الموسم، العدد الثاني عشر، المجلد الثالث ص ١٤٥.

أقول: لم يصل إلينا مقتله.

٤ ـ أبو زيد: أحمد بن سهل البلخي.

توفي سنة ٣٢٢ هـ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ١ ص ١٤٩، له كتاب البدء والتاريخ، نسبه إليه صاحب هدية العارفين ج ١

ص ٥٩ كما في مقدمة نفس الكتاب ص ٥.

أقول: في الجزء الثاني من كتابه ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢ أخبار عن النَّهضة الحسينية، والروح الأموية فيها واضحة.

٥ ـ أبو أحمد: عبد العزيز بن يحيى الجلودي.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٤٥:

(توفي بعد الثلاثين والثلاثماية)

وقال عنه النَّجاشيّ تحت رقم ٦٤٠:

(وله كتب ذكرها النَّاس، منها... كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: لم يصل إلينا كتابه.

٦ ـ أبو عمر: أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي.

قال عنه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٩٢-١٩٣:

(أصله من موالي بني أمية في الأندلس، توفي سنة ...٣٢٨ وإنما إشتهر بكتابه العقد الفريد... فإنه من أجلّ كتب الأدب وأوسعها، أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى، فضلاً عن الأخبار والأنساب واللغة... وفي بعض هذه الأبواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ، فأخبار زياد والحجّاج والطالبيين فيها حقائق، يعزّ العثور عليها في كتاب آخر... وقد طبع العقد الفريد مراراً، وهو شايع).

أقول: ذُكرت بنظر أموي في الجزء الخامس ص ١٢٥ ـ ١٣٦ أخبار عن النَّهضة الحسينية، وغالبها عن جماعة معروفين بالإنحراف

عن آل البيت عليهم السلام كالزبير بن بكّار وروح بن زنباع والشعبي.

٧ ـ أبو الحسين: عمر بن الحسن بن مالك الشيباني، الأشناني القاضي.

توفي في حدود سنة ٣٣٩ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ ص ٥٥٧، وقال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٤٤:

(وله من الكتب... كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام)

أقول: مقتله لم يصل إلينا.

٨ ـ أبو الحسن: علي بن الحسين بن علي المسعودي.

توفي سنة ٣٤٥ هـ، وفي رواية ٣٤٦ هـ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ ص ٤٣٣.

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٨٨:

(وله من الكتب: كتاب يعرف بمروج الذهب ومعادن الجوهر).

وقال عنه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٤٥:

(وألّف كثيراً من الكتب المفيدة في موضوعات شتى، أهمها في التاريخ... مروج الذهب ومعادن الجوهر، وهو كتاب أشهر من أن يعرف لشيوعه، وقد طبع مراراً... كتاب التنبيه والأشراف... وقد طبع).

أقول: ذكر في مروج الذهب أخباراً عن النَّهضة الحسينية ج ٣ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٩ وذكر في التنبيه والأشراف شيئاً يسيراً ص ٢٦٢.

وله كتاب إثبات الوصيَّة، وهذا ما نص عليه جماعة من علمائنا،

قال النّجاشي تحت رقم ٦٦٥: (علي بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن الهذلي له كتاب المقالات في أصول الديانات... رسالة إثبات الوصّية لعلي بن أبي طالب عليه السلام... كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر).

وذكر في الكتاب أخباراً عن النَّهضة ص ١٤١ ـ ١٤٣.

وأقول:

باعتبار توهم عدم تشيّع الرجل، فلا بأس بالإشارة إلى كلمات أصحابنا في تشيعه.

تقدم نصّ النجاشيّ في كتابه عنه، ولذا قال المجلسي في بحاره ج١ ص٣٦ في مقام توثيق مصادر البحار:

(والمسعودي عدّه النجاشيّ في فهرسته من رواة الشيعة).

وقال في موضع آخر ج٥٤ ص٣١٢، كتاب السماء والعالم:

(هو من علمائنا الإمامية).

وقال ابن طاووس في فرج المهموم ص١٢٦، عند ذكر العلماء العالمين بالنجوم:

(ومنهم الشيخ الفاضل الشيعي علي بن الحسين بن علي المسعودي، مصنّف كتاب مروج الذهب).

وقال الأفندي في رياض العلماء ج٣ ص٤٢٨:

(المعروف بالمسعودي، الشيخ المتقدم من أصحابنا الإمامية، المعاصر للصدوق).

وقال ابن إدريس في السرائر في كتاب الحج ج١ ص٦١٥:

(قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ وغيره ـ وهو كتاب حسنٌ كثير الفوائد ـ وهذا الرجل من مصنفيّ أصحابنا، معتقد للحق، له مقالات. . .).

وقال أبو علي الحائرين في منتهى المقال ج٤ ص٣٩١ تحت رقم ٤٠٠٠:

(المسعودي هذا من أجلّة العلماء الإمامية، ومن قدماء الفضلاء الإثنى عشرية، ويدل عليه ملاحظة أسامي كتبه ومصنفاته).

وترجمه الشيخ حسين النوري في خاتمة المستدرك ج٣ ص٣١٠ الطبع الحجري، وج١٩ ص ١١٥ـ ١٢٧ الطبع الحديث، وبعد عرض كلام بعض العلماء، قال:

(إلى غير ذلك من العبارات الصريحة في كونه من علماء الإمامية).

نعم في منتهى المقال ـ المصدر السابق ـ قال الحائري:

(ولم أقف إلى الآن على من توقف في تشيّع هذا الشيخ سوى ولد الأستاذ العلامة ـ أعلى الله في الدارين مقامه ـ فإنه أصرّ على الخلاف، وادعى كونه من أهل الخلاف، ولعل الداعي إلى ذلك ما رأى في كتابه مروج الذهب، من ذكر أيام خلافة الأول والثاني والثالث ـ إلى أن قال ـ: من دون تعرّض لذكر مساوئهم وقبائحهم، من غصبهم الخلافة، وظلمهم أهل البيت عليهم السلام وغير ذلك، وهذا ليس بشيء كما هو غير خفيّ على الفطن الخبير).

قلت: مراده من ولد الأستاذ هو العالم النحرير آغا محمد علي صاحب المقامع، وحجته قد ردّها الحائري بما سمعت، وناقشه

النوري في خاتمة المستدرك ـ مصدر سابق ـ بما لا مجال للزيادة عليه، فراجع.

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة ج٨ ص٢٢١:

(عندنا كتاب إثبات الوصية له، ويدل على أنه من أكمل الشيعة وخواصهم ـ إلى أن قال ـ: فتشيعه منه ـ أي تشيع المسعودى من مروج الذهب ـ ظاهرٌ كالنور على الطور في مواضع كثيرة، نعم قد سلك فيه مسلك المؤرخين الذين يذكرون كل ما قيل، لا مسلك المتحيزين لجهة خاصة).

٩ ـ أبو الحسن: محمد بن إبراهيم بن يوسف الكاتب، المعروف بالشافعي.

توفي سنة ٣٥٣ كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ٣ ص ٤٢.

وقال عنه النجاشي تحت رقم ١٠١٥: (له كتب... كتاب المقتل).

وقال عنه الشيخ في الفهرست ص ١٦٣: (مولده سنة إحدى وثمانين ومائتين بالحسينية، وكان يتفقه على مذهب الشافعي في الظاهر، ويرى رأي الشيعة الإمامية في الباطن، وكان فقيهاً على المذهبين... فمن كتبه على مذهب الإمامية.... كتاب المقتل).

أقول: لفظ المقتل على الإطلاق محمول على مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهو لم يصل إلينا.

١٠ ـ أبو الفرج: علي بن الحسين بن الهيثم الأصفهاني:

قال عنه ابن النديم في الفهرست ص ١٤٤:

(من ولد هشام بن عبد الملك... توفي سنة نيّف وستين وثلاثماية، وله من الكتب: كتاب الأغاني الكبير... كتاب مقاتل آل أبي طالب).

أقول: ذكر في المقاتل ص ٥١ ـ ٥٨ أخباراً عن النَّهضة الحسينية.

١١ ـ أبو جعفر: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الملقب بالصدوق.

قال عن وفاته النَّجاشي تحت رقم ١٠٤٩:

(مات رضي الله عنه بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثماية).

وقال عنه الشيخ الطّوسي في الفهرست ص ١٨٩:

(له نحو من ثلاث مئة مصنف... منها... كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

وقال عنه في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٨:

(مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للشيخ الصدوق، أحال إليه في الخصال ص ٣٥، أن فيه ما رواه من فضائل العباس عليه السلام).

نعم في الخصال ص ٦٨ المطبعة الحيدرية سنة ١٣٩١ هـ، في باب الإثنين بعدما أورد خبراً عن علي بن الحسين عليه السلام وفيه:

(رحم الله العبَّاس، يعني ابن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

قال الصدوق: والحديث طويل، أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته بتمامه مع ما رويته في فضائل العباس بن علي عليه السلام في كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام).

أقول: مقتله لم يصل إلينا، نعم للشيخ الصدوق كتاب الأمالي، وهو المعروف بالمجالس أو عرض المجالس، وقد ذكره النجاشي ص ٣٨٩ باسم (العرض على المجالس)، وهو مشتمل على سبعة وتسعين مجلساً، وخص مجلسين منها ـ وهما المجلس الثلاثون والواحد والثلاثون ـ بأخبار النَّهضة الحسينية ص ١٢٩ ـ ١٤٢.

١٢ ـ أبو الحسن: محمد بن علي بن الفضل بن تمّام الكوفي.

قال عنه النجاشي تحت رقم ١٠٤٦:

(كان ثقة عيناً، صحيح الاعتقاد، جيد التصنيف، له كتب منها: . . . . كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: لم أعثر على سنة وفاته، ولكنه معاصر للصدوق وهو شيخ ابن الغضائري، فمن المظنون أن وفاته في هذا القرن، ومقتله لم يصل إلينا.

١٣ ـ أبو زيد: عمارة بن زيد الخيواني الهمداني.

قال عنه النجاشي تحت رقم ٨٢٧:

(وينسب إليه كتب منها: كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام).

أقول: لم أعثر على سنة وفاته، ومقتله لم يصل إلينا.

١٤ ـ أبو الفضل: سلمة بن الخطاب البراوستاني الأزدورقاني.

قال عنه النجاشي تحت رقم ٤٩٨:

(كان ضعيفاً في حديثه، له عدة كتب، منها: . . . كتاب مولد الحسين بن علي عليه السلام ومقتله).

وقال عنه الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٠٨:

(له. . كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: لم أعثر على سنة وفاته، ومقتله لم يصل إلينا.

القرن الخامس

كتب جماعة في وقائع النَّهضة الحسينية في هذا القرن، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو عبد الله: محمد بن محمد بن النعمان، العكبري البغدادي، الملقب بالشيخ المفيد.

قال عنه الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٩٠:

(محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يُكنّى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، إنتهت إليه رياسة الإمامية في وقته، وكان مُقَدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مُصنَّف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروفٌ، وُلد سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة وأربع مئة، وكان يوم وفاته يوماً لم يُرَ أعظم منه، من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف والموافق، فمن كتبه: كتاب المقنعة في الفقه... وكتاب الإرشاد).

وقال عن كتابه الإرشاد الشيخ الطهراني في الذريعة ج١ ص ٥٠٩ ـ ٥١٠: (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد، أبي عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، الحارثي

البغدادي، المولود سنة ٣٣٨، والمتوفى سنة ٤١٣، فيه تواريخ الائمَّة الطاهرين الأثنى عشر عليهم السلام، والنصوص عليهم ومعجزاتهم، وطُرَف من أخبارهم، من ولادتهم ووفياتهم ومدة أعمارهم، وعدة من خواص أصحابهم، وغير ذلك).

أقول: أورد الشيخ المفيد في الإرشاد ج ٢ ص ٣٢ ـ ١٢٦ وقائع النَّهضة الحسينية، وعند مقابلتها بما يوجد في تاريخ الطَّبري يظهر أن الشيخ المفيد قد اعتمد على تاريخ الطَّبري في غالب النصوص إلا ما شذ من بعض الحروف أو الكلمات أو بعض الزيادات.

٢ ـ أبو علي: أحمد بن محمد بن يعقوب، الملقب بمسكويه، أو ابن مسكويه.

وفي أعيان الشيعة مجلد ٣ ص ١٥٩: (هو العالم الحكيم الفيلسوف المشهور، الرياضي المهندس المتكلم اللغوي، المؤرخ الأخلاقي، الشاعر الأديب الكاتب، الناقد الفهم، الكثير الإطلاع على كتب الأقدمين ولغاتهم المتروكة، صاحب التصانيف الكثيرة في الفنون العقلية، لا سيما الحكمة النظرية والعقلية، وفي دائرة المعارف الإسلامية: مؤرخ) إنتهى.

توفي سنة ٤٢١ في صفر كما في أعيان الشيعة مجلد ٣ ص ١٥٨، وقال كحالة عنه في معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٠٣: (أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه... من تصانيفه: الفوز الأكبر، تجارب الأمم وتعاقب الهمم).

أقول: تجارب الأمم مطبوع في جزئين، وفي الجزء الثاني ص ٣٩ ـ ٧٥ ذكر وقائع النَّهضة الحسينية.

٣ ـ أبو نُعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني.

توفي سنة ٤٣٠ هـ، كما في معجم المؤلفين لكحالة ج ١ ص ١٧٦، وفي نفس المعجم: (من مؤلفاته: حلية الأولياء...)

أقول: لم يذكر أبو نعيم ترجمة مخصوصة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإنما في ذيل ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ج ٢ ص ٣٩، ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وذكر له خطبة مختصرة قال:

(لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وأن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدبر معروفها وأنشمرت، حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقَ لا يُعمل به، والباطلَ لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا جرماً).

وهذه الخطبة مذكورة في مصادر سابقة عن هذا القرن.

٤ ـ القاضي أبو عبد الله: محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي.

توفي سنة ٤٥٤ قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٣٢٧: (محمد بن سلامة... الشافعي... فقيه محدث مؤرخ... من تصانيفه:... الإنباء بأبناء الأنبياء وتواريخ الخلفاء).

أقول: ما أورده القضاعي في كتابه ص ٢٠٥ عن الإمام الحسين عليه السلام ووقائع النَّهضة الحسينية هو:

(وفي أيامه ـ يزيد ـ سار الحسين بن علي عليهما السلام يريد الكوفة،

وعليها عُبيد اللهِ بن زياد من قبل يزيد، فوجه إليه زياد عمرَ بن سعد ابن أبي وقّاص، فقاتله بكربلاء فقُتل الحسين بن علي رضي الله عنه بالطف، في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله تسعٌ وخمسون سنة، وقيل: خمسٌ وخمسون، وقال القُتيبي: ستٌ وخمسون سنة، وقاتِلُه: سِنان بن أنس النخعي، وقيل: إن شمر بن ذي الجوشن ضربه على وجهه ضربة، وادركه سِنان فطعنه، فألقاه عن فرسه، واحتز رأسه خولي بن يزيد الأصبحي).

وفي هكذا ترجمة إشعارٌ بتبرئةِ يزيد لعدم علمه، وأن الحسين هو الذي خرج من دون بيان أسباب خروجه، وهذا لونٌ من ألوانِ الروح الأموية التي تخفي حقائق النَّهضة الحسينية.

٥ ـ أبو جعفر: محمد بن الحسن علي بن الحسن الطوسي، المعروف بشيخ الطائفة.

قال العلامة عنه في الخلاصة ص ٢٤٩:

(شيخ الإمامية ـ قدس الله روحه ـ رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه... ولد ـ قدس الله روحه ـ في شهر رمضان، سنة خمس وثمانين وثلاثماية... وتوفي ـ رضي الله عنه ـ ليلة الإثنين، الثاني والعشرين من المحرم، سنة ستين وأربعمائة، بالمشهد المقدس، على ساكنه السلام، ودفن بداره).

وقال الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٩٢ عن نفسه:

(محمد بن الحسن بن علي الطوسي، مصنف هذا الفهرست، له مصنفات: منها... وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام).

أقول: ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة ج٢٢ ص ٢٧، تحت رقم (٥٨٦٣)، وهذا المقتل لم يصل إلينا، ولم ينقل عنه أحد من المتأخرين بحسب اطلاعنا.

٦ ـ أبو عمرو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي.

قال كحالة في معجم المؤلفين ج ٤ ص ١٧٠:

(يوسف بن عبد البر ـ ٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ ـ . . . الأندلسي القرطبي المالكي، . . . محدث حافظ مؤرخ عارف بالرجال والأنساب. . . وتوفي في شاطبة في شرقي الأندلس سلخ ربيع الأخر، من تصانيفه: الإستيعاب في معرفة الأصحاب) إنتهى.

أقول: في الإستيعاب ج ١ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٧ ذَكَر ترجمة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب تحت رقم (٥٧٤)، فذكر الإختلاف في قاتله، وذَكَر عدد مَنْ قُتل مع الحسين عليه‌السلام من ولد فاطمة عليها‌السلام، وذَكَر يوم مقتله في كربلاء، ومما له الدخل في الوقائع لم يذكر إلا هذا الخبر وهو:

(وقال أبو عمرو: لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد، وذلك في سنة ستين، وردت بيعته على الوليد بن عقبة بالمدينة، ليأخذ البيعة على أهلها، أرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً فأتي بهما، فقال: بايعا، فقالا: مثلنا لا يبايع سراً، ولكننا نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما، وخرجا من ليلتهما إلى مكّة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكّة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة، فكان سبب هلاكه) إنتهى.

والروح الأموية واضحة في إخفاء حقائق النَّهضة، وإخفاء دور يزيد، وإخفاء أسباب خروجه عليه السلام.

٧ ـ نجم الدين: محمد بن أميركا بن أبي الفضل الجعفري القوسيني:

قال عنه في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٧ تحت رقم ٥٨٦٢:

(مقتل أبي عبد الله الحسين للسيد نجم الدين محمد بن أميركا بن أبي الفضل الجعفري القوسيني، ذكره الشيخ منتخب الدين).

والشيخ منتخب الدين هو علي بن عبيد الله بن بابويه الرازي من أعلام القرن الخامس، فقد ذكر تحت رقم ٤٥٧ ص ١٨٠ في كتابه فهرست (أسماء وعلماء الشيعة ومصنيفيهم) السيد المذكور وقال: (له كتاب مقتل الحسين).

أقول: لم يصل إلينا هذا المقتل.

القرن السادس

في هذا القرن كتب جماعة في النَّهضة الحسينية، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو علي: محمد بن الحسن بن علي بن أحمد النيسابوري، المعروف بالفتّال، وابن الفارسي.

ففي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ٤٤ (ومات سنة ثمان وخمسماية)، وفي معالم العلماء لابن شهراشوب ص ١١٦ (له... روضة الواعظين وبصيرة المتعظين)، وفي معجم المؤلفين لكحالة ج ٤ ص٢٢٥ (محمد بن الحسن بن علي... الفتّال النيسابوري الفارسي، أبو علي، مُفسّر، واعظ، من آثاره: روضة الواعظين).

وقد ذكر الأقابزرك في الذريعة ج ١١ ص ٣٠٥ تحت رقم (١٨١٥) كتاب روضة الواعظين وبصيرة المتعلمين للفتّال النيسابوري.

أقول: أورد وقائع النَّهضة الحسينية في كتابه روضة الواعظين ص ١٨٧ ـ ٢١٣.

٢ ـ أبو علي: الفضل بن الحسن الطَّبرسي.

توفي سنة ٥٤٨ للهجرة في ليلة النحر كما في روضات الجنَّات ج ٥ ص ٣٥٨، قال كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٦٢٢:

(الفضل بن الحسن بن الفضل الطَّبرسي، الطوسي، السبزواري، الشيعي أبـو علي، أمين الدين، أمين الإسلام، مُفسّر، مشارك في بعض العلوم، من آثاره: مجمع البيان في تفسير القرآن، إعلام الورى بأعلام الهدى في مجلدين. . .).

ومن المعروف تطابق كتاب إعلام الورى للطبرسي مع كتـاب ربيع الشيعة للسيد ابن طاووس، ولذا قال في الذريعة عن ذلك ج ٢ ص ٢٤١:

(ومن غريب الإتفاق تطابق كتاب (ربيع الشيعة) المنسوب إلى السيد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ مع هذا الكتاب، وتوافقهما حرفاً بحرف إلا اختصارات قليلة في بعض الفصول وزيادات في الخطبة، فإن ربيع الشيعة مصدَّر باسم السيد بن طاووس، ومُصَّرح فيه باسم الكتاب وأنه ربيع الشيعة، قال العلامة المجلسي في أول البحار: وهذا ما يقضي منه العجب.

أقول: الممارس لبيانات السيد ابن طاووس لا يرتاب في أن ربيع الشيعة ليس له، والمراجع له لا يشك في اتحاده مع إعلام الورى للطبرسي، وقد احتمل بعض المشايخ كون منشأ هذه الشبهة أن السيد ابن طاووس حين شرع في أن يقرأ على السامعين كتاب إعلام الورى هذا، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله صلوات الله عليهم على ما هو ديدنه، ثم مدح الكتـاب وأثنى عليه بقوله: إن هذا الكتاب ربيع الشيعة، والسامع كتب على ما هو ديدنه هكذا: يقول السيد الإمام وذكر القابه واسمه إلى قوله إن هذا الكتاب ربيع الشيعة.

ثم كتب كلما سمعه عنه من الكتاب إلى آخره، فظن من رأى النسخة بعد ذلك أن ربيع الشيعة اسمه، وأن مؤلفه هو السيد ابن طاووس.

وحكى شيخنا في خاتمة المستدرك إحتمالاً آخر عن بعض مشايخه وهو: أن السيد وجد إعلام الورى ناقصاً من أوله فاستحسنه وكتبه بخطه من غير إطلاع له على اسمه أو اسم مؤلفه، فكتب عليه مدحاً له أن هذا الكتاب ربيع الشيعة، ولمَّا وُجد بعده بخطه فظُنّ أنه تأليفه وأنه سمّاه بربيع الشيعة) إنتهى.

أقول: الثابت أن إعلام الورى للطبرسي، ومن البعيد وجود كتاب آخر باسم ربيع الشيعة للسيد ابن طاووس، ويتطابق الكتابان في الفصول والجمل والكلمات والحروف.

وعلى كل فقد اورد الطَّبرسي وقائع النَّهضة الحسينية في الجزء الأول ص ٤٣٤ ـ ٤٧٧، ونسب الأخبار إلى ذكر الثقاة من أصحاب السير، وهي نفس الأخبار الواردة في الطَّبري عن الكلبي عن أبي مخنف وعن المدائني، وهو قريب جداً إلى نص الإرشاد للشيخ المفيد.

وفي آخره قال: (وقال الشيخ المفيد أبو عبد الله ـ قدس الله روحه ـ: فأمَّا أصحاب الحسين عليه السلام فإنهم مدفونون حوله، ولسنا نحصل لهم أجداثاً على التحقيق، إلا أننا لا نشك أن الحائر محيط بهم.

وذكر السيد الأجلُّ المرتضى ـ قدس الله روحه ـ في بعض مسائله: أن رأس الحسين بن علي عليهما السلام رُدَّ إلى بدنه بكربلاء من الشام، وضُمَّ إليه، والله أعلم).

٣ ـ أبو المؤيد أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي.

قال كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٩٤٠ (الموفق المكي

٥٦٨ هـ... أبو المؤيد، فقيه، أديب، خطيب، شاعر... من آثاره: مناقب الإمام أبي حنيفة، مقتل الحسين).

أقول: أورد وقائع النَّهضة الحسينية في كتابه مقتل الحسين في الجزء الأول ١٧٦ ـ ٢٥٤، وفي الجزء الثاني من أوله إلى ص ٨٢ منه، وقد اكثر من النقل فيه عن تاريخ ابن أعثم، وعليه المعوّل، لأن تاريخ ابن أعثم المطبوع والمعرب عن الترجمة الفارسية كثير الأغلاط والسقط والتحريف، ولأن المطبوع عن النسخة العربية بتحقيق الدكتور زكّار ليس بسبك أخبار ابن أعثم في هذا المقتل، فضلاً عن زيادات في المقتل غير موجودة في الفتوح المطبوع.

٤ ـ أبو القاسم: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر.

قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٢٨:

(صاحب التصانيف والتاريخ الكبير، ولد في أول سنة تسع وتسعين وأربع مائة) إلى أن قال في ص ١٣٣٣: (قال القاسم: توفي أبي في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمس مائة)، وقال عنه في ص ١٣٢٩: (عمل تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً).

وقال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٤٢٧:

(علي بن عساكر ٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ... المعروف بابن عساكر... من تصانيفه الكثيرة: تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها في ثمانين مجلدة).

أقول: قد أُستلَّتْ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من هذا التاريخ، وطُبعَتْ بكتاب مستقل بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي في إيران.

أورد وقائع النَّهضة الحسينية ص ٢٨٧ ـ ٣٤٠، أورد أشياء

متفرقة ولم يتعرض لوقائع اليوم العاشر ولا لمجريات الأمور من حين نزوله في كربلاء، ولا لمجريات الأمور في طريقه من مكة إلى العراق، وغير ذلك.

ولذا علّق المحقق الشيخ المحمودي في ص ٣٢٥ بقوله:

(والقارئ النبيه يرى النقص الفاحش فيه واضحاً، وعدم اتساق المطالب وانسجام الكلام جلياً، كما تنبه لذلك الشيخ عبد القادر بدران صاحب تهذيب تاريخ دمشق، فاستدركه برواية ابن حجر في الإصابة لهذه القصة عن عمار بن معاوية الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام.

وهل هذا من أجل أن المصنف يطوي خصوص المبادئ المنتهية إلى شهادة الإمام الحسين؟ ـ أو عموم ما جرى بين أهل البيت وبين أعدائهم ـ ستراً على مخازي المبطلين؟.

أو أن مشايخ المصنف بخلوا من رواياتهم للمصنف ما دار بين الإمام وأعدائه تحفظاً على كرامة سلفهم؟ أو أنهم رووا للمصنف إجمال ما جرى بين الإمام وبين أعدائه، ورواه المصنف عنهم وأودعه في هذه الترجمة، ولكن المتأخرين رأوا أن هذا الإجمال أيضاً يفصح عن نفاق أعداء أهل البيت وكيدهم للإسلام، فمدوا أياديهم الخائنة إلى ما كتبه المصنف، فحذفوا منه ما يدل الناس وينبههم على خروج مناوئي أهل البيت عن صف المؤمنين بالله، وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

والأمر الأول: غير ملائم لإنصاف المصنف وصدقه وأمانته.

والأمر الثاني: وإن كان محتملاً في خصوص المقام، ومحققاً في كثير من المقامات غير أنه يبعده ما نذكره في الأمر الثالث.

والأمر الثالث: هو المُستَشم المُستأنس من جهات:

الجهة الأولى: استقراء خصوص تاريخ دمشق، فإنه يغني عن استقراء غيره، فإنهم عمدوا في مواضع كثيرة منه إلى حذف خصائص أهل البيت الدالة على أنهم على الحق، وأن مخالفهم مخالف للحق، واسقطوا أيضاً منه في المقامات المتعددة مخازي أعداء أهل البيت مما يدل بنحو الوضوح على إخلادهم إلى الدنيا واختيارهم إياها على الآخرة، وأنهم لا يرجون لله وقاراً، ولا يقيمون للدين وزناً.

الجهة الثانية: تبحر المصنف في العلوم النقلية، وروايته مقدمة مقتل الإمام بإسناده المنتهى إلى أسانيد ابن سعد، فإنه يبعد كل البعد اقتصارَ المصنف على خصوص مقدمة مقتل الإمام بلا أي بحث عن مقتله، وإن حمل أحد هذا على عاتق مشايخ المصنف فيبعد أيضاً إقناعهم المصنف بذلك، واقتناعه به بلا أي استفسار عنهم، ثم سكوته من غير تنبيه وإشارة منه إلى جهة اكتفائه بذلك.

الجهة الثالثة: ما ذكره المصنف في ترجمة مُحرز بن حريث من تاريخ دمشق كما يجئ لفظه في ختام ما ننقله عن ابن سعد، وكذلك ما ذكره في ترجمة أم محمد بنت الحسن زوج علي بن الحسين من تاريخ دمشق قسم النساء ص ٥٤٧ قال: قدم بها مع أهل بيتها حين قتل الحسين من العراق إلى دمشق لما ذكر، تقدم ذكر ورودها في ترجمة عمها الحسين) إنتهى.

٥ ـ أبو منصور: أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبرسي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٢٠٣.

(توفي في حدود ٦٢٠ هـ... من تصانيفه: الإحتجاج على أهل اللجاج) وكذا نقل السيد محمد بحر العلوم في مقدمة كتاب الإحتجاج طبع النعمان، عن إسماعيل باشا في إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون.

ولكن الشيخ الطهراني في الذريعة ج ١ ص ٢٨١ جعله من أهل المائة الخامسة الذين أدركوا القرن السادس الهجري بدليل أنه أستاذ رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب الذي توفي سنة ٥٨٨ هـ.

أقول: ما ذهب إليه الشيخ الطهراني في تعيين الوفاة هو الأقرب، وعلى كلٍ فقد أورد الطَّبرسي في الإحتجاج الجزء الثاني ص ٩٧ ـ ١١٤ احتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة بكربلاء بخطبة أولها (تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً...) وأورد شعره وأوله (كفر القوم وقدماً رغبوا...)

وأوْرَدَ احتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة، وخطبة العقيلة زينب بنت علي عليه السلام، واحتجاج العقيلة على يزيد لعنه الله، واحتجاج الإمام زين العابدين على أهل الكوفة، وعلى بعض أهل الشام، وعلى يزيد لعنه الله، وقد أورد بعض هذه الخطب أو الإحتجاجات من هو أسبق منه عصراً كالشيخ المفيد في أماليه، والشيخ الطوسي في أماليه، وابن شعبة الحراني في تحف العقول، ولكن لم يجمعها أحد قبله في كتاب واحد.

٦ ـ أبو جعفر: رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٥١٥:

(محمد بن شهراشوب ٥٨٨ هـ... عالم مشارك في بعض العلوم... وتوفي في شعبان من تصانيفه:...) لم يذكر له المناقب، وفي الذريعة ج ٢٢ ص ٣١٨ تحت رقم ٧٢٦٤ (مناقب آل أبي طالب... للشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب السروي المازندراني، المتوفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ...٥٨٨ مع أن

المناقب الموجود ناقص قطعاً حيث أنه ليس فيه أحوال الإمام الثاني عشر، وقد أحال ابن شهراشوب إلى مناقبه وجه تلقيب الشيخ المفيد به، وليس ذلك فيه، فهو مذكور في باب أحوال الحجة الذي لقبه به).

أقول: قد أورد وقائع النَّهضة الحسينية ج ٤ ص ٨٧ ـ ١١٥.

وذكر الشيخ الطهراني في الذريعة ج ٢٢ ص ٢٢ تحت رقم (٥٨٢٧)، كتاباً لابن شهراشوب، بإسم (مقتل إبن شهراشوب)، ونقل عنه أبو جعفر الحسيني في شرح الشافية، ولكن هذا المقتل لم يصل إلينا.

٧ ـ أبو القاسم: مجير الدين محمود بن المبارك بن علي بن المبارك، الواسطي البغدادي، المعروف بالمحبر، وابن بقيرة.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٨٢٦:

(محمود المحبر ٥٩٢ هـ... محدث، فقيه، أصولي، متكلم، من آثاره: مقتل الإمام الحسين بن علي).

أقول: مقتله لم يصل إلينا.

٨ ـ أبو الفرج: عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٠٠:

(عبد الرحمان الجوزي ٥١٠ـ٥٩٧ هـ... جمال الدين أبو الفرج، محدث، حافظ، مفسر فقيه، واعظ أديب مؤرخ، مشارك في أنواع أخرى من العلوم،... من مؤلفاته الكثيرة... المنتظم في تاريخ الأمم).

أقول: أورد في المنتظم ج ٥ ص ٣٢٢ ـ ٣٤٥ وقائع النَّهضة الحسينية.

القرن السابع

في هذا القرن كتب جماعة في النَّهضة الحسينية، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو الحسن: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٥٢٣:

(علي بن الأثير... ٦٣٠ هـ... مؤرخ، محدث، حافظ... وتوفي في الموصل في ٢٥ شعبان، من تصانيفه: الكامل في التاريخ، أسد الغابة في معرفة الصحابة...).

أقول: أورد الوقائع للنهضة الحسينية في كتابه الكامل ج ٤ ص ١٤ ـ ٩٤، وهي كلها مأخوذة من تاريخ الطَّبري، بل قد صرح باعتماده على تاريخ الطَّبري في أول كتابه فليراجع.

وأورد القليل من وقائع النَّهضة الحسينية في كتابه أسد الغابة ج٢ ص٢٧ ـ ٣٠ تحت ترجمة (١١٧٣)، وهي كلها موجودة في كتابه الكامل.

٢ ـ أبو جعفر: نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلّي.

قال في الذريعة ج ١٩ ص ٣٤٩ رقم (١٥٥٩):

(مثير الأحزان، ومنير سبيل الأشجان في المقتل للشيخ نجم الدين جعفر بن نجيب الدين. . . المتوفى ٦٤٥).

أقول: مقتله مطبوع أكثر من مرة، وقال ابن نما في أوائله ص ١٥: (إن الذي بعثني على عمل هذا المقتل أني رأيت المقاتل قد احتوى بعضها على الإكثار والتطويل، وبعضها على الإختصار والتقليل، فهو بين طويل مُسهب، وقصير قاصر عن الفوائد غير معرب، والنكت فيها قليلة، ومرابعها من الطرف والغرائب محيلة.

فوضعت هذا المقتل متوسطاً بين المقاتل، قريباً من يد المتناول، لا يفضي لملالة وهذر، ولا يجفي لنزارة وقصر، ترتاح القلوب إلى عذوبة الفاظه، ويوقظ الراقد من نومه وإغماضه، وتسرح النواظر في رياضه، وينبه الغافل عن هذا المصاب، والذاهل عن الجزع والإكتئاب.

وأُودعه ما أهمله كثير من المصنفين وأغفلَتْه خواطر المؤلفين، وسميته (مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان)، ورتبته على ثلاثة مقاصد، فإن كنتم أيها السامعون قد فاتكم شرف تلك النصرة، وحرمتم مصادمة خيول تلك الكسرة، فلم تفتكم إرسال العبرة على السادة من العترة، ولبس شعار الأحزان على الأسرة، والرغبة إلى الله جل جلاله في المكافأة يوم الحساب، وتوفير قسطنا من الثواب، إنه الكريم الوهاب) إنتهى.

وفي كلامه أمران مهمان: الأول: وجود مقاتل على قسمين، قسم فيه تطويل مُسهب، وقسم فيه قُصور عن الإحاطة بوقائع النَّهضة ومجرياتها، ولذا أَقَدمَ على تأليف مقتل يحتوي على ما أهمله الكثير من المؤلفين ولا يكون فيه إسهاب، بإسلوب جمع بين إثارة العواطف

واستدرار الدمع وبين عرض الوقائع وهو أول مقتل وصل إلينا بهذا الإسلوب.

وهذا الإسلوب الجديد الذي أتى به ابن نما مبني على السجع غالباً، وعلى الشعر بلسان حالهم، وهو قليل بالنسبة للمقاتل التي ظهرت في القرن الحادي عشر وما بعده.

الثاني: تقسيم المقاتل إلى قسمين كاشف عن وجود كتب باسم المقتل قد وصلت إليه، وإن لم يصل إلينا شيئ منها باسم مقتل الحسين عليه السلام.

٣ ـ أبو سالم: كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي، العدوي النصيبي الشافعي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٣٦٩:

(محمد النصيبي ٥٨٢ ـ ... ٦٥٢ محدث، فقيه، أصولي، عارف بعلم الحروف والأوفاق... ثم حجّ وأقام بدمشق قليلاً، ثم سار إلى حلب فتوفي بها في رجب).

وقال عنه الزركلي في الأعلام ج ٦ص ١٧٥:

(أبو سالم النصيبي... وزير من الأدباء الكتاب، ولد بالعمرية من قرى نصيبين، ورحل إلى نيسابور، وولي الوزارة بدمشق، ثم تركها وتوفي بحلب، له: العقد الفريد للملك السعيد ـ ط ـ ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول...).

أقول: أورد في الجزء الثاني ص ٣١ ـ ٣٤ خروجه من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق، وأورد في الجزء الثاني ص ٣٤ ـ ٤٠ مصرعه ومقتله عليه السلام، بنحو مختصر، من دون ذكر الأسانيد والأخبار، وقد أتى

ببعض الفوائد، نذكرها في مواطنها.

اعتمد عليه علي بن عيسى الإربلي في كشف الغمة، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة.

٤ ـ أبو المظفر: يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي، المعروف بسبط ابن الجوزي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٤ ص ١٧٦:

(يوسف، سبط ابن الجوزي، ٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ... محدث، حافظ، فقيه، مفسر، مؤرخ، واعظ... وتوفي بمنزله في سفح قاسيون، بدمشق في ٢٠ ذي الحجة... من تصانيفه الكثيرة:... مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان... تذكرة الخواص في خصائص الأئمّة).

أقول: أورد السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٢١٢ ـ ٢٦٢ وقائع النَّهضة الحسينية، وأما مرآة الزمان فلا علم لنا بطبعه.

٥ ـ ابو القاسم: عمر بن أحمد بن أبي جرادة، المعروف بابن العديم.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٥٥٣:

(عمر بن العديم ٥٨٦ ـ ٦٦٠ هـ... أديب كاتب شاعر، مؤرخ فقيه محدث، مشارك في علوم كثيرة... من تصانيفه: بغية الطلب في تاريخ حلب).

أقول: أورد ابن العديم ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في الجزء السادس ص ٢٥٦٢ ـ ٢٦٧١، وهي أطول ترجمة في كتابه.

وأورد في هذه الترجمة الكثير من وقائع النَّهضة، وأكثره منقول عن ابن سعد فيما أورده في طبقاته.

٦ ـ أبو محمد: عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسعني، نسبة إلى رأس عين الخابور.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٤٠:

(عبد الرزاق الرسعني ٥٨٩ هـ ـ ٦٦١ هـ... محدث، مفسر، فقيه، متكلم، اديب، شاعر... من تصانيفه... مصرع الحسين).

أقول: لم يصل إلينا هذا الكتاب.

٧ ـ أبو القاسم: عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج٢ ص٥٣٥: (علي بن طاووس ٥٨٩ هـ ٦٦٤ هـ)

وقال في الذريعة ج١ ص٣٨٩ تحت رقم ٥٧٦: (اللَّهوف على قتلى الطفوف، للسيد جمال السَّالكين، رضي الدين، أبي القاسم، علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى ٦٦٤، مُرتّب على ثلاثة مسالك: في الأمور المتقدمة على القتال، وفي وصف القتال، وفي الأمور المتأخرة عنه).

أقول: قد طُبع مراراً، وفيه فوائد غير موجودة في غيره.

٨ ـ أبو الحسن: علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي:

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٤٨٤:

(علي الإربلي كان حياً ٦٨٧ هـ... من تصانيفه: كشف الغمة

في معرفة الأئمة).

أقول: في مقدمة كشف الغمة ترجمة المؤلف، وقد نُقل فيها عن فوات الوفيات ج٢ ص٨٣ أنه مات سنة ٦٩٢ هـ، وعن الحوادث الجامعة لابن الفوطي أنه توفي ببغداد سنة ٦٩٣ هـ.

ومن جهةٍ أخرى أورد وقائع النَّهضة في الجزء الثاني ص ٢٥٢ ـ ٢٨٥.

٩ ـ أبو العباس: أحمد بن عبد الله بن محمد الطَّبري.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦:

(أحمد الطَّبري ٦١٥ ـ ٦٩٤ هـ... محب الدين، أبو العباس، شيخ الحرم، فقيه، محدث، مشارك في بعض العلوم، ولد بمكَّة، وتوفي بها في جمادي الآخرة).

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ في حوادث سنة أربع وتسعين وستمائة (محب الدين أبو العباس... له تصانيف كثيرة في غاية الحسن... وله كتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة، وكتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى).

أقول: أورد محب الدين في كتابه (ذخائر العقبى) ص ١٤٩ وما بعدها شيئاً عن وقائع النَّهضة، وهو شيء يسير عن ابن عبد ربه الأندلسي وابن سعد.

١٠ ـ جمال الدين: يوسف بن حاتم الشامي العاملي.

في معجم المؤلفين لكحالة ج٤ ص١٥١ (كان حيّاً ٦٦٤هـ...) وجعله الآقابزرك من أعلام القرن السابع فأورد ترجمته في طبقات

اعلام الشيعة في (الانوار الساطعة في المائة السابعة) ج٣ ص٢٠٧ - ٢٠٨.

وقال عنه الخونساري في روضات الجنات ج٨ ص١٩٩ :

(وفي رجال المحدث النيسابوري: أنه كان فقيهاً مُحدّثاً، وأن له أيضاً كتاباً سمّاه: الدر النظيم في مناقب الأئمة الهاميم، ينقل فيه من كتاب مدينة العلم وغيره من الكتب المعتبرة)

وقال عن الكتاب في الذريعة ج٨ ص٨٦: (وهو كتاب جليل في بابه، ينقل فيه عن مدينة العلم للشيخ الصدوق، وكتاب النبوة له ايضاً فيظهر وجودهما عنده).

أقول: طُبع الكتاب اخيراً، وأورد فيه وقائع النهضة الحسينية من ص٥٣٥ الى ص٥٧٥.

القرن الثامن

كتب جماعة في وقائع النَّهضة الحسينية في هذا القرن، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ ابن الطقطقي: محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، المعروف بابن الطقطقي

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٥٣٩:

(محمد بن الطقطقي ٦٦٠ـ٧٠٩ هـ. . . مؤرخ من أهل الموصل، من آثاره: الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية).

أقول: أورد ابن الطقطقي وقائع النَّهضة بشكل مختصر جداً في كتابه ص٨٤ ـ ٨٥ وقال: (هذه قضية لا أحب بسط القول فيها، إستعظاماً لها واستفظاعاً، فإنها قضية لا يجري في الإسلام أعظم فحشاً منها، ولعمري أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى، ولكن هذه قضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي والتمثيل ما تقشعر له الجلود، واكتفيت أيضاً عن بسط القول فيها بشهرتها، فإنها أشهر الطامات، فلعن الله كل من باشرها، وأمر بها، ورضي بشيءٍ منها، ولا تقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وجعله من الأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وجملة ما جرى في ذلك) ألخ. . .

٢ ـ أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود... بن أيوب.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٧٢.

(إسماعيل بن أيوب ٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ... الملك المؤيد، عماد الدين، أبو الفداء، صاحب حماة، عالم أديب، شاعر مشارك في أنواع من العلوم... وهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر وبلاد الشام أكثر من ثمانين عاماً... وتولى ملك حماة من سنة ٧٢١ هـ حتى وفاته بها في ٢٨ المحرم، من آثاره: المختصر في أخبار البشر).

أقول: أورد أبو الفداء في مختصره ج ١ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦ ملخصاً عن وقائع النَّهضة.

٣ ـ أبو العباس: أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ١٩٠:

(أحمد النويري ٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ... مؤرخ أديب مشارك في علوم كثيرة، ولد في ٢١ ذي القعدة، وتوفي بالقاهرة في ٢١ رمضان، من تصانيفه: نهاية الإرب في فنون الأدب في ثلاثين مجلداً).

أقول: أورد في الجزء العشرين ٣٧٦ ـ ٤٧٦ وقائع النَّهضة الحسينية.

٤ ـ أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز المعروف بالذَّهبي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٨٠:

(محمد الذهبي ٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ... التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي الذهبي الشافعي، أبو عبد الله، شمس الدين، محدث مؤرخ... من تصانيفه الكثيرة: تاريخ الإسلام الكبير في إحدى وعشرين مجلداً... سير أعلام النبلاء... مختصر دول الإسلام).

أقول: في كتابه دول الإسلام ص ٣٧ قال:

(خلافة يزيد بن معاوية، كان أبوه جعله ولي العهد من بعده... وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه وامتنع من بيعته إثنان عظيمان الحسين ابن علي سبط رسول الله ﷺ، وعبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ، ثم نقض بيعته أكابر أهل المدينة لسوء سيرته، وقيل: كان يشرب الخمر وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين رضي الله عنه.

فإن الحسين كاتَبَه أهل الكوفة يحثونه على القدوم فسار في سبعين فارساً من المدينة إلى الكوفة فلم يتم له أمر، وسار لقتاله نحو ألفي فارس، فأحاطوا به فلم يفعل، ينقاد لهم ولا يسلم نفسه، بل قاتل حتى جاءه سهم في حلقه، واحتزوا رأسه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بأرض كربلاء، ونفذوا أولاده وحرمه إلى يزيد، وهو بدمشق، فأكرم أهله ونساءه، وبعثهم إلى المدينة) إنتهى.

ومن هذا النص تعرف وضوح الروح الأموية في المؤلف، حيث صور النزاع بسبب كتب أهل الكوفة، وان الإمام هو الذي أراد الخروج والفتنة بين المسلمين من دون علم يزيد، وعندما وصلوا إلى يزيد أكرمهم وردهم إلى المدينة، بالإضافة إلى أن الإمام سار بسبعين فارساً من المدينة إلى الكوفة.

وأما سير أعلام النبلاء فقد استخرجه من كتابه الكبير (تارخ الإسلام).

وأما تاريخ الإسلام فقد أورد في حوادث سنة إحدى وخمسين ص ١٤٧ ـ ١٥٢ كيفية أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد، وهي كلها مأخوذة من تاريخ خليفة بن خيّاط.

وأورد في حوادث سنة ستين ص ١٦٩ ـ ١٧١ شيئاً من وقائع النَّهضة، من عدم بيعة الإمام عليه السلام وخروجه إلى مكَّة، وخبراً عن خروج مسلم في الكوفة، وأورد في حوادث سنة إحدى وستين ص ٥ ـ ٢١ شيئاً عن وقائع النَّهضة منقولاً عن ابن سعد في مقتله المُستَلّ من طبقاته، وأورد أخباراً قليلة عن تاريخ الطَّبري.

٥ ـ زين الدين: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارسي المعري، المعروف بابن الوردي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٥٨٠:

(عمر بن الوردي ٧٤٩ هـ... فقيه أديب ناثر ناظم، لغوي، نحوي، مؤرخ... من تصانيفه الكثيرة... تتمة المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء...).

أقول: تتمة المختصر هو المعروف بتاريخ ابن الوردي، وهو مختصر لتاريخ أبي الفداء المتقدم، ولذا قال ابن الوردي في المقدمة: (فاختصرته في نحو ثلثيه اختصاراً زاده حسناً...)، وقد أورد في الجزء الأول ص ١٦٣ ـ ١٦٥ وقائع النَّهضة بما أورده أبو الفداء تقريباً.

٦ ـ أبو الصفاء: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشافعي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٦٨٠:

(خليل الصفدي، ٦٩٦ ـ . . . ٧٦٤ مؤرخ أديب، ناثر ناظم، لغوي، . . . من مصنفاته الكثيرة: الوافي بالوفيات في ثلاثين مجلدة. . .)

أقول: أورد في كتابه المذكور ج ١٢ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٩ شيئاً من أحوال أبي عبد الله عليه السلام، وشيئاً من وقائع النَّهضة، ولم يأتِ بشيءٍ غير موجود في المصادر السابقة، على قلة ما أتى به.

٧ ـ أبو محمد: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠:

(عبد الله اليافعي ٧٠٠ ـ ٧٦٨ هـ. . . صوفي شاعر، مشارك في الفقه والعربية. . . ولد قبل السبعمائة بسنتين. . . من تصانيفه الكثيرة: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان. . .)

أقول: أورد في كتابه ج ١ ص ١٠٦ ـ ١١٠ ملخصاً عن وقائع النَّهضة ولم يأت بجديد، إلا أن الفاظه صريحة في نصبه حيث قال: (وجاءته كتب أهل الكوفة يحضونه على القدوم عليهم فأغتر، وسار في أهل بيته حتى بلغ كربلاء، فعرض له أعداء الله وقتلوه في قصة طويلة).

٨ ـ أبو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير، المعروف بابن كثير.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٧٣:

(إسماعيل بن كثير ٧٠٠ـ٧٧٤ هـ. . . محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، . . . وكان يميل إلى شيخه ابن تيميه. . . من تصانيفه. . . البداية والنهاية في التاريخ).

أقول: أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٢١ ـ ١٦٣ وقائع النَّهضة الحسينية عن أخبار أبي مخنف المروية في تاريخ الطَّبري، وعن ابن سعد، وعن الزبير بن بكّار، وتقدمت الإشارة إلى هذه المصادر، ولكنه متعصب يريد تبرئة يزيد من هذا الفعل حيث قال في ج ٨ ص ١٦٢:

(أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلمَّا علم ذلك ابن زياد منهم بلّغهم ما يريدون من الدُّنيا وأخذهم على ذلك، وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه، وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية... والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه، كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك، وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك، والله أعلم).

بل يريد التشنيع على الشيعة حيث قال في ج ٨ ص ١٣٧:

(وهذه صفة مصرعه مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان)، والعجب أنه اورد أخبار أبي مخنف الواردة في تاريخ الطَّبري، ولو تأملها بإنصاف لعلم بأن الشيعة لا يقولون بأزيد منها إلا ما ثبت في مصادرهم وكتبهم المعتبرة.

القرن التاسع

كتب جماعة في هذا القرن عن وقائع النَّهضة الحسينية، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو البقاء: محمد بن عيسى بن علي الدميري.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٧٤٣:

(محمد الدميري ٧٤٢ ـ ٨٠٨ هـ... مفسر، محدث، فقيه، أصولي، أديب، نحوي، ناظم، مشارك في غير ذلك... وتوفي بالقاهرة في ٣ جمادي الأولى، من تصانيفه: حياة الحيوان الكبري...).

أقول: أورد الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٧ شيئاً من وقائع النَّهضة، ولم يأت بجديد، إلا أنه صرح بتبرئة يزيد حيث قال عند وصول السبايا والرؤوس إلى الشام:

(ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا ـ يعني الحسين ـ في ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته وستين رجلاً من شيعته، فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس وأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف مأخذها

جعلوا يلوذون لوذان الحمام من الصقور، فما كان إلا مقدار جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مزملة، وخدودهم معفرة، تسفى عليهم الرياح، زوارهم العقبان ووفودهم الرخم.

فلما سمع يزيد ذلك دمعت عيناه، وقال: ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم قال: يرحم الله أبا عبد الله، ثم تمثل بقول الشاعر:

يفلقن هاماً من رجال أعزة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم أمر الذرية فأدخلوا دار نسائه، وكان يزيد إذا حضر غداؤه دعا علي بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه، ثم وجه الذرية صحبة علي بن الحسين إلى المدينة ووجه معه دليلاً في ثلاثين فارساً، ليسير أمامه حتى انتهوا إلى المدينة). إنتهى

والروح الأموية واضحة فضلاً عن تبرئة يزيد من الأمر بالقتل وأنه أحسن صحبتهم، وأنهم كانوا أظلم وأعق، والله المستعان على ما يصفون، وإليه المشتكى وهو الخصم والحكم.

٢ ـ أبو زيد: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي، المعروف بابن خلدون

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠:

(عبد الرحمان بن خلدون: ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ... عالم أديب، مؤرخ، إجتماعي حكيم، ولد بتونس في أول رمضان...وولي كتابة السر بمدينة فاس، ورحل إلى غرناطة وبجاية، واعتقل وتنقلت به

الأحوال إلى أن رجع إلى تونس، فأكرمه سلطانها، فسعوا به عند السلطان ففر إلى الشرق، وولي قضاء المالكية بالقاهرة مراراً، وكان ممن رافق العسكر إلى تمرلنك وهو مفصول عن القضاء، واجتمع بتمرلنك وأعجبه كلامه وبلاغته، وتوفي بالقاهرة فجأة لأربع بقين من شهر رمضان، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر، من مؤلفاته: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ تاريخ ابن خلدون).

أقول: أورد في الجزء الثالث ص ١٥ ـ ١٦ ذكر العهد ليزيد، فذكر قضية المغيرة وأنه أول من ذكر ولاية العهد ليزيد عن معاوية عن الطَّبري ملخصاً، ثم قال (ثم كتب ـ معاوية ـ إلى زياد يستنيره بفكره) وهناك بياض، وهذا دليل على الحذف من الأيدي الأموية التي تلاعبت في هذا التاريخ ولم تذكر بقية تفاصيل أخذ البيعة ليزيد في عهد معاوية.

وأورد في الجزء الثالث ص ١٩ ـ ٢٢ خلاصة ما أورده الطَّبري من حين بعث يزيد كتاباً إلى الوليد عامله على المدينة لأخذ البيعة إلى حين وصول مسلم إلى الكوفة وتخاذل النعمان بن بشير عاملها، وبعث عيون الأمويين كتاباً إلى يزيد يطلبون فيه إنفاذ رجل قوي، وأورد كل ذلك بتلخيص، إلا أن هناك محواً في الصفحة وبياضاً وآخر كلمة واردة (فأشار عليه سرجون) وهذا واضح أن هناك حذفاً، وهكذا تفعل الروح الأموية في الكتب التاريخية لإخفاء الحق، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

٣ ـ أبو الفضل: أحمد بن علي بن محمد... بن حجر العسقلاني.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٢١٠:

(أحمد بن حجر ٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ. . . ويُعرف بابن حجر، شهاب الـديـن، أبـو الـفـضـل، مـحـدث، مـؤرخ، أديـب، شـاعـر. . . زادت تصانيفه. . . على مائة وخمسين مصنفاً، منها: . . . الإصابة في تمييز الصحابة).

أقول: أورد ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٦٧ ـ ٧٢ شيئاً من وقائع النَّهضة، وعمدتها خبر عمار الدُّهَني عن الإمام الباقر عليه السلام، وقد أورده الطَّبري بتمامه.

٤ ـ ابن الصباغ: علي بن محمد بن أحمد المعروف بإبن الصباغ.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٤٩٢:

(علي بن الصباغ ٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ. . . من تصانيفه: الفصول المهمة لمعرفة الأئمَّة وفضلهم ومعرفة أولادهم ونسلهم).

أقول: أورد في كتابه ص ١٧٩ ـ ١٩٧ شيئاً عن وقـائع النَّهضِة، ولم يأت بجديد، واعتمد على بعض ما رواه الطَّبري من أخبار أبي مخنف، وعلى ما رواه ابن سعد، وعلى كمال الدين الشافعي في مطالب السَؤول.

وأتى بالجميع من دون إسناد إلا بخصوص ما أورده عن كمال الدين، وصرح بتبرئة يزيد عن الأمر بقتل الإمام الحسين عليه السلام.

القرن العاشر

كتب جماعة في هذا القرن عن وقائع النَّهضة الحسينية، وهذه أسماؤهم بحسب سِنيِّ وفاتهم:

١ ـ أبو الفضل: عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد، المعروف بالسيوطي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٢ ص ٨٢:

(عبد الرحمان السيوطي ٨٤٩ ـ. . . ٩١١ عالم مشارك في أنواع من العلوم. . . من مؤلفاته الكثيرة. . . تاريخ الخلفاء).

أقول: أورد شيئاً يسيراً من وقائع النَّهضة في تاريخه ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ولم يأت بشيءٍ جديد.

٢ ـ محمود بن عثمان بن علي بن إلياس الحنفي، الرومي البروسوي.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٨١٨:

(محمود اللامعي ٩٣٨ هـ. . . محمود بن عثمان اللامعي البرسوي فاضل. . .) وعن هداية العارفين لإسماعيل باشا ج٢ ص٤١٢ كما في مجلة الموسم عدد ١٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ أن من مصنفاته مقتل الحسين عليه السلام.

أقول: لم يصل إلينا هذا المقتل.

٣ ـ أبو عبد الله: محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ٣ ص ٥٤٠:

(محمد بن طولون ٨٨٠ ـ ٩٥٣ هـ... من تصانيفه الكثيرة... الشذرات الذهبية في تراجم الأئمَّة الإثنى عشر عند الإمامية).

أقول: هذا الكتاب مشهور بإسم (الأئمة الإثنـا عشر) مختصر جداً، أورد فيه ترجمة مختصرة للإمام الحسينعليه السلام ص ٧١ ـ ٧٢، وذكر فيها أن له كتاباً بإسم (هطل العين في مصرع الحسين)، وهذا الكتاب لم يصل إلينا.

٤ ـ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري.

قال عنه كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٦٣٥:

(حسين الديار بكري ٩٦٦ هـ... مؤرخ فقيه... من آثـاره: الخميس في أحوال أنفس نفيس...).

أقول: أورد في الكتاب المذكور ج ٢ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ شيئاً من وقائع النَّهضة الحسينية، ولكن كلها منقولة عن الإستيعاب وأسد الغابة ودول الإسلام، والعقد الفريد وحياة الحيوان.

٥ ـ السيد محمد بن أبي طالب الحسيني الموسوي الحائري الكركي.

له كتاب (تسلية المجالس وزينة المجالس)، والذي اعتمد عليه العلامة المجلسي في بحاره عند إيراد أخبار مقتل الإمام الحسينعليه السلام.

قال المجلسي في بحاره ج ١ ص ٢١ (وكتاب مقتل الحسين صلوات الله عليه المسمى بتسلية المجالس وزينة المجالس للسيد النجيب العالم محمد بن أبي طالب الحسيني الحائري) وفي ج ١ ص ٤٠ (وكتاب تسلية المجالس مؤلفه من سادة الأفاضل المتأخرين، وهو كتاب كبير، مشتمل على أخبار كثيرة أوردنا بعضها في المجلد العاشر).

وقال المجلسي في ج ٤٤ ص ٣١٠ في مقام تعداد المصادر التي اعتمد عليها في إيراد أخبار مقتل الإمام الحسين عليه السلام (ثم جمعت في إيراد تمام القصة بين رواية المفيد رحمه الله في الإرشاد، ورواية السيد ابن طاووس رحمه الله في كتاب اللهوف ورواية الشيخ جعفر ابن محمد بن نما في كتاب مثير الأحزان، ورواية أبي الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين، ورواية السيد العالم محمد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري من كتاب كبير، جمعه في مقتله عليه السلام، ورواية صاحب المناقب الذي ألفه بعض القدماء من الكتب المعتبرة، وذكر أسانيده إليها، ومؤلفه إما من الإمامية أو من الزيدية، وعندي منه نسخة قديمة مصححة، ورواية المسعودي في كتاب مروج الذهب وهو من علمائنا الإمامية، ورواية ابن شهراشوب في المناقب، ورواية صاحب كشف الغمة، وغير ذلك مما قد نصرح باسم من ننقل عنه، ثم نختم الباب بإيراد الأخبار المتفرقة).

أقول: كتاب تسلية المجالس وزينة المجالس، هو كتاب واحد لا كتابان، قال الشيخ الطهراني في الذريعة ج ٤ ص ١٧٩ تحت رقم (٨٨٥):

(تسلية المجالس الموسوم بزينة المجالس أيضاً، للسيد العالم محمد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري، وهو كتاب كبير في

مقتل الحسين عليه السلام، قال العلامة المجلسي في أول مجلدات البحار عند ذكر مآخذه: وكتاب مقتل الحسين عليه المسمى بتسلية المجالس وزينة المجالس للسيد النجيب العالم، إلى آخر ما مر.

وينقل عنه في العاشر من البحار بعنوان الكتاب الكبير في المقتل للسيد العالم إلى آخر نسبه.

فيظهر منه أنه كتاب واحد سُمّيَ بكلا الإسمين، ولكن ميرزا محمد الاخباري في كتاب الرجال عدهما إثنين).

وقال الشيخ أيضاً في الذريعة ج ١٢ ص ٩٤:

(زينة المجالس: المسمى بتسلية المجالس أيضاً، في مقتل الحسين عليه السلام للسيد العالم محمد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري، وهو كتاب كبير، ينقل عنه المجلسي في المجلد العاشر من البحار كثيراً.

ومر في ج ٤ ص ١٧٩ عند ذكر تسلية المجالس وجه اتحادهما، وأنه ليس الأمر كما ذكره السيد محمد النيسابوري في رجاله من التعدد).

والذي توهم التعدد أيضاً صاحب الروضات حيث قال في ترجمة محمد بن أبي طالب الإسترابادي ج ٧ ص ٣٥: (ثم ليعلم أنه هذا الرجل غير محمد بن أبي طالب الحسيني الحائري الذي كان هو أيضاً كما في رجال النيسابوري من جملة المشايخ، وله كتاب تسلية المجالس، وزينة المجالس، كلاهما في مقتل مولانا الحسين عليه السلام).

هذا والكتاب قد طبع مؤخراً طبعة أولى في جزئين، وقد أورد وقائع النَّهضة الحسينية في ثلاثة مجالس وهي: المجلس السادس والسابع والثامن، وجعل السادس لما جرى على الإمام عليه السلام بعد موت

معاوية، وجعل السابع في مسير الإمام عليه السلام إلى العراق إلى حين الإستشهاد، وجعل الثامن في الأمور التي جرت بعد الشهادة، وكل ذلك في الجزء الثاني ص ١٢٥ـ٤١١.

هذا من ناحية الكتاب وأما من ناحية وفاة المؤلف، فقد ذكره الشيخ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة ج ٤ ص ٢١٤ من أعلام القرن العاشر، ولم يذكر سنة ولادته ولا سنة وفاته، وإنما ذكر أنه مؤلف كتاب (تسلية المجالس وزينة المجالس) الذي اعتمد عليه المجلسي في بحاره.

هذا ولكن المؤلف في كتابه المذكور ذكر أنه في سنة ٩٠٠ للهجرة تملك كتاب تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي كما في الجزء الثاني ص ٥٣٧، وفي سنة ٩١٨ قدم رجل من شيراز إلى المشهد الشريف في كربلاء كما في ج ٢ ص ٥٣٧، وعليه فيكون من أهل القرن العاشر.

خلاصة هذا القسم

تستفاد أمور:

الأمر الأول: ابتليت غالب كتب التاريخ العام بالروح الأموية، وهذه الروح تجسدت:

إما بإغفال ذكر الإمام الحسين عليه السلام وأحواله ومقتله كما في تاريخ ابن زرعة، ولذا لم نذكره سابقاً.

وإما بالإقتصار على يسير أخبار النَّهضة كما في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، وتاريخ خليفة بن خيّاط، والإستيعاب للقرطبي، والإنباء بأبناء الأنبياء للقضاعي، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.

وإما بتصوير النزاع بين الإمام عليه السلام وبين ابن زياد كما في مقتل ابن سعد المُستَلّ من طبقاته، وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر المُستَلّ من تاريخ دمشق، وبغية الطلب لابن العديم.

وإما بالتصريح بتبرئة يزيد لعنه الله، كما في دول الإسلام للذّهَبي، والبداية والنهاية لابن كثير، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.

وإما بالتصريح بخطأ الإمام عليه السلام مع كثرة الناصحين له بعدم الخروج، كما في مرآة الجنان لليافعي، ومقدمة ابن خلدون.

وإما بالتصريح بإثم الإمام عليه السلام بالخروج كما في العواصم والقواصم لأبي بكر بن عربي، وإن لم يكن الأخير من كتب التاريخ، ولم نذكره سابقاً.

مع التعبير في غالب هذه المصادر عن الإمام عليه السلام بلفظ (حسين) ولعل التعبير عنه بهذا اللفظ المجرد عن الألف واللام من باب التقليل لشأنه، فلذا لم نلتزم به حين النقل عن هذه المصادر، إلا إذا حصل الوثوق بأن اللفظ المجرد عن الألف واللام جزء من الرواية التاريخية مع أن الأيدي الأموية قد امتدت لبعض الكتب بعد تصنيفها فحذفت منه شيئاً مما يتعلق بوقائع النَّهضة الحسينية، كالحذف الموجود في ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر، المُستَلّ من تاريخ دمشق، وكالحذف الموجود في تاريخ ابن خلدون.

الأمر الثاني: الكتب الواصلة إلينا هي:

مقتل ابن سعد المُستَلّ من طبقاته، تاريخ ابن خيّاط، المعارف والإمامة والسياسة لابن قتيبة، أنساب الأشراف للبلاذري، الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، تاريخ اليعقوبي هذا في القرن الثالث.

وتاريخ الطَّبري، والفتوح لابن أعثم، والبدء والتاريخ للبلخي، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ومروج الذهب وإثبات الوصيَّة والتنبيه والإشراف للمسعودي، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني والأمالي للصدوق هذا في القرن الرابع.

والإرشاد للشيخ المفيد، وتجارب الأمم لابن مسكويه، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، والإنباء للقضاعي، والإستيعاب للقرطبي، هذا في القرن الخامس.

وروضة الواعظين للفتال النيسابوري، وإعلام الورى للطبرسي،

ومقتل الحسين للخوارزمي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والإحتجاج للطبرسي، ومناقب إبن شهراشوب، والمنتظم لابن الجوزي، هذا في القرن السادس.

وأسد الغابة والكامل لابن الأثير، ومثير الأحزان لابن نما الحلي، ومطالب السؤول للشافعي بن طلحة، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي، وبغية الطلب لابن العديم، واللهوف لابن طاووس، وكشف الغمة للاربلي، وذخائر العقبى للمحب الطَّبري، والدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم للشيخ يوسف بن حاتم الشامي، هذا في القرن السابع.

والفخري لابن طباطبا، والمختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء، ونهاية الإرب للنويري، ودول الإسلام وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ ابن الوردي، والوافي بالوفيات للصفدي، ومرآة الجنان لليافعي، والبداية والنهاية لابن كثير، هذا في القرن الثامن.

وحياة الحيوان للدميري، وتاريخ ابن خلدون، والإصابة لابن حجر العسقلاني والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، هذا في القرن التاسع.

وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والأئمة الإثنا عشر لابن طولون، والخميس للديار بكري، وتسلية المجالس للسيد محمد بن أبي طالب الحائري، هذا في القرن العاشر.

وأكتفينا بهذه القرون ومصادرها، لبروز الغرائب في القرن العاشر وما بعده، ولقلة الكتب التاريخية بعد القرن العاشر، فكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ، وكتاب أخبار الدول للقرماني المتوفى ١٠١٩ هـ،

لا يوجد فيهما شيء مغاير للموجود في المصادر السابقة.

الأمر الثالث: مشتمل على فوائد.

لم يصل إلينا مما كتب في القرن الثاني إلا خبر عمار الدُّهَني عن الإمام الباقرعليه السلام، وقد أورده الطَّبري في تاريخه.

وأول من كتب في مقتل الحسينعليه السلام هو الأصبغ بن نباتة، وأهم ما كتب هو مقتل أبي مخنف، وكل ما كتب من مقاتل باسم مقتل الحسينعليه السلام في القرون الأربعة الأولى لم يصل إلينا إلا من خلال كتب التاريخ العام، أو كتب المناقب والتراجم.

وأول كتاب وصل إلينا بقلم مؤلفه هومقتل الحسينعليه السلام لابن سعد المُستَلّ من طبقاته.

وكل المصادر لم تستوف جميع وقائع النَّهضة الحسينية، لأنها نقلت ما وقع تحت مرأى ومسمع الناس، ونقلت ما كشف عنه الأئمةعليهم السلام كمثل كتابة الإمام الحسين إلى بني هاشم لما فصل عن المدينة متوجهاً إلى مكة، ولم تتكلم هذه المصادر عما جرى في داخل البيوت، وبين الإمام وأصحابه مما لم يسمعه سامع ولم يره شخص.

هذا وكل المصادر قد ذكرت وقائع النَّهضة بصورة النقل التاريخي المجرد إلى زمن إبن نما، ففي القرن السابع ابتدأ الاسلوب الإثاري، وهو إسلوب قائم على السجع واستدرار الدمع، وتحريك العواطف في عرض وقائع النَّهضة الحسينية، ثم تبعه الإربلي في كشف الغمة، ثم تطور هذا الإسلوب في تسلية المجالس للسيد محمد بن أبي طالب الحائري، ثم في المنتخب للطريحي المتوفى ١٠٨٥ للهجرة، ثم أخذ طريقة عرض القصص المثيرة وربطها بوقائع النَّهضة الحسينية على يد الحائري في معالي السبطين وشجرة طوبى.

القسم الثاني

وقائع النَّهضة الحسينية

ـ ١ ـ

قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) ص ٣٧ ـ ٤٠:

(إن الأخبار عن رسول الله ﷺ أو الأئمة المعصومين عليهم السلام سواء كانت من طرق رواية الإمامية أو من طرق الجماعة والسنة تكاد تنحصر من حيث مضامينها في أنواع ثلاثة:

الأول: ما يتضمن المواعظ والأخلاق وتهذيب النفس وتخليتها من الرذائل، وما يتصل بها من النفس والروح والعقل والملكات، ويلحق بهذا ما يتعلق بالجسد من الصحة والمرض والطب النبوي، وخواص الثمار والأشجار والنبات والأحجار والمياه والآبار، وما يتضمن من الأدعية والأذكار والأحراز والطلاسم وخواص الآيات، وفضل السور وقراءة القرآن، بل ومطلق المستحبات من الأقوال والأفعال والأحوال.

فكل خبر ورد في شيء من هذه الأبواب والشؤون يجوز العمل به والإعتماد عليه، لكل أحدٍ من سائر الطبقات، ولا يلزم البحث عن صحة سنده ومتنه، إلا إذا قامت القرائن والأمارات المفيدة للعلم

بكذبه، وأنه من أكاذيب الدساسين والمفسدين في الدين.

النوع الثاني: ما يتضمَّن حكماً شرعياً فرعياً تكليفياً أو وضعياً، وهي عامة الأخبار الواردة في أبواب الفقه، من أول كتاب الطهارة، بما يشتمل عليه من الغسل والوضوء والتيمم والمياه، ونحوها، وكتاب الصلاة بأنواعها الكثيرة من الفروض والنوافل من الرواتب وغيرها ذوات الأسباب وغيرها، والزكاة والخمس وأحكام الصوم والجهاد، وأبواب المعاملات والعقود الجائزة واللازمة، وكتاب النكاح وأنواعه، والطلاق وأقسامه، وما يلحق به من الخُلع والظهار وغيرهما، إلى أن ينتهي الأمر إلى الحدود والديات، وأنواع العقوبات الشرعية، والجرائم والآثام، والمراعى فيها سياسة المدن والصالح العام.

وكل الأخبار الواردة والمروية في شيء من هذه الأبواب لا يجوز العمل بها والإستناد إليها إلا للفقيه المجتهد، الذي حصلت له من الممارسة وبذل الجهد واستفراغ الوسع ملكة الإستنباط، وكملت له الأهلية، مع الموهبة القدسية.

نعم يجوز لأهل الفضل والمراهقين، والذين هم في الطريق، النظر فيها والإستفسار منها، ولكن لا يجوز له العمل بما يفيده منها ويستظهره من مداليلها، ولا الفتوى على طبقها، قبل حصول تلك الملكة ورسوخها بعد المزاولة الطويلة والجهود المتمادية، مضافاً إلى الإستعداد والأهلية.

نعم لا يجوز للأفاضل فضلاً عن العوام حتى في المستحبات مطلقاً، إلا ما كان من قبيل الأذكار والأدعية، فإن ذكر الله حسن على كل حال.

ويكفي في بعض المستحبات الرجاء لإصابة الواقع، والرجاء

بنفسه إصابة، كما يدل عليه أخبار من بلغه ثواب على عمل فعمله رجاء ذلك الثواب، أعطي ذلك الثواب، وإن لم يكن الأمر كما بلغه، ولكن مراجعة المجتهد حتى في مثل هذه الأمور أبلغ وأحوط.

النوع الثالث: ما يتضمن أصول العقائد، من إثبات الخالق الأزلي، وتوحيده، أعني نفي الشريك عنه، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما إلى ذلك من تقديسه وتنزيهه، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وتعالي قدرته وعظمته، ثم النبوة والإمامة والمعاد، وما يتصل به من الحشر والنشر، والبرزخ والصراط، والميزان والحساب ونشر الصحف، إلى جميع ما ينتظم في هذا السلك، إلى أن ينتهي إلى مخلوقاته جل شأنه من السماء والعالم والنجوم والكواكب، والأملاك، والعرش والكرسي، إلى أن ينتهي إلى الكائنات الجوية من الشهب والنيازك والسحاب والمطر والرعد والبرق، والصواعق والزلازل والأرض، وما تحمله وما يحملها، والمعادن والأحجار الكريمة والبحار العظيمة وخواصها، وما فيها والأنهار ومجاريها والرياح ومهابها وأنواعها، والجن والوحوش، وأنواع الحيوان بحرياً أو برياً أو سمائياً، إلى أمثال ذلك مما لا يمكن حصره، ولا يحصر عده، فإن الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأئمة عليهم السلام، قد تعرضت لجميع ذلك.

وقد ورد فيها من طرق الفريقين الشيء الكثير، وفي الحق أن هذا من خصائص دين الإسلام ودلائل عظمته وسعة معارفه وعلومه، فإنك لا تجد هذه السعة الواردة في أحاديث المسلمين في دين من الأديان مهما كان.

ولكن الضابطة في هذا النوع من الأخبار أن ما يتعلق منه بالعقائد وأصول الدين من التوحيد والنبوة، فإن كان مما يطابق

البراهين القطعية، والأدلة العقلية والضرورية يعمل به، ولا حاجة إلى البحث عن صحة سنده وعدم صحته، وهذا مقام ما يقال: إن بعض الأحاديث متونها تصحح أسانيدها.

وإن كـان مما لم يشهد له البرهان ولم تؤيده الضرورة ولكنه في حيز الإمكان ينظر، فإن كان الخبر صحيح السند صح الإلتزام به على ظاهره، وإلا فإن أمكن صرفه عن ظاهره وتأويله بالحمل على المعاني المعقولة تعين تأويله، وإن لم يمكن تأويله وكان مضمونه منافياً للوجدان هادماً للضرورة، فمع صحة سنده لا يجوز العمل به لخلل في متنه، بل يرد علمه إلى أهله.

وإن كـان غير صحيح يضرب به الجدار ووجب إسقـاطه من جمهرة الأخبـار). إنتهى

أقول: هذه الضابطة التي أوردها قدس سره إنما هي في الأخبار المروية عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

ولم يتعرض لمطلق الخبر المنقول عن غير المعصومين سواء كان متنه عن أحوال المعصومين أو غيرهم، وسواء كان متنه عن أحوال الماضين أو الغائبين، بل العمل بالخبر سواء كان منقولاً عن المعصومين عليهم السلام أو عن غيرهم، وسواء كان متنه يتحدث عن المواعظ والأخلاق ومحاسن الآداب أو عن الحكم الشرعي أو عن كائن سماوي أو أرضي، أو عن أمر حاضر أو ماض، إنما هو راجع إلى السيرة العقلائية القائمة على العمل بكل خبرٍ ما لم يثبت كذبه ولو ظناً، أو يأته المعارض.

وعلى هذه السيرة، فالخبر التاريخي معمول به ما لم يثبت كذبه ولو ظناً أو يأته المعـارض، نعم إذا تضمَّن الخبر حكماً شرعياً فلا

يجوز الإفتاء بمضمونه لكل أحد، بل هو أمر مختص بالفقيه المجتهد، وإذا كان متضمّناً أمراً مما له دخل في أصول الدين، فلا يكتفى به، لإفادته الظن، وأصول الدين مبنية على العلم والقطع.

- ٢ -

سنقتصر في عرض وقائع النهضة الحسينية على كتب التاريخ العام في القرنين الثالث والرابع، لأنها الأقدم زمناً بالنسبة لغيرها الواصل إلينا ويصح تسميتها بالمصادر القديمة، مع عدم وصول ما كُتب في القرن الثاني إلينا، وعدم العثور على ما كُتب في القرن الأول.

وهذا لا يعني نفي الإعتبار عن مصادر بقية القرون، ولذا سنذكر ما انفردت به، وما انفرد به غير كتب التاريخ العام من كتب الحديث والأدب والتراجم والمناقب والمقاتل من خبرٍ أو إشارة أو دلالة على شيء من هذه الوقائع بحسب ما عثرت عليه.

وسيكون عرض الأخبار المتقدمة تبعاً لطبيعة النَّهضة الحسينية، ووقائعها من أجل التّوضيح والتّسهيل، وقد قسمت الأخبار إلى فصول.

الفصل الأول

عرض بيعة يزيد إلى خروج الإمام عليه السلام من المدينة

أو

الأيام المدنية

ـ ١ ـ
زمن وفاة معاوية

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٨:

(قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين).

٢ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٢٣ عن حوادث سنة ستين، قال:

(وفي هذه السنة هلك معاوية بن أبي سفيان بدمشق، فاختلف في وقت وفاته، بعد إجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة، وفي رجب منها.

فقال هشام بن محمد: مات معاوية لهلال رجب من سنة ستين.

وقال الواقدي: مات معاوية للنصف من رجب.

وقال علي بن محمد ـ المدائني ـ: مات معاوية بدمشق سنة ستين، يوم الخميس، لثمان بقين من رجب).

٣ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٦٩:

(وتوفي معاوية من الغد، وليس يزيد بحضرته، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهرٍ، وتوفي بدمشق ليلة الأحد، لأيام خلت من رجب سنة ستين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، والله أعلم).

٤ ـ وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٥:

(وتوفي مُستَّهَلِّ رجب، ويقال: للنصف من رجب سنة ٦٠، وهو ابن سبع وسبعين سنة، ويقال: ثمانين).

٥ ـ وفي مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٨:

(وتوفي في رجب سنة إحدى وستين، وله ثمانون سنة، ودفن بدمشق بباب الصغير).

٦ ـ وفي تاريخ خليفة بن خيّاط ص ١٤١:

(قال بقي، وقرئ على ابن بكير وأنا أسمع عن الليث قال: وفي سنة ستين توفي أمير المؤمنين معاوية في رجب، لأربع ليالٍ خلت منه).

٧ ـ وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١١١:

(ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين).

أقول: قول المسعودي في مروج الذهب أن وفاته سنة إحدى وستين ضعيف، بعد إجماعهم بشهادة الطَّبري على أن وفاته سنة ستين.

وعن المدائني والأندلسي في العقد الفريد أن وفاته يوم الخميس، وفي الفتوح أنه ليلة الأحد، ولا ترجيح لأحدهما على الأخر.

وأما بالنسبة لوقوع هذا اليوم في رجب

فعن هشام الكلبي عن أبي مخنف: هلال رجب

وعن الواقدي: نصف رجب

وعن المدائني والأندلسي في العقد الفريد: ثمان بقين من رجب.

وعن ابن أعثم في الفتوح: لأيام خلت من رجب.

وعن تاريخ اليعقوبي: مُستَهلِّ رجب.

وعن تاريخ ابن خيّاط: أربع ليال خلت من رجب.

والقول بوفاته لثمان بقين من رجب كالقول بوفاته نصف رجب ليس في محله، لأن يزيد كان غائباً عن دمشق وقت الوفاة، ثم استدعي وبويع، ثم بعث برسالة إلى الوليد عامله على المدينة بأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام وأخرين، ولما وصل الرسول استدعي الإمام وبعد يومين خرج من المدينة ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب.

وهذه الأمور لا تناسب وفاة معاوية في نصف رجب أو لثمان بقين منه، خصوصاً أن السير من الشام إلى المدينة يحتاج إلى اثني عشر يوماً للراكب المجد، كما في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٤٨٢.

والقول بوفاته لأربع ليال خلت من رجب كما هو قول ابن أعثم وابن خيّاط معارض بأنها في مُستَهَلّ رجب كما هو قول أبي مخنف واليعقوبي، إلا أن يحمل لفظ (مُستَهَلّ رجب) على أوائل الشهر، وليس على أوله، وعليه فلا تنافي بين القولين.

ـ ٢ ـ
من هو والي المدينة

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٨، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف:

(وأمير المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عُبيد الله بن زياد، وأمير مكَّة عمرو بن سعيد بن العاص).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٥:

(وفتح يزيد بيوت الأموال، فاخرج لأهل الشام أموالاً جزيلة ففرقها عليهم، ثم عزم على بعث الكتب إلى جميع البلاد وبأخذ البيعة له، وكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فعزله يزيد وولّى مكانه الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وكتب إليه).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٣:

(قال أبو مخنف وأبو عوانة وغيرهما: وَليَ يزيد بن معاوية، وعمال أبيه، على الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وعلى مكَّة عمرو بن سعيد الأشدق.

وقال بعضهم: كان على مكّة الحارث بن خالد، وعلى المدينة الأشدق، والأول أثبت).

٤ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٢٢:

(وقال الواقدي: عَزَلَ يزيدُ الوليد بن عتبة، لأن مروان كتب بذكر ضعفه ووهنه وإدهانه، وولّى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وولّى يحيى بن الحكم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي مكّة.

وقال هشام الكلبي: هو يحيى بن حكيم بن صفوان، ولاه عمرو بن سعيد مكّة، وصار إلى المدينة ـ إلى أن قال ـ وقال أبو مخنف وعوانة، عزل يزيد الوليد بن عتبة، وجمع مكة والمدينة لعمرو بن سعيد).

٥ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٧:

(ومات معاوية، وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكّة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية، وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد).

٦ ـ وفي أمالي الصدوق المجلس الثلاثين ص ١٣٠:

(فلما هلك معاوية، وتولى الأمر بعده يزيد، بعث عامله على مدينة رسول الله، وهو عمه عتبة بن أبي سفيان، فقدم المدينة وعليها مروان بن الحكم، وكان عامل معاوية.

فأقامه عتبة من مكانه، وجلس فيه لينفذ فيه أمر يزيد، فهرب مروان ولم يقدر عليه، وبعث عتبة إلى الحسين بن علي...).

٧ ـ وفي المقتل المُستَلّ من طبقات ابن سعد في أكثر من مورد أنه (الوليد بن عقبة بن أبي سفيان).

٨ ـ وفي تاريخ خليفة بن خيّاط ص ١٤٢ :

(وفيها ـ سنة الستين ـ نزع الوليد بن عتبة عن المدينة، وأمر عمرو بن سعيد على المدينة ومكّة والطائف، فحج عامئذ بالنَّاس عمرو ابن سعيد، ثم نزع في مُستَهَلّ ذي الحجة وأمر الوليد بن عُتبة).

٩ ـ وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٤ :

(فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه إلى عشرة أيام كتب إلى خالد بن الحكم، وهو عامل المدينة).

أقول: أكثر الأخبـار المتقدمة على أن والي المدينة هو الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، فقول ابن سعد أنه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ليس في محله، لأن أبا سفيان ليس له ولد باسم (عقبة)، بل اسمه (عتبة).

قال ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٤ : (وكان لأبي سفيان من الولد أم حبيبة. . . وعتبة).

ولعل التعبير بابن عقبة في مقتل ابن سعد من سهو قلم النساخ، إذ لا يفوت ابن سعد هذا الأمر.

وقول ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن عامل المدينة هو خالد بن الحكم ليس في محله أيضاً لمخالفته أكثر الأخبار.

وقول الفتوح أن العامل هو مروان بن الحكم إلى حين تولية يزيد ليس في محله أيضاً، نعم مروان كان عاملاً على المدينة زمن معاوية، ثم عزله ونصب مكانه الوليد بن عتبة.

وقول الصدوق أن العامل هو مروان بن الحكم ثم عزل وأقيم مقامه عتبة بن أبي سفيان، الذي هو عم يزيد ليس في محله أيضاً، بل

عتبة بن أبي سفيان مات قبل ذلك سنة أربعين أو ثلاث وأربعين، أو أربع وأربعين، ودفن في مصر كما في الإستيعاب ج ٣ ص ١٤٦، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٤.

هذا بالنسبة لعامل المدينة، وأما عامل مكة فالجمع بين الأخبار المتقدمة يفيد أن العامل على مكة عند وفاة معاوية هو عمرو بن سعيد الأشدق، غايته عندما خرج الإمام عليه السلام من المدينة وتساهل معه الوليد، بعث مروان بذلك إلى يزيد، فعزل الوليد وولّى مكانه عمرو بن سعيد، ويكون قد جمع له مكة والمدينة كما هو قول الكلبي المنقول في الخبر الثاني في أنساب الأشراف، بل والطائف أيضاً كما هو صريح تاريخ ابن خيّاط.

ثم بعدما خرج عمرو بن سعيد من مكّة إلى المدينة بعد خروج الإمام عليه السلام من المدينة، ولّى عمرو مكانه على مكّة يحيى بن حكيم بن صفوان كما يدل قول الكلبي المتقدم.

فقول الدينوري في الأخبار الطوال أن يحيى بن حكيم عامل مكّة محمول على أنه عاملها من قبل عمرو بن سعيد، وليس عاملاً أصلياً من قبل يزيد.

ومما تقدم تعرف ضعف القول بأن عامل مكّة هو الحارث بن خالد كما عن بعضهم على ما تقدم في أنساب الأشراف.

ـ ٣ ـ
كتاب يزيد إلى الوليد

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٨، عن هشام عن أبي مخنف:

(ولم يكن ليزيد همة حين ولي الأمر إلا بيعة النفر ـ الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعى النَّاس إلى بيعته، وأنه ولي عهده بعده ـ والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة.

أما بعد: فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات براً تقياً، والسلام.

وكتب إليه في صحيفة، كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٥:

(وكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فعزله يزيد وولى

مكانه الوليد بن عتبة بن سفيان، وكتب إليه:

من عبد الله يزيد بن معاوية، أمير المؤمنين، إلى الوليد بن عتبة، أما بعد:

فإن معاوية كان عبداً لله من عباده، أكرمه الله واستخلفه وخوله، ومكن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه، عاش بقدر ومات بأجل، عاش براً تقياً، وخرج من الدنيا رضياً زكياً، فنعم الخليفة كان، ولا أزكيه على الله هو أعلم به مني، وقد كان عهد إليَّ عهداً، وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن أحارب آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة على أهل المدينة والسلام.

ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ الحسينِ بن علي، وعبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب أخذاً عنيفاً ليس فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٣: عن أبي مخنف وعوانة وغيرهما:

(فلما ولي كتب إلى الوليد مع عبد الله بن عمرو بن أويس، أحد بني عامر بني لؤي، ثم ساق الخبر بما يقرب من خبر أبي مخنف المتقدم، وفي آخره: ليست فيه رخصة ولا هوادة).

٤ ـ وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٨:

(فلما قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة، إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلي

برؤوسهما، وخذ النَّاس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، والسلام).

أقول: خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري لم يذكر اسم الرسول، والخبر المروي في أنساب الأشراف ذكر اسمه وهو: (عبد الله بن عمرو بن أويس).

وخبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري وأنساب الأشراف لم يذكر اسم عبد الرحمان بن أبي بكر في جملة النفر الذين طلب يزيد من الوليد أخذهم بالبيعة، وهو الأصح، لأن ابن أبي بكر المذكور قد مات قبل الستين، إما في ثلاث وخمسين للهجرة كما هو قول الأكثر، أو أربع وخمسين أو خمس وخمسين أو ست وخمسين، أو ثمان وخمسين، كما في الإستيعاب ج ٢ ص ٣٧٠، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٦٤، والإصابة ج ٤ ص ٢٧٦.

ومنه تعرف ضعف ما في الفتوح من كون عبد الرحمان المذكور من جملة الرهط الذين أمر يزيد بأخذ البيعة منهم، وضعف حصر اليعقوبي الرهط بالإمام عليه السلام وابن الزبير.

وفي خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري: أخذ البيعة أخذاً شديداً لا رخصة فيه، وخبره في أنساب الأشراف: بلا رخصة فيه ولا هوادة.

وفي الفتوح: أخذاً عنيفاً ليس فيه رخصة، ومن أبى فالقتل، وفي تاريخ اليعقوبي: الأمر بالقتل عند الإمتناع، وبعث الرؤوس، وهو الأقرب لموافقته طلب يزيد من ابن زياد ـ كما سيأتي ـ القتل وبعث الرؤوس.

أخبار أموية لا بد من ردها:

ففي المقتل المُستَلّ من طبقات ابن سعد ص ٥٥:

(فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري، ـ عامر بني لؤي ـ إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وهو على المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي، فإن أمير المؤمنين عهد إلي في أمره بالرفق به واستعلامه).

وفي تاريخ خليفة بن خيّاط ص ١٤٤: (ومنها ـ سنة ستين ـ بعث يزيد بن معاوية زريقاً مولاه إلى الوليد بن عُتبة، فحدَّثني وهب بن جرير قال: حدَّثني أبي، عن محمد قال: حدَّثني زريق مولى معاوية قال: لما هلك معاوية بعثني يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة، وهو أمير المدينة، وكتب إليه بموت معاوية، وأن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيأمرهم بالبيعة له).

وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٤:

(فلمَّا قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه إلى عشرة أيام، كتب إلى خالد بن الحكم، وهو عامل المدينة:

أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان، كان عبداً استخلفه الله على العباد، ومكن له في البلاد، وكان من حادث قضاه الله جل ثناؤه، وتقدمت أسماؤه فيه ما سبق في الأولين والآخرين، لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فعاش حميداً، ومات سعيداً، وقد قلدنا الله عز وجل ما كان إليه، فيا لها مصيبة ما أجلها، ونعمة ما أعظمها، نقل الخلافة وفقد الخليفة، فنوزعه الشكر، ونستلهمه الحمد، ونسأله الخيرة في الدارين معاً، هو محمود العقبى في الآخرة والأولى، إنه ولي ذلك، وكل شيء بيده لا شريك له.

وإن أهل المدينة قومنا ورجالنا، ومن لم نزل على حسن الرأي

فيهم، والإستعداد بهم، وإتباع أثر الخليفة فيهم، والإحتذاء على مثاله لديهم، من الإقبال عليهم والتقبل من محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم، فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا، بيعة منشرحة بها صدوركم، طيبة عليها أنفسكم، وليكن أول من يبايعنا من قومنا وأهلنا الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر.

ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم، وطلاق نسائهم، بالثبات على الوفاء، بما يعطون من بيعتهم، ولا قوة إلا بالله، والسلام).

وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٢٦، عن زريق مولى معاوية، قال:

(لما هلك معاوية بعثني يزيد إلى الوليد بن عتبة، ولم يكن بسيرته بأس، وكتب إليه بموت معاوية، وأن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيأخذهم بالبيعة ـ إلى أن قال ـ فبعث إلى الحسين، وابن الزبير، وابن عمر، وابن مطيع).

أقول: قد عرفت أن اسم الرسول هو (عبد الله بن عمرو بن أويس) كما في خبر أبي مخنف المروي في أنساب الأشراف، وبهذا الإسم ذكره ابن سعد، فما في تاريخ ابن خيّاط أن اسمه زريق مولى معاوية وكذا الخبر المروي في أنساب الأشراف ليس في محله.

وقد عرفت أن النفر الذين أبوا عن البيعة وطلب يزيد من الوليد بيعتهم هم ثلاثة: الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، لما تقدم من موت عبد الرحمان بن أبي بكر قبل ذلك، ولما سيأتي من كلام مروان عن هؤلاء الثلاثة عندما استشاره الوليد، وعليه

فما في الإمامة والسّياسة أن النَّفر خمسة، الثلاثة المتقدمة مع ابن عباس وابن جعفر وفي الخبر المروي في أنساب الأشراف أن النفر أربعة، الثلاثة المتقدمة مع ابن مطيع ليس في محله.

وقد عرفت أن يزيد طلب القتل عند الإمتناع وبعث الرؤوس، فما في خبر ابن سعد بكون الطلب هو الرفق بالإمام واستعلامه، وما في خبر الإمامة والسياسة بكون الطلب هو أخذ البيعة مع انشراح صدورهم وطيب أنفسهم وغير ذلك ليس في محله، على أن في الخبرين المذكورين روحاً أموية تضفي على يزيد شخصية الحاكم الرفيق الذي تمت بيعته بإرادة أعيان الصحابة والتابعين.

ـ ٤ ـ

وصول الكتاب إلى الوليد واستشارة مروان

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩، عن هشام، عن أبي مخنف:

(فلما أتاه نعي معاوية فظع به، وكبر عليه، فبعث إلى مروان ابن الحكم فدعاه إليه ـ وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً، فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلمَّا عظم على الوليد هلاك معاوية، وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه ـ فلما قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد في الأمر، وقال:

كيف ترى أن نصنع؟

قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم، قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه.

أما ابن عمر، فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أنه يولى على الناس، إلا أن يرفع إليه هذا الأمر عفواً).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٦:

(فلمَّا ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة، وقرأه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عُتْبَة، من أدخله في هذه الإمارة، ما لي وللحسين بن فاطمة.

ثم بعث إلى مروان بن الحكم، فأراه الكتاب، فقرأه فاسترجع، ثم قال: يرحم الله أمير المؤمنين معاوية.

فقال الوليد: أشر علي برأيك في هؤلاء القوم، كيف ترى أن أصنع؟.

فقال مروان: تبعث إليهم في هذه الساعة، فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا ذلك قدمهم واضرب أعناقهم، قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل، فأظهر الخلاف، ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، وما لا تقوم له.

أما عبد الله بن عمر، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً، إلا أن تأتيه الخلافة، فيأخذها عفواً، فذر عنك ابن عمر.

وابعث إلى الحسين بن علي، وعبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الله بن الزُّبير، فادعهم إلى البيعة مع إني أعلم أن الحسين بن علي خاصة لا يجيب إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى له عليه طاعة، ووالله إني لو كنت موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته كائناً في ذلك ما كان.

فأطرق الوليد بن عتبة إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه وقال:

يا ليت الوليد لم يولد، ولم يكن شيئاً مذكوراً، ثم دمعت عيناه.

فقال له عدو الله مروان: أوّاه أيها الأمير، لا تجزع مما قلت لك، فإن آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر لم يزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه، وبعد، فإني لست آمن ـ أيها الأمير ـ أنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد.

فقال له الوليد بن عُتْبة: مهلاً، ويحك يا مروان عن كلامك هذا، وأحسن القول في ابن فاطمة، فإنه بقية ولد النَّبيين).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٣ ـ ٤١٣ عن أبي مخنف وعوانة وغيرهما، ما يقرب من خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري فلا نعيد.

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٧:

(فلمَّا ورد ذلك على الوليد قطع به، وخاف الفتنة، فبعث إلى مروان، وكان الذي بينهما متباعداً، فأتاه فأقرأه الوليد الكتاب، واستشاره، فقال له مروان: أما عبد الله بن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر فلا تخافنَّ ناحيتهما، فليسا بطالبين شيئاً من هذا الأمر.

ولكن عليك بالحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فابعث إليهما الساعة، فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر، فيثب كل واحد منهما ناحية، ويظهر الخلاف).

٥ ـ وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٨:

(فورد الكتاب على الوليد ليلاً).

أخبار في مصادر أموية لا بأس بقبولها وهي:

١ ـ في تاريخ ابن خيّاط ص ١٤٤ عن زريق مولى معاوية في حديث:

(فقدمت المدينة ليلاً، فقلت للحاجب: استأذن لي، فقال، قد دخل، ولا سبيل إليه.

فقلت: إني قد جئته بأمر فدخل فأخبره، فأذن له، وهو على سريره، فلما قرأ كتاب يزيد بوفاة معاوية واستخلافه، جزع لموت معاوية جزعاً شديداً، فجعل يقوم على رجليه ويرمي بنفسه على فراشه، ثم بعث إلى مروان، فجاء وعليه قميص أبيض وملاءة موردة، فنعى له معاوية وأخبره أن يزيد كتب إليه أن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيدعوهم إلى البيعة ليزيد.

فترحم مروان على معاوية، ودعا له بخير، وقال: ابعث إلى هؤلاء الرهط فادعهم إلى البيعة، فإن بايعوا وإلا فاضرب اعناقهم.

قال: سبحان الله، أقتلُ الحسين بن علي وابن الزبير؟.

قال: هو ما أقول لك).

٢ ـ وفي تاريخ ابن خيّاط أيضاً ص ١٤٤ عن وهب، عن جويرية بن إسماء، قال: (سمعت أشياخنا من أهل المدينة مالا أحصي يحدِّثون: أن معاوية توفي وفي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فأتاه موته، فبعث إلى مروان بن الحكم وناس من بني أميَّة، فأعلمهم الذي أتاه.

فقال مروان: ابعث الساعة إلى الحسين وابن الزبير، فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما، وقد هلك عبد الرحمان بن أبي بكر قبل ذلك).

٣ ـ وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥:

(وذكروا أن خالد بن الحكم لما أتاه الكتاب من يزيد فظع به، فدعا مروان بن الحكم وكان على المدينة قبله،فلما دخل عليه مروان،وذلك في أول الليل، قال له خالد:

إحتسب صاحبك يا مروان.

فقال له مروان: اكتم ما بلغك، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم أقرأه الكتاب، وقال له: ما الرأي؟ فقال: ارسل الساعة إلى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإنهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام، فعجل عليهم قبل أن يفشو الخبر فيمتنعوا).

أقول: وصل الرسول ليلاً على الوليد كما هو صريح خبر اليعقوبي، ويؤيده الخبر الأول لابن خيَّاط، ومن جهةٍ أخرى فكلام مروان في حق عبد الرّحمان بن أبي بكر كما في خبري الأخبار الطوال والفتوح ليس في محله، لما تقدم من موت عبد الرّحمان قبل ذلك.

ومن جهةٍ ثالثة فالأخبار المتقدمة صريحة في أمر مروان بقتل الإمام﷣ وابن الزبير عند عدم البيعة، كما في أمر يزيد من قبل.

ومن جهةٍ رابعة فخبر ابن أعثم في الفتوح فيه خصوصيات غير موجودة في غيره توافق طبع مروان الذي قالها.

ومن جهةٍ خامسة انفرد ابن خيّاط في الخبر الثّاني بأن الوليد بعث إلى مروان وجماعة من بني أميَّة، وهو ليس في محله، لمخالفته بقية الأخبار المصرحة بأنه بعث إلى مروان فقط.

(بيان): صرمه: هجره وانقطع عنه.

ـ ٥ ـ
بعث الوليد إلى الإمامعليه السلام

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ص ٣٣٩، عن هشام، عن أبي مخنف:

(فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلام حدث ـ إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للنَّاس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا، الأمير يدعوكما.

فقالا له: إنصرف، الآن نأتيه).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٧:

(ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن علي، وعبد الرحمان ابن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير، فدعاهم، فأقبل إليهم الرسول، والرسول عمرو بن عثمان بن عفان، فلم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو المسجد، فإذا القوم عند قبر النَّبيصلى الله عليه وآله، فسلّم عليهم، ثم قام وقال: أجيبوا الأمير.

فقال الحسين: يفعل الله ذلك، إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله.

فانصرف الرسول إلى الوليد، فأخبره بذلك).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٤:

نفس خبر أبي مخنف المتقدم، وزاد عليه:

(ثم أعاد عليهما الرسل وألح عليهما، فأما الحسين فامتنع بأهل بيته ومن كان على رأيه، وفعل ابن الزُّبير مثل ذلك، وبعث إليه الحسين أن كف حتى ننظر وتنظروا، ونرى وتروا).

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٧:

مضمون خبر أبي مخنف المتقدم في تاريخ الطَّبري.

أقول: الرّسول هو عبد الله بن عمرو بن عثمان كما في خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري وأنساب الأشراف والأخبار الطوال، فما في الفتوح أنه (عمرو بن عثمان بن عفان) ليس في محله.

وقد تقدم أن عبد الرَّحمان بن أبي بكر قد مات قبل سنة الستين، فما في الفتوح أنه من جملة الرهط الذين بعث إليهم الرّسول ليس في محله.

وصريح الأخبار المتقدمة والآتية أن الرسول ذهب مرة واحدة، فأجابه الإمام بالإتيان، فما في خبر أنساب الأشراف أنه أعاد إليهما الرسل وألح عليهما ليس في محله، نعم يصدق هذا بالنسبة إلى ابن الزبير في نهار تلك اللّيلة كما سيأتي، ونعم سيأتي خبر الفتوح أنه عاد الرسول إليهما ثانية في نفس اللّيلة، ولم يكن تعدد الرسل، إنما هو عودة الرسول ثانية.

أخبار أموية لا بد من ردها، وهي:

١ ـ في المقتل المُستَلّ من طبقات ابن سعد ص ٥٥:

(فبعث الوليد بن عقبة من ساعته ـ نصف اللّيل ـ إلى الحسين بن علي، وعنده عبد الله بن الزبير، فأخبرهما بوفاة معاوية، ودعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: نصبح وننظر ما يصنع الناس).

٢ ـ وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥:

(فأرسل إلى الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر).

٣ ـ وفي البدء والتاريخ للبلخي ج ٢ ص ٢٤٠:

(فاستدعاهما في جوف اللّيل، ونعى إليهما معاوية، وأخذهما بالبيعة ليزيد، فقالا: حتى نصبح.

وانصرفا من عنده، وخرجا من تحت اللّيل إلى مكّة، وأبيا أن يبايعا).

٤ ـ وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٥، عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم:

(لما مات معاوية بن أبي سفيان، وجاءت وفاته إلى المدينة، وعليها يومئذ الوليد بن عتبة، فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله ابن الزبير، فدعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: بالغد إن شاء الله على رؤوس الناس، وخرجا من عنده).

أقول: عرفت توصية مروان بابن عمر، وعرفت أن الوليد بعث إلى الإمام وابن الزُّبير فقط، فما في الإمامة والسياسة أنه بعث إليهما وإلى ابن عمر ليس في محله.

وعرفت أن الرسول وجدهما في المسجد فما هو ظاهر خبر ابن سعد أن الرسول ذهب إلى بيت الإمام عليه السلام ووجد عنده ابن الزُّبير ليس في محله.

وستعرف أن الذي قدم على الوليد هو الإمام عليه السلام فقط، فما في الأخبار المتقدمة أن القادم الإمام مع ابن الزُّبير مع عرض البيعة من قبل الوليد وإرجائها من قبلهما من دون حضور مروان، ومن دون المحاورة التي جرت بين مروان وبين الإمام عليه السلام ليس في محله.

(بيان) من مجموع الأخبار المتقدمة في هذه الفقرة وما قبلها تعرف أن الرسول ذهب إليهما ليلاً، وسيأتي ما يؤكد ذلك، وأنها ليلة الجمعة وهي ليلة السادس والعشرون من رجب سنة ستين.

ـ ٦ ـ
محادثة الإمام عليه السلام مع ابن الزبير

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٩:

(ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزُّبير للحسين: ظُنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة، التي لم يكن يجلس فيها !

فقال الحسين: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة، قبل أن يفشو في الناس الخبر.

فقال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟

قال: أجمع فتياني الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه.

قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت.

قال: لا آتيه إلا وأنا على الإمتناع قادر)

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٧-٧٨:

(وأقبل عبد الله بن الزُّبير على الحسين بن علي، فقال: يا أبا عبد الله، إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للنَّاس، وإني قد أنكرت ذلك، وبعثه في هذه الساعة إلينا، ودعاءه إيانا بمثل هذا الوقت، أترى في أي أمر طلبنا؟.

فقال له الحسين: إذن أخبرك أبا بكر، إني أظن بأن معاوية قد مات، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس، ورأيتُ داره تشتعل ناراً، فأَولْتُ ذلك في نفسي أنه مات.

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا بن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعة يزيد أبا عبد الله؟.

قال: أصنع، أني لا أبايع أبداً، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لأخي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لإحد من بعده من ولده، وأن يردها إليّ إن كنت حياً، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه، ولم يف لي، ولا لأخي الحسن بما كان ضمِنْ، فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به، انظر أبا بكر أني أبايع ليزيد، ويزيد رجل فاسق معلن بالفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً.

فبينما هما كذلك في هذه المحاورة، إذ رجع إليهم الرسول، فقال: أبا عبد الله إن الأمير قاعد لكما خاصة، فقوما إليه.

فزبره الحسين بن علي، ثم قال: انطلق إلى أميرك، لا أم لك، فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه، أما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى.

فرجع الرَّسول أيضاً إلى الوليد بن عتبة، فقال: أصلح الله الأمير، أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب، وها هو صائر إليك في أثري.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين.

فقال الوليد: مهلاً، فليس مثل الحسين يغدر، فلا يقول شيئاً ثم لا يفعل.

ثم أقبل الحسين على من بحضرته، فقال: قوموا إلى منازلكم، فإني صائر إلى هذا الرجل، فأنظر ما عنده وما يريد.

فقال له ابن الزبير: جعلت فداك - يا بن بنت رسول الله ﷺ - إني خائف عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً دون أن تبايع، أو تقتل.

فقال الحسين: إني لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إلي وخدمي وأنصاري، وأهل الحق من شيعتي، ثم آمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسْلولاً تحت ثيابه، ثم يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم، وقلت: يا آل الرسول ادخلوا، دخلوا، وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الإمتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماضٍ فيَّ، وهو الذي يفعل في بيت رسوله صلّى الله عليه وآله وسلم ما يشاء ويرضى).

٣ - وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٧:

(فقال ابن الزبير للحسين رضي الله عنه: فيم تراه بعث إلينا في هذه الساعة؟

فقال الحسين: أحسب معاوية قد مات، فبعث إلينا بالبيعة.

قال ابن الزبير: ما أظن غيره، وانصرفا إلى منازلهما).

أقول: في خبر الفتوح تفصيل ما أجمله خبر أبي مخنف، وفي الأخبار الطوال إختصار غير مبرر.

خبر أموي:

في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥:

(فلمَّا أتاهم الرسول، قال عبد الله بن الزبير للحسين: ظُنَّ يا أبا

عبد الله فيما أرسل إلينا؟

فقال الحسين: لم يرسل إلينا إلا للبيعة، فما ترى؟

قال: آتيه، فإن أراد تلك امتنعت عليه).

أقول: ما يظهر من خبر الإمامة والسياسة أن الإمام عليه السلام قد سأل ابن الزبير عما يفعله ليس في محله لمخالفته الأخبار المتقدمة على أن السؤال من ابن الزبير.

ـ ٧ ـ
دخول الإمام عليه السلام على الوليد

١ ـ في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٣٩-٣٤٠، عن هشام، عن أبي مخنف:

(فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد، وقال لأصحابه، إني داخل، فإن دعوتكم، او سمعتم صوته قد علا فاقتحموا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

فدخل فسلم عليه بالإمرة، ومروان جالس عنده، فقال الحسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما.

فلم يجيباه في هذا الشيء، وجاء حتى جلس، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، ورحم الله معاوية، وعظم لك الأجر، أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يُعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس النَّاس علانية.

قال: اجل

قال: فإذا خرجت إلى النّاس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً.

فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية ـ فانصرف على اسم الله، حتى تأتينا مع جماعة النَّاس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزرقاء، أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

ثم خرج فمرّ بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى مَنْزِله.

فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يُمِكنُك من مثلها من نفسه أبداً.

قال الوليد: وَبّخْ غيرَك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدّنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً، سبحان الله، أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع؟ والله إني لا أظن أمرأً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٧٨-٨٠:

(ثم صار الحسين بن علي إلى منزله، ثم دعا بماء فلبس وتطهر بالماء، وقام فصلى ركعتين، ودعا ربه بما أحب في صلاته، فلما فرغ

من ذلك أرسل إلى فتيانه، وعشيرته، ومواليه، وأهل بيته، فأعلمهم بشأنه، ثم قال: كونوا بباب هذا الرجل فإني ماضٍ إليه، ومكلّمه، فإن سمعتم أن صوتي قد علا، وسمعتم كلامي، وصحتُ بكم: يا آل الرسول، فادخلوا واقتحموا من غير إذن، ثم اشهروا السيوف، ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم، ثمَّ اقتلوا من يريد قتلي.

ثم خرج الحسين من مَنْزِله، وفي يده قضيب رسول الله ﷺ، وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عُتبة، ثمَّ قال: انظروا ماذا أوصيتكم فلا تتعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله.

ثم دخل الحسين على الوليد بن عُتبة، فسلّم عليه، فرد عليه رداً حسناً، ثم أدناه وقرّبه، ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد.

وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة، فأقبل الحسين على الوليد، فقال: أصلح الله الأمير، والصّلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء، وقد آن أن تجتمعا، فالحمد لله الذي ألّف بينكما.

فلم يجيباه في هذا بشيء، فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية خبر، فإنّه كان عليلاً، وقد طالت علتُه، فكيف حاله الآن.

فتأوه الوليد، وتنفس الصُّعداء، وقال: أبا عبد الله، آجرك الله في معاوية، فقد كان لك عم صدق، وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظَّم الله لك الأجر

أيّها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟.

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه النَّاس.

فقال الحسين: إن مثلي لا يُعطي بيعته سراً، وإنما أحببت أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد، ودعوت النّاس إلى البيعة دعوتنا معهم ليكون أمرنا واحداً.

فقال له الوليد: أبا عبد الله، لقد قلت فأحسنت في القول، وأحببت جواب مثلك، وكذا ظني بك، فانصرف راشداً على بركة الله، حتى تأتيني غداً مع النّاس.

فقال مروان بن الحكم: أيّها الأمير، إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع، فإنك لن تعذر منه، ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك، ولا تدعه يخرج أو يبايع، وإلا فاضرب عنقه.

فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا بن الزرقاء، أتأمر بضرب عنقي، كذبت والله، لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً.

ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيَّها الأمير، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالخلافة والبيعة.

وسمع من بالباب الحسين، فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فأُخرج إليهم الحسين سريعاً، وأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى مَنْزِله.

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبداً، والله ليخرجنّ عليك، وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك.

فقال له الوليد بن عُتبة: ويحك أشرتَ عليَّ بقتل الحسين، وفي مقتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وأني قتلت الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحداً يلقى الله بقتل الحسين، إلا وهو خفيف الميزان عند الله، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب إليم فسكت مروان).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٦-٣١٧:

أورد مضمون خبر أبي مخنف المتقدم، بقوله: (وقد روي أيضاً).

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٨:

أورد مضمون خبر أبي مخنف المتقدم مختصراً، إلا أنه أورد فيه: (قال الحسين: إن مثلي لا يُعطي بيعته سراً، وأنا طوع يديك).

٥ ـ وفي (تاريخ اليعقوبي) ج ٢ ص ٢٢٨:

(فوجه إلى الحسين عليه السلام وإلى عبد الله بن الزُّبير، فأخبرهما الخبر، فقالا: نصبح ونأتيك مع النَّاس، فقال له مروان: انَّهما والله إن خرجا لم ترهما، فخذهما بأن يبايعا، وإلا فاضرب أعناقهما.

فقال: والله ما كنتُ لأقطع أرحامهما، فخرجا من عنده، وتنحيا من تحت ليلتهما).

٦ ـ وفي أمالي الصدوق ص ١٣٠:

(وبعث عتبة إلى الحسين بن علي، فقال: إن أمير المؤمنين أمرك

أن تبايع له، فقال الحسين عليه السلام: يا عتبة، قد علمت أنا أهل بيت الكرامة ومعدن الرسالة، وأعلام الحق الذين أودعه الله عز وجل قلوبنا، وانطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله عز وجل.

ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الخلافة محرَّمة على ولد أبي سفيان، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم هذا).

أقول: أجمع خبر مشتمل على تفاصيل غير موجودة في غيره، هو خبر الفتوح، وليس فيه ترحم الإمام عليه السلام على معاوية، وإنما قال: وعظم الله لك الأجر أيها الأمير، ولعل الترحم زيد في خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري وأنساب الأشراف بأيدي أموية.

مع أن الروح الأموية واضحة في فقرة الأخبار الطوال عند ما قال الإمام عليه السلام للوليد (وأنا طوع يديك).

نعم في خبر اليعقوبي أن الإمام عليه السلام وابن الزبير قد دخلا معاً على الوليد، وهو غير موجود في بقية المصادر المتقدمة، نعم هذا موجود في أخبار المصادر الأموية كما سيأتي، فلا يمكن الأخذ به، بل سيأتي أن ابن الزبير لم يدخل على الوليد، بل خرج إلى مكّة في اللَّيلة التالية بعد تتابع الرسل.

ومن جهةٍ أخرى ففي خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطَّبري قال الوليد لمروان:

(وَبّخْ غيرَك يا مروان)، وفي الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٣٣:

(الويح لغيرك) وفي نسخة أخرى من الإرشاد (ويح غيرك يا مروان).

والشَّيخ المفيد ينقل أخبار أبي مخنف المروية في تاريخ

الطَّبري، وعلى كل فهذا تعظيم من الوليد لمروان، أني لا أقول لك: ويحك، بل أقول لغيرك.

ولكن في خبر الفتوح: (ويحك).

ثم في خبر أبي مخنف المتقدم أن مروان طلب من الوليد قتل الإمام، وأن الإمام عليه السلام خرج بعد محاورة بينه وبين مروان، وكذا في خبر الفتوح، ولكن في مناقب ابن شهراشوب ج ٤ ص ٨٨:

(فلمَّا دخل عليه، وقرأ الكتاب قال: ما كنت أبايع يزيد.

قال مروان: بايع لأمير المؤمنين، فقال الحسين: كذبت ويلك على المؤمنين، من أمرَّهُ عليهم؟

فقام مروان وجرد سيفه، وقال: مر سيافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار، ودمه في عنقي، وارتفعت الصيحة فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته، وقد انتضوا خناجرهم، فخرج الحسين معهم).

وهذا مما لا موافق له في خبري أبي مخنف والفتوح، وغيرهما من المصادر.

(بيان)

قال الإمام عليه السلام لمروان: يا بن الزرقاء، قال السيد المقرم في مقتله ص١٣٠ ـ١٣١ في الهامش (في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٢٩، طبع إيران، والآداب السلطانية للفخري ص ٨٨: كانت جدة مروان من البغايا، وفي كامل ابن الأثير ص٧٥: كان الناس يُعَيّرون وُلد عبد الملك بن مروان بالزرقاء بنت موهب، لأنها من المومسات، ومن ذوات الرايات، وفي تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٤٠٧: جرى كلام بين مروان وعبد الله بن الزُّبير، فقال له عبد الله: وإنك لهنا يا ابن الزرقاء، وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٣٩: قال

عمر بن العاص لمروان في كلام جرى بينهما: يا ابن الزرقاء، فقال مروان: إن كانت زرقاء فقد أنجبت، وأدَّت الشبه إذا لم تؤده غيرُها.

وفي تاريخ الطَّبري ج ٨ ص ١٦: كان مروان بن محمد بن الأشعث يقول: لم يزل بنو مروان يُعَيّرون بالزرقاء، وأن بني العاص من أهل صفورية.

غير خفي أن أدب الشريعة وأن حرّج على المؤمن التَّنابز بالألقاب والطعن في الأنساب، ومَنْ تستفاد منه الحكم والآداب الإلهية احرى بالأخذ بها، إلا أن إمام الأمَّة والحجّة على الخليقة العارف بالملابسات لا يتعدى هذه المقررات، وابتعادنا عن مقتضيات أحوال ذلك الزمان يلزمنا التسليم للإمام المعصوم عليه السلام في كل ما يصدر منه، خصوصاً مع مطابقته للقرآن العزيز الذي هو مصدر الأحكام.

والتّعبير الصادر من الحسين لمروان صدر مثلُه من الجليل عز شأنه مع الوليد بن المُغيرة المخزومي إذ يقول في سورة القلم ١٣ " عتُل بعد ذلك زنيم "، والزنيم في اللّغة: الدعي في النسب اللصيق به، وورد في حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلم كما في كنز العمال ج ١ ص ١٥٦، العُتل الزَّنيم: الفاحش اللَّئيم، ويروي الألوسي في روح المعاني ج ٢٩ ص ٢٨ أن أباه المُغيرة ادعاه بعد ثمان عشرة سنة من مولده.

فإذا كان ينبوع الأدب والأسرار يغمز في حق رجل مُعَيّن، ويَسِمْهُ بالقبيح في كتابه، الذي يتلى في المحاريب ليلاً ونهاراً، فلا يستغرب من ابن النُّبوة إذا رمى مروان بالشائنة، وهو ذلك المتربص بهم الغوائل).

وأقول: في أنساب الأشراف ج ٦ ص ٢٥٧ (وكانت أم آمنة أم

مروان وأخوته صفية، ويقال: الصعبة، بنت أبي طلحة العبدري، وأمها مارية بنت موهب كندية، وهي الزرقاء التي يُعَيَّرون بها، فيقال: بنو الزرقاء، وكان موهب قيناً).

أخبار أموية:

١ ـ في المقتل المُستَلّ من طبقات ابن سعد ص ٥٥:

(ووثب الحسين فخرج، وخرج معه ابن الزُّبير، وهو يقول: هو يزيد الذي نعرف، والله ما حدث له حزم ولا مرؤة.

وقد كان الوليد أغلظ للحسين، فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه، فقال الوليد: إن هجنا بأبي عبد الله إلا أسداً.

فقال له مروان، أو بعض جلسائه: اقتله.

قال: إن ذاك لدم مظنون في بني عبد مناف.

فلما صار الوليد إلى منزله، قالت له إمرأته ـ أسماء بنت عبد الرحمان بن الحارث بن هشام ـ: أسببت حسيناً؟

قال: هو بدأ فسبني.

قالت: وإن سَبّك تسبّه؟ وإن سبّ أباك تَسبُّ أباه؟)

٢ ـ وفي تاريخ ابن خيّاط ص ٤٤، عن وهب، عن جويرية بن أسماء في حديث:

(فأتاه ابن الزُّبير، فنعى له معاوية، وترحم عليه وجزاه خيراً، فقال له: بايع.

قال: ما هذه ساعة مبايعة، ولا مثلي يبايعك ها هنا، فترقى المنبر فأبايعك، ويبايعك الناس علانية غير سر.

فوثب مروان، فقال: اضرب عنقه، فإنه صاحب فتنة وشر.

قال: إنك لهتاك يا بن الزرقاء، واستبا.

فقال الوليد: اخرجوهما عني، وكان رجلاً رفيقاً سرياً كريماً، فأُخرجا عنه، فجاء الحسين بن علي على تلك الحال فلم يُكلّم بشيء حتى رجعا جميعاً).

٣ ـ وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥:

(ثم دخل على خالد، فأقرأه الكتاب، فقال الحسين: رحم الله معاوية، فقالا له: بايع، فقال الحسين: لا خير في بيعة سر، والظاهرة خير، فإذا حضر الناس كان أمراً واحداً، ثم وثب أهلُه.

فقال مروان لخالد: اشدد يدك بالرجل، فلا يخرج حتى يبايعك، فإن أبى فاضرب عنقه.

فقال له ابن الزُّبير: قد علمت أنا كنا أبينا البيعة إذا دعانا إليها معاوية، وفي نفسه علينا من ذلك ما لا تجهله، وحتى ما نبايعك ليلاً على هذه الحال ترانا أغضبتنا على أنفسنا، دعنا حتى نصبح، وتدعو الناس إلى البيعة، فنأتيك فنبايعك بيعةً سليمة صحيحة، فلم يزالا به حتى خَلَّى عنهما، وخرجا.

فقال مروان لخالد: تركتهما، ووالله لا تظفر بمثلها منهما أبداً.

فقال خالد: ويحك أتشير عليَّ أن أقتل الحسين، فوالله ما يسرني أن لي الدنيا وما فيها، وما أحسب أن قاتله يلقى الله بدمه إلا خفيف الميزان يوم القيامة.

فقال له مروان مستهزئاً: إن كنت إنما تركتَ ذلك لذلك فقد أصبت).

٤ ـ وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٥، عن القاسم بن سلاّم:

(فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزُّبير، فدعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: بالغد، إن شاء الله، على رؤوس النَّاس، وخرجا من عنده).

أقول: الروح الأموية واضحة في خبر ابن سعد الذي تلاعب بفقرات الخبر، بحيث يبدو فيه تناقض، ونَسَبَ إلى الإمام عليه السلام السب، وأنه هو الذي بدأ به، وأنه دخل على الوليد مع ابن الزُّبير.

والروح الأموية واضحة في خبر ابن خيّاط حيث جعل المحاورة بين مروان وبين ابن الزُّبير ولم يُكلِّم الإمام بشئ عندما دخل، كل ذلك لتبرئة الساحة الأموية تجاه الإمام عليه السلام.

والروح الأموية واضحة في خبر الإمامة والسياسة حيث أدخل ابن الزُّبير، وأنه هو الذي أجاب الوليد بحضور الإمام عليه السلام.

ـ ٨ ـ

أمر ابن الزُّبير

١ ـ في تاريخ الطّبري ج ٥ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف:

(وأما ابن الزُّبير فقال: الآن نأتيكم، ثم أتى داره، فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرِّزاً، فألحَّ عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال.

فأما الحسين فقال: كُفّ حتى تنظر وننظر، وترى ونرى.

وأما ابن الزُّبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم، أمهلوني.

فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على الحسين أشدّ إبقاءً، وبعث الوليد إلى ابن الزُّبير موالي له فشتموه وصاحوا به: يا بن الكاهلية، والله لتأتينَّ الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهارَه كُلَه وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابعِ هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيهِ وأمره، فبعث إليه أخاه جعفرَ بن الزُّبير، فقال: رحمك الله، كف عن عبد الله، فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فمُرْ رُسلكَ فلينصرفوا عنا، فبعث إليهم فانصرفوا.

وخرج ابنُ الزُّبير من تحت اللّيل فأخذ طريق الفُرْع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكّة.

فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج.

فقال مروان: والله إن أخطأ مكّة فسرِّحْ في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فرجعوا).

وفي أول الخبر تشويش، فالأحسن نقل ما في الكامل لابن الأثير، الذي ينقل ما في الطبري مع حذف المُكرَّر، فقال في الجزء الرابع ص ١٦:

(وأما ابن الزُّبير فقال: الآن نأتيكم، ثم أتى داره فكمن فيها، ثم بعث إليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز، فألحّ عليه الوليد وهو يقول: أمهلوني، فبعث إليه الوليد مواليه فشتموه، وقالوا له: يا بن الكاهلية، لتأتينَّ الأمير، أو ليقتلنك.

فقال لهم: والله لقد استربتُ لكثرة الإرسال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه) إلى آخر الخبر.

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٨٠ ـ ٨٢:

(وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزُّبير، فدعاه فأرسل إليه ابن الزُّبير: أيها الأمير، لا تعجل، فإني لك على ما تحب، وأنا صائر إليك إن شاء الله.

فأبى الوليد بن عتبة ذلك، وجعل يرسل إليه رسولاً بعد رسول، حتى اكثر عليه من الرسل.

وجعل أصحاب الوليد بن عتبة ينادون عبد الله بن الزُّبير، ويقولون: يا بن الكاهلية، والله لتأتينَّ الأمير، ولتبايعنه أو لنقتلنك.

فأقبل جعفر بن الزُّبير حتى دخل على الوليد بن عُتبة، فسلّمَ وقال: أصلح الله الأمير، كُفَّ عن عبد الله بن الزُّبير، فإنك قد دعوته، وأنا صائر به إليك غداً إن شاء الله، ولا تُلح عليه، ومُرْ أصحابك أن ينصرفوا عنه، فإنك لن ترى منه إلا ما تحب.

فأقبل الوليد على جعفر بن الزُّبير، فقال الوليد لجعفر: إن مثلي ومثل أخوك ـ كذا في المصدر ـ كما قال الله تعالى: (إن موعدهم الصُّبح أليس الصُّبح بقريب) هود آية ٨١.

فأمسك الوليد عن عبد الله بن الزُّبير يومه ذلك، وأرسل إلى الرسل فأمرهم بالإنصراف عنه، فلمَّا كان في نصف الليل، وهدأت العيون خرج عبد الله بن الزُّبير، ومعه إخوته بأجمعهم، فقال عبد الله لإخوته: خذوا عليهم غير المحجة، فاني أيضاً آخذ عليها مخافة أن يلحقنا الطلب.

فتفرق عنه إخوته، ومضى عبد الله ومعه اخوه جعفر ليس معهما ثالث، فأخذ على مجهول الطريق إلى مكة.

وأصبح الوليد ففقد أولاد الزُّبير، وعلم أن عبد الله قد هرب إلى مكة، فغضب لذلك وضاق به ذرعاً، فقال له مروان: إن الأمير ـ أبقاه الله ـ إذا استشار أمراء المعرفة والنَّصيحة، وأشاروا عليه فلم يقبل، فيكون قد أخطأ وضيَّع الحزم، والآن فأنا أعلم أنه ما أخطأ طريق مكة، فسرَّح في طلبه الرجال من قبل أن يمعن في المسير.

فدعا الوليد برجلٍ، يقال له: حبيب بن كريزة، فوجه به في ثلاثين راكباً من موالي بني أمية، ثم أرسل إلى كلٍ من شيعة عبد الله

ابن الزُّبير، فأخذه وحبسه، وفيمن حبس يومئذ ابن عم لعمر بن الخطاب، يقال له: عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وأمه يقال لهـا: العجماء بنت عامر بن الفضل بن كليب الخزاعية، وحبس أيضاً مُصعب بن عبد الرحمان بن عوف.

فمشى رجال من بني عدي إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فقالوا: يا أبا عبد الرحمان، إن صاحبنا عبد الله بن مطيع قد حُبس مظلومـاً، لا ذنب له، والله لنخرجه أو لنموتنَّ من دونه.

فقال لهم ابن عمر: لا تعجلوا الفتنة، ولا تسارعوا إليها، فكم من رجلٍ قد أفسدت الفتنة عليه دينه ودنياه.

ثم أرسل ابن عمر إلى مروان بن الحكم، فدعاه إليه، وقال: يا معشر بني أمية، استعينوا بالله وبالحق على إقامة دينكم ودنياكم ولا تظلموا، فإن الظلم مرتعه وخيم، ولا تأخذوا بالظنَّة والتُّهمة، فإنكم إن استقمتم أعانكم الله، وإن ظلمتم وكلكم الله إلى أنفسكم، فكفوا عن صاحبنا هذا عبد الله بن مطيع، وخلّوا سبيله، فإنا لا نعلم أن لكم عليه سبيل ـ كذا ـ، ولا حق ـ كذا ـ تحبسونه به، فإن زعمتم أنكم ما حبستموه إلا لحق فافعلوا ذلك، وإن كنتم إنما حبستموه على الظنِّ فإنا لا نَدَعُ صاحبنا يحبسُ مظلوماً.

فقال مروان بن الحكم: إنما نحن حبسناه بأمر أمير المؤمنين يزيد، ولا عليكم أن تكتبوا في ذلك إلى أمير المؤمنين، ونكتب نحن أيضاً، فإنه لا يكون إلا ما تحبون.

فوثب أبو جهم بن خليفة العدوي، فقال: نكتب وتكتبون، وابن العجماء محبوس؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً.

ثم وَثَبَ بنو عدي فجعلوا يحضرون حتى صاروا إلى باب السجن، فاقتحموا على عبد الله بن مطيع فأخرجوه، وأخرجوا كل من

كان في السجن، ولم يتعرض إليهم أحد، فاغتمَّ لذلك الوليد بن عتبة، وأراد أن يكتب بذلك إلى يزيد، فلبث ولم يكتب).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٤ ـ ٣١٥:

أورد مضمون خبر أبي مخنف المتقدم في تاريخ الطبري، إلا أنه حدد تاريخ خروج ابن الزُّبير ليلة السبت لثلاث ليالٍ بقين من رجب سنة ستين، وحدد الشخص الذي بعثه الوليد في ثلاثين من بني أمية لطلب ابن الزُّبير بقوله: (فوجه الوليد في طلبه حبيب بن كرة مولى بني أمية في ثلاثين راكباً من موالي بني أمية).

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٨:

مضمون خبر أبي مخنف المتقدم في تاريخ الطبري مختصراً، إلا أنه قال: (ولما أصبح الوليد بلغه خبره، فوجه في أثره حبيب بن كُوَيْن في ثلاثين فارساً).

٥ ـ وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٨:

(فخرجا من عنده، وتنحيا من تحت ليلتهما، فخرج الحسين عليه السلام إلى مكة).

أقول: خبر اليعقوبي مستفاد من الأخبار الأموية الآتية فلا عبرة به، وأجمع خبر هو خبر الفتوح إلا أن فيه أن ابن الزُّبير خرج مع إخوته، والصحيح أنه لم يخرج إلا مع أخيه جعفر، وأما غيره فبقي في المدينة كما يستفاد من خبر أبي مخنف وغيره، وفي خبر الفتوح أن الذي بعثه الوليد في طلب ابن الزُّبير هو حبيب بن كريزة، وفي الأخبار الطوال أنه حبيب بن كُوَيْن، والأصح أنه حبيب بن كُرّة كما في خبر أبي مخنف الوارد في أنساب الأشراف، وهو صاحب راية مروان بن الحكم في حربه ضد الضَّحاك بن قيس في معركة مرج راهط، راجع الطّبري ج ٥ ص ٥٣٩.

وفي خبر الفتوح أن الوليد بعث شخصاً في ثلاثين راكباً، وكذا في الأخبار الطوال، وهو المتعين، وما في خبر أبي مخنف المروي في تاريخ الطّبري أنه بعثه في ثمانين راكباً ليس في محله، لأن خبر أبي مخنف المروي في أنساب الأشراف أنّه بعثه في ثلاثين راكباً.

بيان:

في خبر أبي مخنف: الفرع، قال ياقوت في معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢:

(والفرع: قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيّا، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد على طريق مكّة، وقيل: أربع ليالٍ، وبها منبر ونخلُ ومياه كثيرة، وهي قرية غنّاء كبيرة، وهي لقريش الأنصار ومزينة ـ إلى أن قال ـ قال ابن الفقيه: فأما أعراض المدينة فأضخمها الفُرْع، وبه منزل الوالي، وبه مسجد صلّى به النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، وقال السُهيلي: هو بضمتين، ويقال: هي أول قرية مارتْ إسماعيل وأمّه التمر بمكّة).

أخبار أموية:

١ ـ في المقتل المُستَلّ من طبقات ابن سعد ص ٥٦:

(وخرج الحسين وعبد الله بن الزُّبير من ليلتهما إلى مكّة، فاصبح النَّاس فغدوا على البيعة ليزيد، وطُلب الحسين وابن الزُّبير فلم يُوجدا، فقال المسوّر ابن مخرمة: عجّل أبو عبد الله، وابنُ الزُّبير الآن يلفته ويزجيه إلى العراق ليخلو بمكّة).

٢ ـ وفي تاريخ ابن خيّاط ص ١٤٤، عن وهب، عن جويرية بن أسماء:

(فأرسل العيون في أثره ـ أثر بن الزُّبير ـ فلم يزد حين دخل منزله على أن دعا بوضوء وصفّ بين قدميه، فلم يزل يصلّي، وأمر حمزة ابنه أن يقدم راحلته إلى الحليفة، على بريد مِنَ المدينة، مما يلي الفُرْع، وكان له بالحُلَيْفة مالٌ عظيم.

فلم يزل صافّاً بين قدميه، فلمَّا كان آخر اللّيل وتراجعت عنه العيون جلس على دابته فركبها حتى انتهى إلى الحُلَيْفة، فجلس على راحلته، ثم توجه إلى مكّة، وخرج الحسين من ليلته، فالتقيا بمكّة).

٣ ـ وفي البدء والتاريخ للبلخيّ ج ٢ ص ٢٤٠:

(وانصرفا من عنده، وخرجا من تحت اللّيل إلى مكَّة، وأبيا أن يبايعا).

٤ ـ وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٥:

(وخرجا من عنده، فدعا الحسين برواحله فركبها، وتوجه نحو مكَّة على المنهج الأكبر، وركب ابن الزُّبير برذوناً له، وأخذ طريق العَرْج حتى قدم مكَّة).

أقول: قد تقدم أن الصحيح هو الفُرْع فما في العقد الفريد أنه العَرْج بالجيم المعجمة ليس في محلِّه.

وهذه الأخبار الأموية متضمِّنة أن ابن الزُّبير بعد دخوله على الوليد رجع إلى بيته صافاً قدميه للصَّلاة كما في خبر ابن خياط، وأن ابن الزُّبير دخل على الوليد مع الإمام عليه السلام وخرجا من ليلتهما كما في أخبار ابن سعد وابن خياط وابن عبد ربه في العقد الفريد وهذا مما ليس في محلِّه، لما تقدم أن ابن الزُّبير لم يدخل على الوليد وأنه خرج من المدينة ليلة السبت بعد ليلة واحدة من طلب الوليد له بالحضور، وقبل خروج الإمام عليه السلام بليلة كما سيأتي.

ـ ٩ ـ

ملاقاة الإمام عليه السلام لمروان بعدما خرج ابن الزُّبير

١ ـ في الفتوح ج ٢ ص ٨٢ ـ ٨٤:

(وأصبح الحسين من الغد، فخرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحَكَم قد عارضه في طريقه، فقال: يا أبا عبد الله إني لك ناصح فأطعني تُرشد وتُسدّد.

فقال الحسين: وما ذلك؟ قل حتى أسمع.

فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنه خير لك في دينك ودنياك.

فاسترجع الحسين، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الامة براع مثل يزيد، وهو رجلُ فاسقٌ، لقد قلتَ شططاً من القول، يا عظيم الزَلل، ولا ألومك على قولك، لأنك اللّعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت في صلب أبيك الحَكَم ابن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن له، ولا منه، إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثم قال: إليك عني يا عدو الله، فإنا أهل بيت رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلم والحق فينا، وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة مُحرَّمة على آل أبي سفيان، وعلى الطُّلقاء وأبناء الطُّلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به، فابتلاهم الله بابنه يزيد، زاده الله في النَّار عذاباً.

فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين، ثم قال: والله لا تفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنكم آل أبي تراب قد مُلِئتُم كلاماً، وأُشرِبتُم بغض آل أبي سفيان، وحق عليكم أن تبغضوهم، وحق عليهم أن يبغضوكم.

فقال له الحسين: ويلك يا مروان، إليك عنّي، فإنك رجسٌ، وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل فيهم على نبيه محمدﷺ فقال: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) الأحزاب آية: ٣٣.

فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيءٍ، فقال له الحسين: أبشر يا بن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يوم تَقِدْم على ربك، فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد.

فمضى مروان مغضباً حتى دخل على الوليد بن عتبة يخبره بما سمع من الحسين بن علي، فعندها كتب الوليد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة، وما كان من ابن الزُّبير، وأمر السجن، ثم ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن علي، أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة.

فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، فكتب إلى الوليد بن عتبة:

من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة: أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزُّبير فإنه لن يفوتنا، ولن ينجو منا أبداً، ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليَّ رأس الحسين بن عليّ، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر، والنعمة واحدة، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على الوليد بن عُتبة، وقرأه تعاظم ذلك، وقال: لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها).

أقول: هذا من منفردات ابن أعثم في الفتوح، ومتن الخبر تلوح منه علائم الصدق، ولكن لا بد من حمل رسالة الوليد إلى يزيد في يوم السبت بعد خروج ابن الزُّبير وقبل خروج الإمام عليه السلام، وحمل رسالة يزيد إلى الوليد بقتل الإمام عليه السلام إذا رفض البيعة على ما بعد خروج الإمام عليه السلام إلى مكّة.

ومن جهةٍ أخرى فقد نقل هذا الخبر الخوارزمي في مقتله ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٥، كما هو ديدنه، ولكن المحاورة بين الإمام عليه السلام وبين مروان في خبر الفتوح بعد خروج ابن الزُّبير، وفي مقتل الحسين للخوارزمي قبل الخروج.

- ١٠ -
زيارة الإمام عليه السلام لقبر جده صلى الله عليه وآله وسلم ولقبر أمه وأخيه عليهما السلام

١ - في الفتوح ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥:

(فخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة، وأتى إلى قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطاً في الخلف الذي خلفت على أمتّك - كذا في المصدر، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٨٦: وسبطك والثّقل الذي خلَّفته في أمتّك - فاشهد عليهم يا نبي الله، إنهم قد خذلوني وضيّعوني، وإنهم لم يحفظوني، وهذه شكواي إليك، حتى ألقاك صلى الله عليك وسلم.

ثم وَثَبَ قائماً، وصفَّ قدميه، ولم يزل راكعاً وساجداً.

وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه، وظنَّ أنه خرج من المدينة.

ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلما كانت اللّيلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

اللّهم إن هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهم وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلالة والإكرام بحق هذا القبر ومَنْ فيه إلا ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضاً.

ثم جعل الحسين يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبيﷺ قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمَّ الحسين إلى صدره، وقبَّل بين عينيه، وقال:

يا بُنَّي، يا حسين، كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاء، من عصابةٍ من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، مالهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، فمالهم عند الله من خَلاق، حبيبي ـ يا حسين ـ إن أباك وأمك قد قدموا عليّ، وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة.

فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جدهﷺ، ويسمع كلامه وهو يقول: يا جداه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدُّنيا أبداً، فخذني إليك، واجعلني معك إلى منزلتك.

فقال له النبيﷺ: يا حسين، إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدُّنيا، حتى ترزق الشهادة، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فأنت وأبوك وأخوك وعمك، وعم أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنَّة.

فانتبه الحسين من نومه فَزِعاً مذعوراً، فقصّ رؤياه على أهل بيته، وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرقٍ ولا غربٍ أشدُّ غماً من أهل بيت الرسولﷺ، ولا اكثر منه باكياً وباكية.

وتهيأ الحسين بن علي، وعزم على الخروج من المدينة، ومضى في جوف اللّيل إلى قبر أمه، فصلى عند قبرها وودّعها، ثم قام عن قبرها، وصار إلى قبر أخيه الحسن ففعل مثل ذلك، ثم رجع إلى منزله، وفي وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية).

٢ ـ وفي أمالي الصدوق ص ١٣٠:

(فلمَّا هلك معاوية، وتولى الأمر بعده يزيد بعث عامله على مدينة رسول الله ﷺ، وهو عمه عتبة بن أبي سفيان ـ إلى أن قال ـ وبعث عتبة إلى الحسين بن علي فقال: إن أمير المؤمنين أمرك أن تبايع له.

فقال الحسين عليه السلام: يا عُتبة قد علمت أنا أهل بيت الكرامة ومعدن الرسالة ـ إلى آخر ما تقدم نقله في محلِّه ـ فقال:

فلمَّا سمع عُتبة ذلك دعا الكاتب وكتب:

بسم الله الرحمان الرحيم إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من عُتبة بن أبي سفيان، أما بعد، فإن الحسين بن علي ليس يرى لك خلافةً ولا بيعةً، فرأيك في أمره، والسلام.

فلمَّا ورد الكتاب على يزيد لعنه الله، كتب الجواب إلى عُتبة:

أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه، وبيّنْ لي في كتابك كل مَنْ في طاعتي أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأسُ الحسين بن علي عليه السلام.

فبلغ ذلك الحسين فهَمَّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلمّا أقبل اللّيل راح إلى مسجد النبي ﷺ ليودّع القبر، فلمّا وصل إلى القبر سطع له نور من القبر فعاد إلى موضعه.

فما كانت الليلة الثانية راح ليودّع القبر، فقام يصلي فأطال فنعس، وهو ساجد، فجاءه النّبيّ ﷺ وهو في منامه، فاخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره، وجعل يقبّل عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مُرمَّلاً بدمك، بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، مالهم عند الله من خَلاقْ، يا بُنيّ، إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنَّة درجات لا تنالها إلا بالشهادة.

فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً، فأتى أهل بيته فأخبرهم الرؤيا وودّعهم).

أقول:

العمدة على خبر الفتوح، وهو قد انفرد بهذا الخبر المليء بالخصائص، وتوديع الإمام عليه السلام لقبر جده في ليلتين محمول على ليلة الجمعة وليلة السبت في أربع ليال أو ثلاث ليالٍ بقين من رجب، وقد خرج عليه السلام من المدينة ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب على حسب خبر أبي مخنف في تحديد الخروج كما سيأتي.

وأما بالنسبة لخبر الفتوح في تحديد الخروج أنه لثلاثٍ مضين من شعبان بعدما عرفنا أن رسالة يزيد إلى الوليد بطلب البيعة وصلت ليلة الجمعة لأربع ليالٍ بقين من رجب فالتوديع لا يمكن تحديد ليلتيه.

ومن جهةٍ أخرى فالتوديع المذكور لا مانع من قبوله عقلاً ونقلاً، ومن جهةٍ ثالثة فالعجب من السيّد هاشم البحراني في معاجز آل البيت المسمَّى (مدينة المعاجز) ج ٢ ص ٢٨١، حيث أورد خبر الفتوح ولم ينسبه إليه وإنما قال:

(روي أن الحسين عليه السلام لمَّا عزم على المسير إلى الكوفة بعد

مجيئه من مكّة إلى المدينة خرج ذات ليلة إلى قبر جده فصلى ركعات كثيرة) إلى آخر ما أورده.

وفيه: أنَّه عليه السلام لم يرجع من مكَّة إلى المدينة، وإنما توجه مباشرةً إلى كربلاء، على أن المنام قد حصل عند وجود الإمام عليه السلام في المدينة قبل خروجه إلى مكَّة، وفي الدر النظيم لجمال الدين الشامي ص ٥٤٢: (فلما كان في بعض الليل أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله يودّعه، وصلّى ما شاء الله أن يصلي، وغلبته عيناه فرأى كأن رسول الله صلى الله عليه وآله في ملائكة محتوشين به، فاحتضنه وقبّل بين عينيه، وقال له: يا بنيّ العجل العجل الى جدك وأبيك وأمّك وأخيك، فانتبه عليه السلام فأخبر به أهل بيته، فما رأى أكثر باكياً وباكية من ليلته).

ومن جهةٍ رابعة فخبر الصدوق مشتمل على أن الوالي هو عُتبة بن أبي سفيان، وأن الوالي راسل يزيد، ثم أتاه الجواب بالقتل، ثم أن الحسين عليه السلام خرج من المدينة إلى العراق من دون المرور بمكّة، وهذه أمور تنافي الأخبار القطعية الدالة على ذهابه إلى مكَّة فضلاً عن بقاء الإمام في المدينة ليلتين أو ليالٍ معدودات وهو وقت لا يسع لبعث كتاب من المدينة إلى الشام ثم ردِّ الجواب.

نعم قد تقدم أن كتاب والي المدينة برفض الإمام عليه السلام قبل الخروج، وجواب يزيد قد وصل بعد الخروج.

(بيان)

الخلاق: النصيب

ـ ١١ ـ

ما فعله الإمام عليه السلام قبل الخروج

١ ـ في تـاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٣٤٢، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المَقبُريّ قال:

(نظرت إلى الحسين داخلاً مسجد المدينة، وأنه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو يتمثل بقول ابن مُفرِّغ:

لا ذَعَرْتُ السَّوام في فَلَق الصبـ ... ـحِ مـغـيـراً ولا دعـيـت يـزيـداً

يوم أعطى من المهـابة ضيمـاً ... والمنـايا يَرصُدنَني أن أحيدا

فقلت في نفسي: والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيءٍ يريد، فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكّة).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٨٨، بعدما خرج الإمام عليه السلام من المدينة: (ثم جعل الحسين يتمثل بشعر يزيد بن مُفرِّغ الحميري، وهو يقول:

لا سَهَرْت السَّوام في فلق الصبـ ... ـح مـضـيـاً ولا دعـيـت يـزيـداً

يوم أعطي من المخـافة ضيمـاً ... والمنـايا يرصدنني أن أحيدا)

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٦٨:

مضمون خبر أبي مخنف المتقدم، وفيه:

لا سَهَرْتُ السَّوام في فلق الصبـ ح...................
يوم أُعطي مخـافة الموت ضيماً ....

٤ ـ وكذا في أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٨.

٥ ـ وفي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٨:

(وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة، فسام التأخير، وخرج يتهادى بين مواليه ويقول:

لا ذعرت السوام في فلق.... ....
يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا ترصدنني أن أحيدا)

أقول:

بناء على خبر أبي مخنف أنه تمثل بهذين البيتين عند دخول مسجد المدينة، فيمكن الجمع بينه وبين خبر الفتوح في الفقرة السابقة، ويكون الإمام عليه السلام قد تمثل بهذين البيتين ثم دخل المسجد وودّع النبي صلى الله عليه وآله.

ومن جهةٍ أخرى أورد أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ خبر أبي مخنف المتقدم في هذه الفقرة، ولكن البيت الثَّاني:

يوم أُعطي مخافة الموت ضيماً

ومن جهةٍ ثالثة فقد أورد أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ج ١٨ ص ٢٦١ هذين البيتين ضمن أربع أبيات ليزيدٍ بن ربيعة بن مُفرِّغ الحميري، ومعنى هذين البيتين: لا كنت حياً ـ أدعى بإسمي يزيد وأحرك السَّوائم بعزمي ـ إذا كنتُ أُعطي من المهابة ذلاً وصَغَاراً، وأنا أستطيع أن ألقى منيتي دون الذَّلة، وهذا ما يرجح قول الفتوح أنه قالها بعدما خرج من المدينة حال السفر والسَّوائم بين يديه.

ـ ١٢ ـ

نصيحة محمد بن الحنفية

١ ـ في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف:

(وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية، فإنه قال له:

يا أخي، أنت أحب النَّاس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولستُ أدَّخرُ النصيحةَ لأحد من الخلق أحق بها منك، تَنَحّ بتبعتك ـ كذا في المصدر، وفي الإرشاد ج٢ ص٣٤: ببيعتك ـ عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما أستطعت، ثم ابعث رُسْلكَ إلى النَّاس، فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم يُنقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يُذهب مَرُوءَتك ولا فضلك.

إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً، أضيعُها دماً وأذلّها أهلاً.

قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي.

قال: فانزل مكّة، فإن اطمأنّتْ بك الدارُ فسبيلُ ذلك، وإن نَبَت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلدٍ إلى بلدٍ، حتى ننظر ما يصير أمر النَّاس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً.

قال: يا أخي، قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موَّفقاً)

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٨٥ ـ ٨٧:

(وفي وقت الصُّبح أقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية قال: يا أخي، فدتك نفسي، أنت أحب النَّاس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولستُ والله أدَّخرُ النصيحةَ لأحدٍ من الخلق، وليس احدٌ أحق بها منك، فإنك كنفسي وروحي وكبير بيت أهل بيتي، ومن عليه اعتمادي، وطاعته في عنقي، لأن الله تبارك وتعالى قد شرّفك، وجعلك من سادات أهل الجنة، وإني أريد أن أشير عليك برأي، فاقبله مني.

فقال له الحسين: قل ما بدا لك.

فقال: أشير عليك أن تنجو بنفسك عن يزيد بن معاوية، وعن الأنصار ما استطعت، وان تبعث رسلك إلى الناس، وتدعوهم إلى بيعتك، فإنك إن بايعك الناس وتابعوك حمدت الله على ذلك، وقمت فيهم بما قام النَّبيّ ﷺ، والخلفاء الراشدون المهديون من بعده، حتى يتوفَّاك الله وهو عنك راضٍ، والمؤمنون كذلك كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن أجمع النَّاس على غيرك حمدت الله على ذلك، وإني خائف عليك أن تدخل مصراً من الأمصار، أو تأتي جماعة من الناس، فيقتتلون، فتكون طائفة منهم معك، وطائفة عليك، فتقتل منهم.

فقال له الحسين: يا أخي إلى أين أذهب؟

قال: اخرج إلى مكة، فإن اطمأنَّتْ بك الدار فذاك الذي تُحب وأحب، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرأف النَّاس وأرقهم قلوباً، وأوسع النَّاس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنَّت بك أرض اليمن، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلدٍ إلى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين: يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت ـ والله ـ يزيد بن معاوية أبداً، وقد قالﷺ: اللهم لا تبارك في يزيد.

فقطع عليه محمد بن الحنفية الكلام، وبكى فبكى معه الحسين ساعة، ثم قال: جزاك الله يا أخي عني خيراً، ولقد نصحت وأشرت بالصَّواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقاً مسدداً، وإني قد عزمت على الخروج إلى مكّة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي، وبنو إخوتي، وشيعتي، وأمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تُخْفِ عليَّ شيئاً من أمورهم.

ثم دعا الحسين بدواة وبيضاء، وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد، المعروف بابن الحنفية، ولد علي بن أبي طالب.

إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنَّة حق والنار

حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ـ سورة الحج آية: ٧ ـ وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النَّجاح والصَّلاح في أمَّة جدي محمدﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمدﷺ، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر، حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب، والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم طوى الكتابَ الحسينُ، وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد بن الحنفية، ثم ودّعه، وخرج في جوف اللَّيل يريد مكَّة بجميع أهله).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٧:

مضمون خبر أبي مخنف المتقدم بإختصار:

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٨:

(وأظلم اللّيل مضى الحسين رضي الله عنه أيضاً نحو مكّة، ومعه أختاه: أم كلثوم وزينب، ووُلد أخيه، وإخوته أبو بكر وجعفر والعباس، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته، إلا أخاه محمد بن الحنفية، فإنه أقام، وأما عبد الله بن عبَّاس فقد خرج قبل ذلك بأيام إلى مكّة).

أقول:

خبر الفتوح أجمع من خبر أبي مخنف، حيث اشتمل على وصيَّة الإمامعليه السلام لأخيه ابن الحنفية، وبقية المصادر خالية عن وصية ابن الحنفية للإمامعليه السلام، ومن جهةٍ أخرى أورد ابن شهراشوب في المناقب ج ٤ ص ٨٩ شيئاً من وصية الإمامعليه السلام، وفيه: (أسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق) من دون ذكر (سيرة الخلفاء الراشدين) وهو الأصح، للعلم بعدم رشد بقية الخلفاء، ولعل هذه الزيادة من قلم النسَّاخ.

ومن جهةٍ ثالثة خبر الفتوح مشتمل على العلَّة التي من أجلها بقي محمد بن الحنفية في المدينة، لأن الامامعليه السلام أقرَه ليكون له عيناً، وفي الدر النظيم لجمال الدين الشامي ص ٥٤١:

(ثم دخل على ابن الحنفية فودّعه وبكيا حتى اخضلّت لحاهما، وتهيأ ابن الحنفية للخروج معه، فأمره بالتخلف لينتظر ما يرد عليه من أمره).

(بيان)

شَعَفُ الجبال كما في خبر أبي مخنف هي: رؤوس الجبال، ولا يصح شعب الجبال بالباء.

ـ ١٣ ـ
لقاء الإمام عليه السلام مع أخيه عمر الأطرف

١ ـ روى السيد ابن طاووس في اللهوف ص ٩٩ ـ ١٠٠، بإسناده إلى عمر النسابة فيما ذكره في آخر كتاب الشافي في النسب، بإسناده إلى جده محمد بن عمر، قال: سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث أخوالي آل عقيل قال:

(ولما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً، فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدَّثني أخوك أبو محمد الحسن، عن أبيه عليهما السلام، ثم سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمّني إليه وقال: حدّثك أني مقتول.

فقلت: حوشيت يا بن رسول الله.

فقال: سألتك بحق أبيك، بقتلي أخبرك؟

فقلت: نعم، فلولا ناولت وبايعت.

فقال: حدَّثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، فتظن أنك علمت ما لم أعلمه، وإنه لا أُعطي الدنّية عن نفسي أبداً، ولتلقينَّ فاطمة أباها شاكية، ما لقيت ذريّتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريّتها).

أقول:

عمر الأطرف ورقيَّة توأمان، أمهما أم حبيب، الصَّهباء بنت ربيعة التغلبية، وكنيته أبو القاسم، وعمَّر خمساً وثمانين سنة كما في أعيان الشيعة المجلد الأول ص ٣٢٧، وله أعقاب ذكرها الفخري في أنساب الطالبيين ص ١٧٣، فراجع.

وقد خرج مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام على ما في الفتوح ج ٢ ص١٦٦ ـ ونقله عنه الخوارزمي في مقتله ج ٢ ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ، وقد خرج في كربلاء بعد أخيه عبيد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكنيته أبو بكر، ولم يزل عمر الأطرف يقاتل حتى قتل قاتل أخيه على ما سيأتي.

وهذا لا يمنع من وجود أولاد له، كان له منهم الذرية المذكورة في كُتب الأنساب، كما كان لأبي الفضل العبَّاس الشهيد بين يدي أبي عبد الله عليه السلام أولاد مذكورون في كتب الأنساب.

وهناك أخبارٌ تدل على بقائه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأنه كان منحرفاً.

منها: ما رواه ابن شهراشوب في المناقب ج ٤ ص ١٧٢ ـ ١٧٣: (ويروى أن عمر بن علي خاصم علي بن الحسين عليهما السلام إلى عبد الملك، في صدقات النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ابن المصدِّق، وهذا ابن ابن، فأنا أولى بها منه، فتمثَّل عبد الملك بقول أبي الحقيق:

لا تجعل الباطل حقاً ولا تلطَّ دون الحق بالباطل

قم يا علي بن الحسين، فقد وليتكها، فقاما فلمَّا خرجا، تناوله عُمر وآذاه، فسكت عنه ولم يردَّ عليه شيئاً.

فلما كان بعد ذلك دخل محمد بن عمر بن علي على علي بن الحسين عليهما السلام فسلم عليه، وأكبَّ عليه يقبله، فقال: يا بن عم، لا تمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك، فقد زوجّتك ابنتي خديجة ابنة علي).

واللُّوط هو اللّصوق، يقال: لاط به أي لصق به، والمعنى لا تلزم الباطل عند ظهور الحق، ولا تجعل الأول فوق الثَّاني لتخفيه.

ومنها: ما رواه المامقاني في تنقيح المقال ج ٢ ص ٣٤٦، في ترجمة عمر بن علي، عن عمدة الطالب، فقال:

(وتخلَّف عمر عن أخيه الحسين، ولم يسر معه إلى الكوفة، وكان قد دعاه إلى الخروج معه، فلم يخرج.

يقال: إنَّه لمَّا بَلَغَه قتلُ أخيه الحسين، خرج في معصفرات له، وجلس بفناء داره، وقال: أنا الغلام الحازم، ولو أخرج معهم لذهبت في المعركة وقُتلت ـ إلى أن قال ـ:

ولا تصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء، وكان أول من بايع عبد الله بن الزُّبير، ثم بايع بعده الحجَّاج، وأراد الحجَّاج إدخاله مع الحسن بن الحسن في تولية صدقات أمير المؤمنين عليه السلام فلم يتيسر له، ومات عمر بينبع، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وقيل: خمسة وسبعين، ووُلده جماعة كثيرة متفرقون في عدة بلاد ـ إلى أن قال ـ:

والعجب من المنافات الغريبة بين كلمات أرباب المقاتل وبين كلمات علماء الأنساب ـ إلى أن قال ـ: وبالجملة فإني في حال عمر بن أمير المؤمنين عليه السلام متوقف، والعلم عند الله تعالى، فإن كان ما ذكره أهل الأنساب من تخلفه عن الحسين عليه السلام مع دعوته إياه، وتبجحه في لباس معصفر بتخلفه، وكونه أول من بايع ابن الزُّبير ثم الحجّاج

صحيحاً، فلا أهلاً له، ولا مرحباً، وإن كان الصحيح ما ذكره أهل المقاتل من شهادته بالطف فبخ بخ له) إنتهى.

ومنها: ما قاله السيد عبد الرَّزاق المقرم في حاشية كتابه زيد الشهيد ص ١٠١:

(يلقب هذا بالأطرف، وُلد هو وأُخته رقية توأماً، وكان آخر من مات من أولاد علي عليه السلام، وأمه الصهباء التغلبية، وهي أم حبيب بنت ربيعة، من سبي عين تمر، اشتراها علي عليه السلام وتزوجها، وكان عُمر لسناً فصيحاً جواداً، لم يحضر مع الحسين عليه السلام يوم الطف، ولا مع مُصعب بن الزُّبير.

وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٩٧، في عدّه من جملة من قتل مع مُصعب بن الزُّبير، في الحرب القائمة بينه وبين المختار.

وأغرب اليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٣، في عدّه من جملة من قتل مع المختار، فإنه لم يوافقه أحد على هذا.

والمشهور بين المؤرخين بقاؤه بعد الحسين عليه السلام، حتى نازع السجاد عليه السلام في الصدقات، وفي بعض السير أشار على الحسين بترك الخروج إلى العراق، ومات في (ينبع) أو (فسح) صدر وادي العقيق، وعمره ٨٥ سنة، نصَّ بذلك الطَّبري في تاريخه ج ٦ ص ٨٩، وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص١٥٩.

واتفق المؤرخون إلا من شذَّ منهم أن المقتول مع مُصعب هو عُبيد الله بن النهشلية، جاء إلى المختار يطلب منه الرفد، فلم يصله، فالتحق بمُصعب، وجاء معه حتى إذا كان (بالمذار) من سواد البصرة قُتل، ولم يعلم قاتله، وقبره مشهور معروف يزار إلى اليوم، وممن

نصَّ على هذا ابن جرير في التاريخ ج ٧ ص١٥٣، وابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ١٠٦، وابن قتيبة في المعارف ص٩٦، وأبو الحسن الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧، واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٣، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٨٥، وياقوت في معجم البلدان بمادة (المذار)، والشبلنجي في نور الأبصار ص٩٣.

وقال به من أصحابنا أبو الحسن العمري في المجدي، وابن إدريس الحلّي في مزار السَّرائر.

وفي الخرايج في باب معجزات علي عليه السلام عن الباقر عليه السلام أنه خرج مع مُصعب فوُجد مذبوحاً، ولم يُعلم ذابحه) إنتهى.

وأقول:

لعلَّ ما رُوي من تخلف عمر بن علي وتبجحه بالتخلف، وتنازعه مع سيد الساجدين عليه السلام من موضوعات الأمويين، للحطّ من شأن سيّد الشهداء عليه السلام وأنه لم يكن على حق.

والعجب من السيد المقرم كيف جعل منازعة الأطرف مع علي بن الحسين عليهما السلام هو المشهور بين المؤرخين، مع أنه لم يذكره إلا ابن شهراشوب في المناقب بعنوان (يروى) وقد تقدم.

والعجب منه أيضاً كيف حكم بانحراف عبيد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُمُّهُ ليلى بنت مسعود النهشلية، من بني تميم، وبنو نهشل طائفة من بني تميم، كنيته: أبو بكر، وهو أول من برز من إخوته عليه السلام، واستشهد مع أخيه الحسين عليه السلام، كما في الفتوح ج ٢ ص ١٦٥، ونقله عنه الخوارزمي في مقتله ج ٢ ص ٢٨، فراجع.

وأما ما نقله ابن إدريس في مزار السرائر فقد حكم الشيخ

المامقاني في تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٤١ بأنه اشتباه غريب.

بالإضافة إلى ما سيأتي من لحوق كل بني هاشم بالإمام عليه السلام عندما بعث إليهم كتاباً بعد فصله عن المدينة، ما عدا ابن الحنفية وابن عباس.

وهذا يدل على أن مـا نسب إلى عُبيد الله بن علي كما نسب إلى أخيه عمر إنما هو من صنع الأمويّين، وإلا فكيف يعقل أن يلتحق عُبيد الله بمُصعب بن الزُّبير، ومُصعب وأخوه عبدُ الله في العداء والنصب معروفان.

- ١٤ -
لقاء الإمام عليه السلام مع أم سلمة

١ - ما رواه قطب الدين الراوندي في كتابه الخرايج والجرايح مرسلاً في باب معجزات الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٣١:

(أنه عليه السلام لما أراد العراق، قالت له أم سلمة رضي الله عنها: لا تخرج إلى العراق، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يُقتل إبني الحسين عليه السلام بالعراق، وعندي تربة دفعها إليَّ في قارورة.

فقال عليه السلام: والله إني لمقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني، وإن أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي، ثم مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها، حتى رأت ذلك كله، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى وقال عليه السلام: إذا صار أفاض دماً فاعلمي إني قُتلت، فقالت أم سلمة: فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر، فإذا بهما قد فاضتا دماً، فصاحت، ولم يُقلب في ذلك اليوم حجرٌ ولا مدرٌ إلا وجدوا تحته دماً عبيطاً).

٢ - وفي مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ عن ثاقب المناقب عن الباقر عليه السلام:

(لما أراد الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق بعثت إليه أم سلمة،

وهي كانت تربيه، وكان أحب النَّاس إليها، وكان أرق الناس لها، وكانت تربة الحسين عندها في قارورة، دفعها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: يا بُنيّ إلى أين تريد أن تخرج؟ فقال لها: يا أمّاه، أريد أن أخرج إلى العراق، ثم قال: ولِمَ ذاك يا أمَّاه؟

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل الحسين بالعراق، وعندي تربتك في قارورة مختومة، ودفعها إلي رسول الله ﷺ.

فقال: يا أمَّاه ـ والله ـ إني لمقتول، وإني لا أفرّ من القدر المقدور، والقضاء لله المحتوم، والأمر الواجب من الله تعالى.

فقالت: واعجباً فأنى تذهب، وأنت مقتول؟

فقال: يا أمّاه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب غداً ذهبت بعد غد، وما من الموت ـ يا أماه والله ـ بدٌّ وإني لأعرف اليوم والموضع الذي أُقتلُ فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها، كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك.

قالت: قد رأيتها؟

قال: نعم، وإن أحببت إن أريك مضجعي ومكان أصحابي فعلت.

قالت: أرنيها.

فما زاد أن تكلم بسم الله.

(وفي رواية أخرى: بسم الله الرحمان الرحيم)، فخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومكانه ومكان أصحابه، وأعطاها من تلك التربة، فخلطتها مع التربة التي كانت معها.

ثم خرج الحسين عليه السلام وقد قال لها: إني مقتول يوم عاشوراء،

فلما كانت تلك اللّيلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي عليه السلام، أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث مغبراً باكياً، فقالت: يا رسول الله، مالي أراك أشعث أغبر باكياً؟

قال: دفنت إبني الحسين وأصحابه الساعة، فانتبهت أم سلمة رضي الله عنها، فصرخت بأعلى صوتها، فقالت: وآبناه؟

فاجتمع أهل المدينة وقالوا لها: ما الذي دهاك؟

فقالت: قُتل إبني الحسين بن علي عليه السلام.

فقالوا لها: وما علمك؟

قالت: أتاني في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً أشعث أغبر، فأخبرني أنه دفن الحسين وأصحابه الساعة.

فقالوا: أضغاث أحلام، قالت: مكانكم، فإن عندي تربة الحسين عليه السلام، وأخرجت لهم القارورة، فإذا دمٌ عبيط).

٣ ـ وفي البحار ج ٤٤ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢:

(ووجدت في بعض الكتب أنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة، أتته أم سلمة، رضي الله عنها، فقالت: يا بُنيَّ، لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق، في أرض يقال لها كربلاء.

فقال لها: يا أماه، وأنا ـ والله ـ أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدٌّ، وأني ـ والله ـ لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف مَنْ يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها، وأني أعرف مَنْ يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ ـ يا أمَّاه ـ أريك حُفرتي ومضجعي.

ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه، وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلَّمتُ أمره إلى الله.

فقال لها: يا أماه، قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرَّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيَّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

وفي رواية أخرى: قالت أم سلمة: وعندي تربةٌ دفعها إليّ جدُك في قارورة.

فقال: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطاها إياها، وقال: إجعليها مع قارورة جدي، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أني قد قُتلت).

أقول:

روايات ثلاث في لقاء الإمام عليه السلام مع أم سلمة في المدينة قبل خروجه إلى مكَّة، وهي مختلفة في بعض خصوصياتها، وكلها مراسيل لا يمكن ترجيح بعضها على بعض من ناحية السند، ولا يوجد في شيءٍ من متنها ما يخالف العقل أو النقل حتى ترد.

هذا وثاقب المناقب هو (ثاقب المناقب في المعجزات الباهرات للنبيّ والأئمة الهداة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، للشيخ عماد الدين أبي جعفر، محمد بن علي بن حمزة المشهدي الطوسي، المعروف بابن حمزة، صاحب (الواسطة) و (الوسيلة)،... وقد توفي بعد ٥٨٥ هـ) كما في الذريعة ج ٥ ص ٥.

هذا ودفع الإمام عليه السلام إلى أم سلمة الوصيَّة والكتب وأوصاها بأن تدفع ذلك إلى أكبر ولده.

ففي أصول الكافي للكليني ج ١ ص ٣٠٤ عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصيَّة، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه).

وفي كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ١١٨ عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن سعيد، عن ربعي، عن الفضيل (قال لي أبو جعفر عليه السلام: لمَّا توجه الحسين عليه السلام إلى العراق، دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصيَّة والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر وُلدي فادفعي إليه ما دفعتُ إليك، فلما قُتل الحسين عليه السلام أتى عليُ بن الحسين أم سلمة، فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام).

نعم تعارضها طائفة من الأخبار وهي:

ما رواه الكليني في أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٣ عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، وأحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بن يونس، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

(إن الحسين بن علي عليهما السلام لمَّا حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيَّةً ظاهرة، وكان علي بن الحسين عليهما السلام مبطوناً معهم، لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام، ثم صار واللهِ ذلك الكتاب إلينا يا زياد.

قُلتُ: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟

قال: فيه ـ والله ـ ما يحتاج إليه وُلد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه الحدود، حتى أن فيه أرش الخدش).

وما رواه الكليني أيضاً في أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٤ عن عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام قال:

(لمَّا حضر الحسينعليه السلام ما حَضَرَه دفع وصيَّتَه إلى ابنته فاطمة، ظاهرةً في كتابٍ مُدرج، فلمَّا أن كان من أمر الحسينعليه السلام ما كان دفعت ذلك إلى علي بن الحسينعليه السلام.

قُلتُ له: فما فيه، يرحمك الله؟

فقال: ما يحتاج إليه وُلد آدم، منذ كانت الدنيا إلى أن تفنى).

وما رواه الكليني في أصول الكافي ج ١ ص ٢٩١ عن محمد ابن يحيى، عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن منصور بن يونس، عن أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام في حديث طويل:

(ثم إن الحسنعليه السلام حضره الذي حضره فسلَّم بذلك إلى الحسين عليـه السلام، ثـم إن حسيناً حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة ـ بنت الحسينعليه السلام ـ فدفع إليها كتاباً ملفوفاً، ووصيَّةً ظاهرةً، وكان علي بن الحسينعليه السلام مبطوناً، لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين، ثم صار ـ واللهِ ـ ذلك الكتاب إلينا).

وهذه الطائفة الثانية كلها مروية عن أبي الجارود، وهو زياد بن المنذر، أبو الجارود الهمداني، تنسب إليه الجارودية، وتغير لمَّا خرج

زيد، وقد رويت روايات في ذمّه على ما في رجال الكشّي، بعضها كونه كاذباً كافراً، وأنه أعمى القلب بالإضافة إلى كونه مكفوفاً، وسمي سرحوباً، وهو إسم شيطان، والذي سماه بذلك أبو جعفر الباقر عليه السلام، وعن الخلاصة: (وأصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه) راجع في ذلك جامع الرواة ج ١ ص٣٣٩ .

وعليه فأخبار هذه الطائفة ضعيفة السند لا تصلح للإعتماد عليها، وعلى فرض الصحة فيمكن الجمع بينها وبين ما تقدم من دفع الوصيَّة والكتاب إلى أم سلمة، بأن المدفوع إلى أم سلمة الوصيَّة المتعلقة بالأوصياء المعصومين، والكتاب الذي فيه مواريث الأنبياء التي استودعها رسول الله صلى الله عليه وآله عند أمير المؤمنين عليه السلام، ومنه إلى الحسن عليه السلام، ومنه إلى الحسين عليه السلام.

وأن الذي أودعه عند ابنته وصيّته الخاصة المتعلقة بشخصه ونفسه مع الكتاب المشتمل على الحلال والحرام من أحكام الدين حتى حكم أرش الخدش.

ولكن يضّعف هذا الجمع ما أورده المسعودي في إثبات الوصيَّة ص ١٤٢:

(ثم أَحَضَرَ علي بن الحسين عليه السلام، وكان عليلاً، فأوصى إليه بالإسم الأعظم، ومواريث الأنبياء عليهم السلام، وعرّفه بأنه قد دفع العلوم والصُّحف والمصاحف والسلاح إلى أم سلمة رضي الله عنها، وأمرها أن تدفع جميع ذلك إليه).

ـ ١٥ ـ

ندبة نساء بني عبد المطلب عند خروج الإمامعليه السلام

ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارة الباب ٢٩ حديث ٨ ص ١٩٤ عن أبيه وجماعة من مشايخه، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف، عن محمد بن يحيى المعاذي، عن الحسين بن موسى الأصم، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن محمد بن علي الباقرعليه السلام:

(لمّا همّ الحسينعليه السلام بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسينعليه السلام فقال: أُنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله، فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة ورقيَّة وزينب وأم كلثوم، فننشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت، يا حبيب الأبرار من أهل القبور.

وأقبلت بعض عماته تبكي وتقول: اشهد يا حسين، لقد سمعت الجن ناحت بنوحك، وهم يقولون:

فإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقاباً من قريش فذلّتِ
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً ... أبانت مصيبتك الأنوف وجلّتِ

وحكت أيضاً:

أبكي حسيناً سيداً ولقتله شاب الشعر
ولقتله زلزلتم، ولقتله انكسف القمر
وأحمرَّت آفاق السماء، من العشية والسحر
وتغبَّرت شمس البلاد بهم وأظلمت الكور
ذاك ابن فاطمة، المصاب به الخلائق والبشر
أورثتنا ذلاً به، جدع الأنوف مع الغرر)

أقول: السند ضعيفٌ جداً، فعمرو بن شمر بن يزيد ضعيفٌ جداً، زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي، يُنسب بعضُها إليه، ولا يعتمد عليه كما عن الخلاصة والنجاشي على ما في جامع الرواة ج ١ ص ٦٢٣.

والحسين بن موسى الأصم مجهولٌ، ومحمد بن يحيى المعاذي ضعيف، كما عن الخلاصة ورجال الشيخ على ما في جامع الرواة ج ٢ ص ٢١٧.

على أن البيت الأول المنسوب للجن، هو لسليمان بن قتّة الخزاعي من قصيدة طويلة، على ما في مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص ١٤٩، ومقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٨١، والنص للأول:

(مررت على أبيات آل محمد … فلم أرَ أمثالها حين حلَّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها … وإن أصبحت منهم برغمي تخلَّت
ألم ترَ أن الأرض أمست مريضة … لفقد حسين والبلاد أضمحلَّت
وقد طفقت تبكي السماء لفقده … وأنجمها ناحت عليه وحنّت
ألا أن قتلى الطف من آل هاشم … أذلت رقاب المسلمين فذلت)

بالإضافة إلى أن الأبيات الشعرية الأخرى المنسوبة لنساء بني

عبد المطلب يقتضي معناها أنه قيلت بعد مقتله عليه السلام، وليس قبل القتل.

ومع هذا فضعف السند لا يقتضي ترك الخبر، لأن في الأُمور في التاريخية يؤخذ بالمراسيل وضعاف الأخبار، على أن البيت الأول المنسوب للجن والذي هو من أبيات ابن قتة يمكن معالجته بأنه بعدما شاع بأنه للجن أورده ابن قتة في جملة أبياته، ومضمون الأبيات الشعرية المناسبة للندبة بعد القتل لا ينافي الخبر إذ لعل من خصائص الامام الحسين عليه السلام ـ وهي كثيرة خصوصاً في نهضته ـ أنه نُدب قبل مقتله.

ـ ١٦ ـ

وقت خروج الإمام عليه السلام من المدينة

١ ـ في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٤١، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف:

(فتشاغلوا عن الحسين بطلب عبد الله ـ ابن الزُّبير ـ يومهم ذلك، حتى أمسوا، ثم بعث الرجال إلى الحسين عند المساء، فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفّوا عنه تلك اللّيلة، ولم يُلحّوا عليه.

فخرج الحسين من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد، ليومين بقيا من رجب سنة ستين).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٨٨:

(وخرج في جوف اللّيل يريد مكّة بجميع أهله، وذلك لثلاث ليالٍ مضين من شهر شعبان في سنة ستين).

٣ ـ وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٥:

مضمون خبر أبي مخنف المتقدم.

٤ ـ وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٨:

(وشغلوا يومهم ذلك كلّه بطلب ابن الزُّبير، فلمّا أمسوا وأظلم اللّيل، مضى الحسين رضي الله عنه نحو مكّة).

٥ ـ وفي اللهوف لابن طاووس ص ١٠١:

(فلمّا كان الغداة توجه الحسين عليه السلام إلى مكّة، لثلاث مضين من شعبان، سنة ستين).

أقول:

اتفقت الأخبار على أن الخروج ليلاً فما في اللهوف أنه خرج في الغداة، وهو ظاهر في أول النَّهار ليس في محله، ومن جهةٍ أخرى سيأتي أنه دخل مكّة في الثالث من شهر شعبان. كما في خبر أبي مخنف في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٨١: (وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكّة يومَ الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكّة ليلة الجمعة لثلاثٍ مضين من شعبان).

ولعلَّه وقع الإشتباه عند ابن أعثم وغيره بين يوم دخوله مكّة وبين يوم خروجه من المدينة.

ـ ١٧ ـ
كيفية الخروج

١ ـ في تاريخ الطّبري ج ٥ ص ٣٤٣، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المقْبري:

(فلما سار الحسين نحو مكّة قال: [فخرج منها خائفاً يترقب، قال: رب نَجِّني من القوم الظالمين] القصص ـ آية ٢١.

فلمَّا دخل مكّة قال: [ولمَّا توجه تلقاء مَدْيَن قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل] القصص ـ آية ٢٢).

٢ ـ وفي الفتوح ج ٢ ص ٨٨:

(وخرج في جوف اللّيل يريد مكّة بجميع أهله، وذلك لثلاث ليالٍ مضين من شهر شعبان في سنة ستين، فجعل يسير، ويقرأ هذه الآية [فخرج منها خائفاً يترقب، قال رب نَجِّني من القوم الظالمين] القصص ـ آية ٢١ ـ إلى أن قال ـ وسار حتى وافى مكّة، فلما نظر إلى جبالها من بعيد، جعل يتلو هذه الآية [ولمَّا توجه تلقاء مَدْيَن قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل] القصص ـ آية ٢٢).

ـ ١٨ ـ

عزل الوليد وما فعله الوالي الجديد

١ ـ قال الطّبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٤٣ في حوادث سنة ستين:

(وفي هذه السنة عزل الوليد بن عُتبة عن المدينة، عزله في شهر رمضان فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيها ـ سنة ستين ـ قَدِمَ عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان).

٢ ـ وقال الطَّبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٩٩ عن حوادث سنة ستين:

(ونزع يزيدُ بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عُتبة عن مكّة ـ والأصح المدينة ـ وولاّها عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في شهر رمضان منها، فحجَّ بالنَّاس عمرو بن سعيد في هذه السنة).

٣ ـ وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٥:

(فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم، وعُزل الوليد بن عُتبة، فلمَّا استوى على المنبر رَعِفَ، فقال أعرابي: مه، جاءنا والله بالدم، فتلقاه رجل بالعمامة، فقال: مه، عمَّ النَّاسَ

والله، ثم قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان، فقال: تشعب النَّاسُ والله، ثم خرج إلى مكّة قبل التروية بيوم).

٤ ـ وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٥ ص ٨٢ عن مصعب بن عبد الرحمان بن عوف:

(أنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة، وخرج الحسين وعبد الله بن الزُّبير، فقال له عمرو: اهدم دُور بني هاشم وآل الزُّبير.

فقال: لا أفعل

فقال: انتفخ سَحرُك يا ابن أم حُرَيْث، القِ سيفنا فألقاه ولحق بابن الزُّبير، وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزُّبير بن العوام، وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزُّبير، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ).

ـ ١٩ ـ
فوائد هذا الفصل

يستفاد من هذا الفصل أمور:

الأمر الأول: المروي من أخبار أبي مخنف في هذا الفصل خبران:

الأول: عن هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف.

الثاني: عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المقْبري.

ورجال الأول قد تقدم ترجمتهما في المصادر فلا نعيد، ولكن يعلم من سند هذا الخبر وغيره أن الطَّبري إنما نقل أخبار أبي مخنف عن مقتل هشام الكلبي.

ورجال الخبر الثاني، أما عبد الملك فقد قال عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج٢ ص ٦٢٨ (ذكره ابن حبّان في الثقات).

وأما أبو سعد المقبري فهو إشتباه، إذ كنيته أبو سعيد المقبّري، واسمه كيسان، كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٤٧٨، وقال عنه (ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة، وقال الواقدي: كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة مائة. . . وقال النسَّائي:

لا بأس به، وقال إبراهيم الحربي: كان ينزل المقابر فسُمِّي بذلك، وقيل: إن عمر جعله على حفر القبور فسُمِّي المقْبري، وجعلُ نُعَيماً على أحجار المسجد فسمِّي المُجْمر).

الأمر الثاني: الأخبار المروية في كتب العامة قد تلاعبوا بها بروحِ أموية.

الأمر الثالث: الإمام الحسين عليه السلام رفض البيعة وخرج من المدينة بعدما أعلن نهضته المباركة، وحدَّدَ الداعي لها في وصيَّته لأخيه ابن الحنفية، فما يشاع في هذا العصر أن سبب النَّهضة هو وصول كُتب أهل الكوفة ليس في محله، لأن كُتب أهل الكوفة وصلت إليه في شهر رمضان بعد وصوله إلى مكَّة، وقد كُتبت بعدما تناهى إلى مسامع أهل الكوفة خروجُه عليه السلام من المدينة.

الأمر الرابع: يستفاد من أخبار لقائه بأم سلمة أنه عليه السلام عالم بمقتله، وزمن القتل ومكانه، وكذا يستفاد من إخبار النبي صلى الله عليه وآله له بالمنام أنه مقتول لا محالة، وكذا يستفاد من محاورته عليه السلام مع أخيه عمر الأطرف، ومن ندبة نساء بني عبد المطلب، وهذا ما يؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام خرج شهيداً لا ثائراً لطلب الملك، وأن صلاح الأمة والدين إنما هو بالإستشهاد.

الأمر الخامس: يستفاد من خبر الفتوح المتقدم في محله أن الإمام عليه السلام طلب من ابن الحنفية البقاء في المدينة ليكون له عيناً، وفي تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢ النقل عن العلامة في سؤالات مهنّا بن سنان أن السبب في البقاء هو المرض، حيث قال: (وفي سؤالات مهنّا بن سنان من العلامة أعلى الله مقامهما:

ما يقول سيدنا العلامة في محمد بن الحنفية رضي الله عنه، هل

كان يقول بإمامة الحسن والحسين عليهما السلام وإمامة زين العابدين أم لا؟ وهل ذكر أصحابنا له عذراً في تخلفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته له عليه السلام بالطف أم لا؟، أوضح لنا ذلك، جعلك الله من أهل السعادة، وكيف يكون الحال إن تخلف عنه لغير عذر؟ وكذلك عبد الله بن جعفر وأمثاله؟.

وقال العلامة رضوان الله عليه: الجواب قد ثبت في أصول الإمامة أن أركان الإيمان التَّوحيد والعدل والنُّبوة والإمامة، والسَّيد محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، وأمثالهما أجل وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق، وخروجهم من الإيمان، الذي يحصل بارتكابه الثواب والخلاص من العقاب، وأما تخلفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نقل أنه كان مريضاً، ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام إنتهى)

وفي البحار ج ٤٢ ص ١٠٩ ـ ١١٠:

نفس النقل مع زيادة وهي: (ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع على مولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كُتب الغدرة إليه، وتوهموا نصرتهم له).

وفي بصائر الدرجات ص ٥٠١ الطبعة الثانية عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن مروان بن إسماعيل، عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ذكرنا خروج الحسين وتخلف ابن الحنفية عنه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمزة إني سأحدثك في الحديث، ولا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا، إن الحسين لمَّا فصل متوجهاً دعا بقرطاس، وكتب: بسم الله الرحمان الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد: فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام).

ورواه السَّيد ابن طاووس في اللهوف ص ١٢٩ عن الكليني في كتابه الرسائل، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أيوب بن نوح إلى آخر سند البصائر، ومتنه: (فإنه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام).

وأورده ابن قولويه في كامل الزيارة الباب ٢٣ حديث ٢٠ ص ١٥٧ عن أبيه وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن إسماعيل بن عيسى، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد ابن عمرو بن سعيد الزيَّات، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام (كتب الحسين بن علي من مكّة إلى محمد بن علي بن الحنفية:

بسم الله الرحمان الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد: فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام).

وعقَّب العلامة المجلسي في البحار ج ٤٢ ص ٨١ بعدما أورد خبر البصائر (وظاهر هذا الجواب ذمّه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيّرهم في ذلك، فلا إثم على من تخلف).

وجعل المامقاني أن التخلفَ تخلفٌ عن نيل الشهادة، وليس صاحبُه مؤاخذاً ومعاقباً على ترك واجب، وإلا لقال عليه السلام: ومن لم يلحق مع قدرته فهو مأخوذ بذنبه، وله كلام قبل ذلك في تعليل تخلف ابن الحنفية يحسُن نقله، قال في تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢: (وأقول: ما نُقل من كونه مريضاً إن صح فإنما هو عند رجوع أهل البيت إلى المدينة، لا عند ذهاب الحسين عليه السلام، كما لا يخفى على من راجع الأخبار والسير، وتحقيق الجواب عن سؤال مهنّا أن المستشهدين بين يدي أبي عبد الله الحسين روحي وأرواح العالمين له

الفداء كانوا أشخاصاً معيّنين، إثنين وسبعين، شرَّفهم الله تعالى في قضائه بهذه الموهبة المخصوصة لمصالح كامنة، ولم يوفق غيرهم لذلك، وإن كان في المتخلفين من هو أجلُ شأناً من بعض المستشهدين بين يديه لولا الشهادة التي بها نالوا رتبةً لم ينلها غيرُهم.

والحسين عليه السلام حين حَرَكتِه من الحجاز، وإن كان يدري هو أنه يستشهد بالعراق، إلا أنه في ظاهر الحال لم يكن ليمضي إلى الحرب حتى يجب على كل مكلف متابعته، وإنما كان يمضي للإمامة بمقتضى طلب أهل الكوفة، فالمتخلف عنه غير مؤاخذ بشيءٍ، وإنما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطف، أو كان بالقرب منه على وجهٍ يمكنه الوصول إليه ونصرته، ومع ذلك لم يفعل وقصّر في نصرته، فالمتخلّفون بالحجاز لم يكونوا مكلَّفين بالحركة معه حتى يُوجِب تخلفهم الفسقَ، ولذا أن جملة من الأخيار الأبدال الذين لم يكتب الله تعالى لهم نيل هذا الشرف الدائم بقوا في الحجاز، ولا يتأمل أحدٌ في عدالتهم) إنتهى.

أقول: أورد الكليني في أصول الكافي في باب النص على الإمام الحسين عليه السلام ج١ ص ٣٠١ حديث ٢ عن أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام (يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك عليه السلام يقول يوم البصرة: من احبّ أن يبرَّني في الدنيا والآخرة فليبرَّ محمداً ولدي).

وروى الكشي في رجاله ج ١ ص ٢٨٦ تحت رقم ١٢٥ في ترجمة محمد بن أبي حذيفة عن أبي الحسن الرضا عليه السلام (كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن المحامدة تأبى أن يُعصَ الله عز وجل.

قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أمير المؤمنين عليه السلام).

ولهذين الخبرين لا بدَّ من حمل تخلف ابن الحنفية على أنه لعذرٍ، وهذا العذر هو أمر أبي عبد الله عليه السلام له بالبقاء وليكون له عيناً، وعليه فلا يكون متخلفاً بل مشاركاً في نهضة أخيه عليه السلام.

وأما الكتاب الذي أرسله أبو عبد الله عليه السلام إلى بني هاشم كما في بصائر الدرجات فلعلَّ المقصود به غيره، ونقل السيد بحر العلوم في مقتله في الهامش ص ١٤٦ عن تاريخ ابن عساكر ج ١٣ ص ٧١ من مصوَّرات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف بعد هذا الكتاب (فالتحق به أبناء عمومته وإخوته على أثر الكتاب).

ومن هذا الكتاب تعرف صحة استشهاد إخوة الإمام عليه السلام بين يديه، ومنهم عمر الأطرف وعُبيد الله بن النهشلية على ما تقدم.

الأمر السادس: يستفاد من أخبار هذا الفصل أن الإمام الحسين عليه السلام رفض البيعة ليزيد عند طلب الوليد والي المدينة، وقد رفضها ليزيد بعنوان ولي العهد عندما طلبها معاوية، وهنا تحسن الإشارة إلى كيفية ما وقع في زمن معاوية.

ـــ بعض مخازي معاوية ـــ

في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٧٩ عن أبي مخنف، عن الصقعب بن زهير، عن الحسن ـ البصري ـ قال: (أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت مُوبقة، إنتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزَّها أمرها، بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصَّحابة، وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكِّيراً خمِّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول اللهﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

وقتلُه حُجْراً، ويلاً له من حُجْر، مرتين) إنتهى.

ومن المعلوم تاريخياً وقوع الصلح بين الإمام الحسن‰ وبين معاوية في سنة إحدى وأربعين للهجرة في ربيع الآخرة، وفي كتاب صلح الإمام الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٢٥٨: (وروى فريق من المؤرخين، فيهم الطّبري وابن الأثير: أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه، وكتب إليه:

أن اشترط في هذه الصَّحيفة التي خَتمتُ أسفلها بما شئت، فهو لك.

ثم بتروا الحديث فلم يذكروا بعد ذلك ماذا كتب الحسن على صحيفة معاوية، وتَتَبعنا المصادر التي يُسّر لنا الوقوف عليها، فلم نر

فيما عرضته من شروط الحسن عليه السلام إلا النتف الشَّوارد التي يعترف رواتُها بأنها جزء من كل... ورأينا بدورنا... أن ننسق هنا الفقرات المنثورة في مختلف المصادر من شروط الحسن على معاوية في الصلح... وإليك هي صورة المعاهدة التي وقَّعها الفريقان:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وبسيرة الخلفاء والصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدثٌ فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

إلى أن قال في المادة الخامسة: وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وان لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وان أصحاب علي وشيعته آمنون، على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحدٍ منهم بسوءٍ، ويوصل إلى كل ذي حق حقه ـ إلى أن قال ـ وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحدٍ من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفقٍ من الآفاق) إنتهى.

ولم يفِ معاويَة بشيء من هذه الشروط، بل ذهب بعد الصلح إلى النُّخيلة في الكوفة، وكان ذلك يوم جمعة، فصلّى بالنَّاس ضحى النّهار وخطبهم، وقال ـ كما في الإرشاد ج٢ ص ١٤ ـ: (إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لاتأمَّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإني كنتُ مَنيّتُ الحسن وأعطيته أشياء،

وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيءٍ منها له).

والحاصل أن تسليم الأمر إلى معاوية بداعي إطفاء الفتنة مع عدم الناصر، أو قلته، وكثرة المخاذل والعدو ليس خلافة عن رسول الله ﷺ برضا الأمة واختيار أهل الحل والعقد كما تُوهم.

ففي مقاتل الطالبين ص٤٧:

(إن معاوية أمر الحسن أن يخطب لما سُلّم الأمر إليه وظنّ أنه سيحصر، فقال في خطبته: إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك ملكٌ مَلَك ملكاً، يُمتّع به قليلاً، ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ـ الأنبياء آية ١١١ ـ انتهى.

فضلاً عن أن معاوية لم يعمل بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ، مع إبقاء سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام حتى رفعه عمر بن عبد العزيز، وسخَّرَ معاوية جماعةً كثيرة، منهم أبو هريرة وسُمرة بن جُندب، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شُعبة، لوضع أحاديث في فضل الصحابة في قبال الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام، ولوضع أحاديث بذم العترة الطاهرة، ولوضع أحاديث في فضل معاوية، وحاول معاوية ستر فضائل آل البيت عليهم السلام، ومَنَعَ التحدثَ بها، واضطهد الشيعة اضطهاداً رسمياً في جميع البلاد، ببعث أوامر بذلك إلى ولاته في الأمصار، وأسرف في قتل الخُلَّص من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أمثال: حُجْر بن عدي وإخوانه من وجهاء أهل الكوفة، ورُشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي، وجُويرة بن مُسهَّر العبدي، وعبد الله بن يحيى الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وأوفى بن حصن، وعبد الرحمان ابن العنزي، وروَّع النساء، وهدم الدّور، وحَرَمَ من العطاء، كل ذلك للقضاء على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١١ ص ٤٣ ـ ٤٤، عن الإمام الباقر عليه السلام: (وكان عُظْمُ ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتلت شيعتُنا بكل بلدةٍ، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان مَنْ يُذكر بحبنا والإنقطاع إلينا سُجن أو نُهبَ ماله، أو هُدّمت داره.

ثم لم يزل البلاء يشتدُّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنَّة وتهمة، حتى إن الرجل ليُقال له: زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يقال: شيعة علي).

ونقل ابن أبي الحديد أيضاً في شرح النهج ج ١١ ص ٤٤ ـ ٤٦ عن المدائني:

(كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ النَّاس حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن أمية، وضمَّ إليه البصرة، وكان يتتبَّع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام عليّ عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وصلبهم على جُذوع النخل وطردهم وشرَّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عُمَّاله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادةً ـ إلى أن قال ـ:

ثم كتب إلى عُمّاله نسخةً واحدةً إلى جميع البلدان: انظروا مَنْ

قامت عليه البَيِّنَة أنه يحب علياً وآل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفَّعَ ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ، ولا أكثر منه بالعراق، لا سيما الكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيُلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يُحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكُتّمَنّ عليه ـ إلى أن قال ـ:

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبقَ أحدٌ من هذا القبيل إلا وهو خائفٌ على دمه، أو طريد في الأرض) إنتهى.

ومن هذا النص تعرف كيفية خلو الكوفة من غالب الشيعة التي كانت فيها زمن أمير المؤمنين عليه السلام، وتعرف بأن القول بكون الكوفة كلها شيعية زمن الإمام الحسين عليه السلام وأنهم استدعوه وخذلوه وقتلوه ليس في محله.

وعلى كلٍ فمن جملة أعمال معاوية أنه بغى على الإمام الحسن عليه السلام، قال الشيخ المفيد في إرشاده ج ٢ ص ١٥:

(إلى أن تمَّ لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، فدسَّ إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس ـ وكانت زوجة الحسن عليه السلام ـ مَنْ حملها على سُمِّه، وضمن لها أن يُزّوجَها بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم فسقته جَعدة السمَّ، فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً، ومضى عليه السلام لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة).

وفي مقاتل الطالبيين ص٣١:

(ودسّ معاوية إليه ـ إلى الحسن ـ حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده، وإلى سعد بن أبي وقّاص سماً، فماتا منه في أيام متقاربة).

وفي نفس المصدر ص٤٧ ـ ٤٨، بعد تسليم الأمر إلى معاوية:

(وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة، فأقام بها وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سماً فماتا منه).

وفي نفس المصدر ص٤٨:

(توفي الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنه سقاهما سماً).

وفي نفس المصدر ص٤٨:

(أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث إني مزوّجك بيزيد ابني، على أن تُسمي الحسن بن علي، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوجها منه، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلامٌ عيّروهم، وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج).

وبالجملة فلم يفِ بأيِّ شرط من شروط الصلح، ولم يترك الأمر من بعده للإمام الحسن أو الإمام الحسين عليه السلام، بل أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد.

ـــ ولاية العهد ليزيد لعنه الله ـــ

قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٥٠٣ ـ ٥١١:

(وفي هذه السنة ـ سنة ست وخمسين ـ بايع النَّاسُ يزيدَ بنَ معاوية بولاية عهد أبيه.

وكان ابتداء ذلك، وأوّله من المُغيرة بن شُعبة، فإن معاوية أراد أن يعزله من الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للنَّاس كراهتي للولاية.

فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولايةً وإمارةً لا أفعل ذلك أبداً، ومضى حتى دخل على يزيد، وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وآلُه وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة.

قال: أو ترى ذلك يَتمْ؟

قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه، واخبره بما قال المغيرة، فاحضر المغيرة، وقال له ما يقول يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيتَ ما كان من

سفك الدماء والإختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خَلَفٌ، فاعقد له فإن حَدَثَ بك حادثٌ كان كهفاً للناس، وخلفاً منك، ولا تُسَفك دماء ولا تكون فتنة.

قال: ومَنْ لي بهذا؟

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحدٌ يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك، وتَحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى، فودَّعه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: مه؟

قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرْزٍ، بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يُرتق أبداً... وسار المغيرة حتى قدم الكوفة، وذاكر من يثق إليه، ومن يعلم أنه شيعة لبني أمية أمر يزيد، فأجابوا إلى بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويقال: أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا على معاوية فزيّنوا له بيعة يزيد، ودعوه إلى عقدها، فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم، ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينَهم؟

قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم.

وقيل: أرسل أربعين رجلاً، وجعل عليهم ابنه عروة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنما اشخصهم إليه النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا أمير المؤمنين، كبُرت سنُّك، وخِفْنا انتشار الحبل فانصب لنا علماً وُحدَّ لنا حَّداً ننتهي إليه؟

فقال: أشيروا عليَّ.

فقالوا: نشير بيزيد بن أمير المؤمنين.

فقال: أَوَقْد رَضيِتمُوه؟

قالوا: نعم.

قال: وذلك رأيكم؟

قالوا: نعم، ورأيُ مَنْ وراءنا.

فقال معاوية لعُروة سِّراً عنهم: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟

قال: بأربعمائة دينار، قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً، وقال لهم: ننظر ما قدمتم له ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العجلة فرجعوا.

وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد، فأرسل إلى زياد يستشيره، فأحضر زيادُ عبيد بن كعب النُميري، وقال له: إن لكل مستشيرٍ ثقة، ولكل سرٍّ مستودعاً، وإن النَّاس قد أبدع بهم خصلتان، إذاعة السر، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثوابها، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقلٌ يصون حسبه، وقد خبرتهما منك، وقد دعوتُك لأمرٍ اتّهمتُ عليه بطون الصحف، أن أمير المؤمنين كَتَبَ يستشيرني في كذا وكذا، وأنه يتخوّف نفرة النَّاس ويرجو طاعتهم، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رَسْلَةٍ وتهاون مع ما قد أُولع به من الصيد، فالقَ أمير المؤمنين وأدِّ إليه فَعَلات يزيد، وقلْ له رويدك الأمر، فأحرى أن يتم لك ما تريد، لا تعجلْ، فإن دَرَكاً في تأخير خيرٌ من فوت في عجلة.

فقال له عُبيد: أفلا غير هذا؟

قال: وما هو؟

قال: لا تُفسد على معاوية رأيه، ولا تُبَغّض إليه ابنَه.

وألقى أنا يزيد فأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له، وأنك تتخوّف خلاف النَّاس عليه لهنَات ينقمونها عليه، وأنك ترى له تركَ ما يُنقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس، ويتمَّ ما تريد، فتكون قد نصحت أمير المؤمنين، وسلمت ممَّا تخاف من أمر الأمة.

فقال زياد: لقد رميتَ الأمرَ بحِجْرِه، أشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأً فغيرُ مُسْتَغشّ، وتقول بما ترى ويقضي الله بغيب ما يعلم.

فقدم على يزيد فذكر ذلك له، فكفّ عن كثير ممَّا كان يصنع، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتُّؤدة وأن لا يعجل، فقبل منه.

فلما مات زياد وعزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله ابن عمر مائة ألف درهم، فقبلها، فلمَّا ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص وامتنع.

ثم كَتَبَ معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم: إني قد كَبُرَتْ سنّي ورقّ عظمي وخشيتُ الإختلافَ على الأمة بعدي، وقد رأيتُ أن أتخيَّرَ لهم من يقوم بعدي وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة مَنْ عندَك، فاعرضْ ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردّون عليك، فقام مروان في النَّاس فأخبرهم به، فقال النَّاس: أصابَ ووُفّق، وقد أحببنا أن يتخيّر لنا فلا يألوُ.

فكَتَبَ مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب بذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يألُ، وقد استخلفَ ابنَه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمان بن أبي بكر فقال: كذبتَ واللهِ يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمّة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هِرَقلّيةَ، كلما مات هِرَقْل قام هِرَقْل، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ ـ الآية، الأحقاف آية ١٧ ـ.

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان يا مروان، فأنصت الناسُ وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القائل لعبد الرحمان أنه نزل فيه القرآن؟ كذبتَ واللهِ ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضضٌ من لعنة نبي الله.

وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك، وفعل مثله ابنُ عمر وابن الزبير، فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عمّاله بتقريظ يزيد ووصْفهِ، وأن يُوفدوا إليه الوفود من الأمصار، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة، فقال محمد بن عمرو لمعاوية:

إن كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، فانظر مَنْ تولي أمرَ أمَّةِ محمد، فأخذ معاويةَ بَهْرٌ حتى جعل يتنفس في يوم شاتٍ، ثم وصله وصرفه، وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد، فدخل عليه، فلمَّا خرج من عنده قال له:

كيف رأيت ابنَ أخيك؟

قال: رأيت شباباً ونشاطاً وجَلَداً ومزاحاً.

ثم إن معاوية قال للضحَّاك بن قيس الفهري لمَّا اجتمع الوفود عنده: إني متكلم فإذا سكتُّ فكنْ أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها، فلما جلس معاوية للنَّاس تكلَّم فعظَّم أمرَ الإسلام،

وحرمَة الخلافة وحقَّها، وما أمر الله به من طاعةِ وُلاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرّض ببيعته، فعارضه الضحَّاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إنه لا بدّ للنَّاسِ من والٍ بعدَك، وقد بلونا الجماعة والإلفة فوجدناهما أحقن للدّماء وأصلح للدّهماء، وآمنَ للسُبل وخيراً في العاقبة، والأيام عوج رواجع، والله في كل يوم في شأن، ويزيد بن أمير المؤمنين في حُسن هديهِ وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علمـاً وحلماً وأبعدنا رأياً، فَوَلِّهِ عهدك واجعله لنا عَلَماً بعدك ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن في ظلِّه.

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك، ثم قام يزيد بن المقنّع العُذْري فقال:

هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشار إلى سيفه.

فقال معاوية: إجلسْ فأنت سيد الخطباء، وتكلم من حضر من الوفود.

فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟

فقال: نخافكم إن صدَقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسرّه وعلانيته ومدخله ومخرجه، فإن كنتَ تعلمه لله تعالى وللأمَّة رضا فلا تشاورْ فيه، وإن كنتَ تعلم فيه غيرَ ذلك فلا تُزوِّدهُ الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

وقام رجل مِن أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المُعدّية العراقية، وإنما عندنا سمع وطاعة وضربٌ وازدلاف.

فتفرق النَّاس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يُعطي المُقارب

ويداري المُباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر النَّاس وبايعه، فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أوّل النَّاس، فلما نظر إليه قال: لا مرحبا ولا أهلاً، بدنة يَترقْرَق دمُها والله مهريقه.

قال: مهلاً، فإني لستُ بأهلٍ لهذه المقالة.

قال: بلى ولشرٍ منها.

ولقيه ابنُ الزبير فقال: لا مرحبا ولا أهلاً، خبٌّ، ضبُّ تَلْعَة، يُدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه، وُيدّق ظهره، نحيِّاه عنِّي، فضرب وجه راحلته.

ثم لقيه عبد الرحمان بن أبي بكر، فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً، شيخ قد خرف وذهب عقله، ثم أمر فضرب وجه راحلته، ثم فعل بابن عمر نحَو ذلك، فأقبلوا معه، لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابه، فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبّون، فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها.

وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال: مَنْ أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أنذرت إن أغنت النُّذر، ثم أنشد متمثلاً:

قد كنتُ حذَّرتُك آل المصطَلَقْ وقلتُ يا عمرُو أطعْنِي وانطِلقْ
إنَك إن كَلفتني ما لمْ أُطِقْ ساءَك ما سرَّك منيّ من خُلُقْ
دونَك ما استقيته فاحسُ وذُقْ

ثم دخل على عائشة، وقد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لاقتلنّهم إن لم يبايعوا، فشكاهم إليها فوعظتْه وقالت له: بلغني أنك تتهددهم بالقتل.

فقال: يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك، ولكن بايعت ليزيد وبايعه غيرُهم، أفترين أن أنقض بيعةً قد تمت؟

قالت: فارفقْ بهم، فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله.

قال: أفعل.

وكان في قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلاً يقتلك، وقد فعلتَ بأخي ما فعلت، تعني أخاها محمداً، فقال لها: كلا يا أم المؤمنين، إني في بيت آمن، قالت: أجل.

ومكث بالمدينة ما شاء الله، ثم خرج إلى مكَّة، فلَقيَهُ النَّاس، فقال أولئك النَّفر: نتلقاه فلعله قد ندمَ على ما كان منه، فلقوه ببطن مَرّ، فكان أول من لقيه الحسين، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين، فأمر له بدابة فركب وسايره.

ثم فعل بالباقين مثلَ ذلك، واقبلَ يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكّةَ، فكانوا أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ولا يمضي يوم إلا ولهم صلة، ولا يذكر لهم شيئاً، حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وَقرُبَ مسيره، فقال بعض أولئك النفر لبعض: لا تُخدَعُوا، فما صنع بكم هذا لحُبّكم، وما صنعه إلا لما يريد، فأعدّوا له جواباً فاتفقوا على أن يكون المخاطِب لهُ ابنُ الزبير.

فأحضرهم معاوية وقال: قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وحملي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وأردتُ أن تقدّموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تَعزلون وتُؤمّرون، وَتَجبُون المال وتُقسِّمُونَه، لا يعارضكم في شيءٍ من ذلك، فسكتوا، فقال: ألا تجيبون؟ مرتين.

ثم أقبل على ابن الزبير، فقال: هات لعمري إنك خطيبهم،

فقال: نعم، نُخيِّركُ بين ثلاث خصال، قال: اعرضهم، قال: تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر، قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قُبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً، فارتضى النـاسُ أبا بكر، قال: ليس فيكم مثل أبي بكر، وأخاف الإختلاف، قالوا: صدقت، فاصنع كمـا صنع أبو بكـر، فإنه عـهـد إلى رجلٍ من قـاصيةِ قريش، لـيس من بنـي أبيه فاستَخلَفهُ، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستّة نفر، ليس فيهم أحدٌ من ولده ولا من بني أبيه.

قال: معاوية: هل عندك غير هذا؟

قال: لا.

ثم قال: فأنتم؟

قالوا: قولنا قوله.

قال: فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم، إنَّه قد أعذر من أنذر، إني كنتُ أخطب فيكم فيقوم إليَّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس النَّاس، فأحمل ذلك وأصفح، وإني قائم بمقالة، وأقسم بالله لئن ردَّ عليَّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها، حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يُبقينَّ رجل إلا على نفسه.

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يردّ عليّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما، ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يُثَبَّتُ أمرٌ دونهم، ولا يُقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد

رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله، فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر.

ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة، فلقي النَّاسُ أولئك النفر، فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون، فلِمَ أُرضيتم وأُعطيتم وبايعتم؟

قالوا: والله ما فعلنا.

فقالوا: ما منعكم أن تردّوا على الرجل؟

قالوا: كادنا وخفنا القتل.

وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام وجفا بني هاشم، فأتاه ابنُ عباس فقال له: ما بالك جفوتَنا؟

قال: إن صاحبكم لم يبايع ليزيد، فلم تُنكروا ذلك عليه.

فقال: يا معاوية إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به، ثم أنطق بما تعلم حتى أدع النَّاس كلهم خوارج عليك.

قال: يا أبا العباس تعطون وترضون وترادّون.

وقيل: إن ابن عمر قال لمعاوية: أبايعك على أني أدخل فيما تجتمع عليه الامَّة، فوالله لو اجتمعت على عبدٍ حبشي لدخلتُ معها، ثم عاد إلى منزله فأغلق بابه ولم يأذن لأحدٍ.

قلتُ: ذِكْرُ عبد الرحمان بن أبي بكر لا يستقيم على قول مَنْ يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين، وإنَّما يصح على قول مَنْ يجعلها بعد ذلك الوقت) إنتهى.

أقول:

السبب في النقل عن الكامل لابن الأثير ما قاله نفس ابن الأثير

في مقدمة كتابه ج ١ ص ٣ (فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطَّبري إذ هو الكتاب المُعوّل عند الكافة عليه، والمرجع عند الإختلاف إليه فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخلّ بترجمة واحدة منها... فلمَّا فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطَّبري ما ليس فيه، ووضعت كل شيء منها موضعه، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً، إلا ما فيه زيادة بيان أو إسم إنسان... وإنَّما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة إعتقاد وصدقاً) إنتهى.

والإمام الحسين عليه السلام ومعاوية وابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر وعائشة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله بالإتفاق، فما نقله ابن الأثير هنا إنما نقله عن تاريخ الطَّبري بحسب شهادته المتقدمة، مع أن المنقول السابق عن ابن الأثير غير موجود في تاريخ الطبري إلا قضية المُغيرة بن شعبة ونصيحة زياد لمعاوية وابنه وبعض ما جرى بين معاوية ووجوه أهل المدينة منهم الإمام الحسين عليه السلام في مكة. وهذا كاشف عن تلاعب الأيدي الأموية في تاريخ الطَّبري حيث حذفت منه بقيّة ما نقله ابن الأثير.

وعلى كلٍ فما نقله ابن الأثير متضمن لأمور:

الأمر الأول: قضية المُغيرة، وأنه أول من جاهر بولاية العهد ليزيد في البلاط الأموي، وقد نقلها الطَّبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٠١ عن المدائني بسنده عن الشعبي من دون أن يذكر ما فعله المُغيرة بعدما رجع إلى الكوفة من بعث عشرة أو أربعين شخصاً إلى معاوية، يزيّنوا له بيعة يزيد.

ووفاة المُغيرة سنة خمسين في شعبان كما هو قول الواقدي والمدائني على ما في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣٤، وهو الصحيح كما في الكامل لابن الأثير ج٣ ص ٤٦١، وهناك قولان آخران، وفاته في سنة إحدى وخمسين وهو قول عوانة، ووفاته في سنة تسع وأربعين عن بعضهم على ما في تاريخ الطَّبري ج٥ ص ٢٣٤ ولكنهما قولان متروكان.

ولما كانت وفاة المغيرة سنة خمسين في شعبان تعرف أن ما فعله المُغيرة كان قبل ذلك، وتعرف أن المُغيرة بعدما جاهر بولاية العهد قبل سنة خمسين أقدم معاوية على سمِّ الإمام الحسن (ع) على ما تقدم نقل كلام الشَّيخ المفيد في الإرشاد.

ومنه تعرف ضعف ما في حاشية مقتل بحر العلوم ص ٩٠ أن ذلك كان في أوائل سنة ٥٦، هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى انفرد ابن أعثم في الفتوح ج٢ ص٣٦ بما يلي:

(وتوفي الحسن بن علي بالمدينة، فأقبل عمرو بن العاص حتى دخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، إنه تُوفي الحسن بن علي بالمدينة، وقد قرَّ هذا الأمر فيك وفي وِلدِك، وفيمن تُوصي إليه من أهل بيتك، ويجب عليك أن تعقد لرجلٍ من أهلك عقداً في أعناق المسلمين، يقوم بأمرهم من بعدك، ولكن ذلك عن الرضا والإختيار.

فقال له معاوية: ننظر في ذلك أبا عبد الله، وتنظر أنت أيضاً، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى).

وفيه: أن ابن العاص قد توفي سنة ٤٣ يوم الفطر على ما في تاريخ الطَّبري ج٥ ص١٨١، فكيف يوصي بهذه الوصيَّة بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، وقد توفي الإمام الحسن عليه السلام سنة خمسين.

الأمر الثاني في كلام ابن الأثير المتقدم: قضية زياد، وانه طلب من معاوية التَّأخير بإعلان بيعة يزيد لولاية العهد، وأن معاوية لم يجهر بعزمه على البيعة المذكورة إلا بعد موت زياد.

وقد نقله الطَّبري في تاريخه عن المدائني عن مسلمة ج ٥ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣، وزياد مات في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين بالكوفة كما في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص ٢٨٨ ناقلاً ذلك عن المدائني، ولم ينقل خلافاً في ذلك، وعليه فلم يجهر معاوية بالبيعة ليزيد إلا بعد هذا التاريخ، أعني سنة ثلاث وخمسين، ويؤيده ما في العقد الفريد ج ٥ ص ١١٧ : (أبو الحسن المدائني قال: لمَّا مات زياد، وذلك سنة ثلاث وخمسين أظهر معاوية عهداً مفتعلاً، فقرأه على النَّاس، فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يُسهّل بذلك بيعة يزيد، فلم يزل يُروّض النَّاس لبيعته سبع سنين، ويشاور ويُعطي الأقارب، ويداني الاباعد حتى استوثق له من أكثر النَّاس).

والعهد المفتعل الذي أظهره معـاوية بعد وفاة زياد هو ما نقله الطَّبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٠٣ عن المدائني: (لمَّا مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على النَّاس باستخلاف يزيد: إن حَدَث به حَدَثُ الموت فيزيد وليّ العهد).

ومما تقدم يظهر أن معاوية أظهر كتـابه بولاية العهد ليزيد بعد موت زياد سنة ثلاث وخمسين، وبه جاهر بالبيعة المذكورة، وبقي سبع سنين يُروّض النَّاس على ذلك، أي من حين وفاة زياد سنة ثلاث وخمسين إلى وفاة معاوية سنة ستين.

ومما تقدم تعرف ضعف ما يلي:

الأول: ما نقله ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٨ ـ

١٥٠ من قدوم معاوية سنة خمسين إلى المدينة، وإجتماعه بالعبادلة الأربعة، وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وقال لهم: (أوشكتُ أن أُدعى فأجيب، وقد رأيتُ أن استخلفَ عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضاً، وأنتم عبادلة قريش وخيارها، وأبناء خيارها).

ثم ذكر المؤلف ردود العبادلة عليه بالإمتناع، ولمَّا سمع معاوية الإمتناع أعرض عن ذكر البيعة ليزيد، ثم انصرف راجعاً إلى الشام، وسكت عن البيعة فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين.

أقول:

ما نقله ابن قتيبة فقد انفرد به، ومن جهةٍ أخرى ليس موافقاً لمَّا تقدم من أنه لم يجهر بالبيعة إلى حين وفاة زياد سنة ٥٣، ومن جهةٍ ثالثة فقد حجَّ معاوية في سنة خمسين كما في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤٠، وكما في تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٥، والنص للثَّاني حيث قال: (وحجَّ بالنَّاس في جميع سنيِّ ولايته حجَّتين، سنة ٤٤، وسنة ٥٠، . . . واعتمر عمرة رجب في سنة ٥٦)، وعليه فما نقله ابن قتيبة أنه انصرف سنة خمسين بعد اجتماعه بالعبادلة الأربعة من المدينة إلى الشام ليس في محله.

الثاني: ما نقله اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٢٠٨، بعدما ذكر قضية المغيرة على ما تقدم نقلها: (وكَتَبَ معاوية إلى زياد، وهو بالبصرة: أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادعُ النَّاس قبَلك إلى مثل ما دعاهم إليه المُغيرة، وخُذْ عليهم البيعة ليزيد.

فلما بلغ زياداً، وقرأ الكتاب، دعا برجلٍ من أصحابه، يثق بفضله وفهمه، فقال: إني أريد أن ائتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحائف، إئتِ معاوية، وقل له: يا أمير المؤمنين، إن كتابك ورد عليَّ بكذا، فما يقول النَّاس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المُصبَّغ، ويُدمن الشراب، ويمسي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين، فعسانا أن نُمَوِّهَ على النَّاس.

فلما صار الرسول إلى معاوية، وأدّى إليه الرسالة قال: ويلي على ابنِ عُبيد، لقد بلغني أن الحادي حدا له: إن الأمير بعدي زياد، واللهِ لأردَّنه إلى أُمّه سمّية، وإلى أبيه عُبيد).

أقول:

هذا منافٍ لما تقدم من خبر ابن الأثير من أن معاوية قبل نصيحة زياد، ومنافٍ لمَّا تقدم من أخبار في هذا الأمر الثاني من أن معاوية لم يجهر بالبيعة إلا بعد موت زياد، فكيف يهدده، وكيف يخبره ببيعة أهـل الكوفة ليزيد على يدِّ المغيرة.

الأمر الثالث في كلام ابن الأثير المتقدم: كتاب معاوية إلى مروان باستعلام حال أهل المدينة عن بيعة يزيد، وكان جوابهم أن الخيار لمعاوية، وعندما اختار معاوية يزيد وأخبرهم عن طريق مروان أنكر عليه الإمـام الحسينعليه السلام وابن الزبـير وابن عمرو بن أبي بكر، مع المحاورة التي جرت بين مروان وبين ابن أبي بكر.

وفيه: انه أورد الكتاب المذكور قبل ذكر وفود الأمصار على معاوية مع أن الصحيح أنه بعد وفود الأمصار عليه سنة ٥٥ للهجرة،

وعليه فنرجيء البحث فيه إلى ما بعد ذكر وفود الأمصار.

الأمر الرابع في كلام ابن الأثير المتقدم: وفود الأمصار على معاوية، وفد المدينة بقيادة محمد بن عمرو بن حزم، ووفد البصرة بقيادة الأحنف بن قيس، مع ذكر ما قاله عمرو بن سعيد الأشدق، ويزيد بن المقُنّع العُذْري.

وأورد ابن أعثم في الفتوح ج ٢ ص ٤٧:

(ودخلت سنة خمس وخمسين، فكتب معاوية إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه، فقدم عليه قومٌ من أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل مكّة والمدينة، وأهل مصر والجزيرة، ومن جميع البلاد، فاستشارهم معاوية في البيعة ليزيد.

فقام إليه رجلٌ من أهل المدينة يقال له: محمد بن عمرو بن حزم، فقال: يا معاوية إن يزيد أهلٌ لما ترِيد أن ترسمه له، وهو لعمري غني في المال، ووسيط في النّسب، غير أن الله تعالى سائلٌ كل راع عن رعيته، فاتقِ الله يا معاوية، وانظر من تولي أمر أمَّة محمد ﷺ.

فتنفس معاوية الصُعداء، ثم قال: يا بن عمرو، أنت رجلٌ ناصح، وإنما قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا ذلك، غير أنه لم يَبقَ من أولاد الصحابة إلا ابني وأبناؤهم، وابني أحب إليَّ من أبنائهم.

فسكت النَّاس وانصرفوا يومهم، فلمَّا كان من الغد، بعث معاوية إلى الضحَّاك بن قيس، فدعاه وقال: إني قد عزمت على الكلام وإذا غصَّ المجلس بأهله ورأيتني ساكتاً، فكنْ أنت الذي تدعوني إلى أمر بيعة يزيد، وحُضّني على بيعته، ثم أرسل معاوية إلى وجوه النَّاس فأحضرهم مجلسه، فلما اجتمعوا بدأ معاوية بالكلام: فحمد الله

وأثنى عليه، ثم عظَّم الإسلام وحرمته، ثم ذكر ما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله في قريش، وعلمه بالسياسة.

فعارضه الضَّحاك بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين، إنه لا بدَّ للناس من والٍ بعدك، فولِ عهدَك، فإنا قد بلونا الجماعة والفرقة، فوجدنا الجماعة والإلفة أحقن للدماء، وآمن للسُبُل، وخيراً في العاجلة والآجلة، والأيام عوج رواجع، ولله في كل يوم أمرٌ وشأن، ولا تدري ما يختلف به العصران، وينقلب فيه الحدثان، ويزيد بن أمير المؤمنين في هديه، وقصد سيرته من أفضلنا حلماً، وأكثرنا علماً، فولِهِ عهدَك، واجعله لنا علماً بعدك، ليكون مفزعاً نلجأ إليه، وخليفةً نُعوِّل عليه، تسكن به القلوب، ونأمن به الفتن، ثم سكت الضَّحاك.

وقام عمرو بن سعيد الأشدق وقال: أيُّها النَّاس، والله إن يزيد لطويل الباع، واسع الصدر، رفيع الذكر، إن صرتم إلى عدله وسعكم، وإن لجأتم إلى جوده أغناكم، وهو خَلَفٌ لأمير المؤمنين، ولا خلف منه.

فقال له معاوية: اجلس أبا أمية، فد أوسعتَ وأحسنتْ، فجلس عمرو بن سعيد بن العاص، وقام يزيد بن المُقنّع الكندي، فقال: أيّها النَّاس، إن أمير المؤمنين هذا، وأشار بيده إلى معاوية، فإن مات فخليفته هذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار بيده إلى السيف.

فقال له: اجلس، فأنت سيد الخطباء.

ثم قام الحصين بن نمير السكّوني، فقال: يا معاوية والله لئن لقيتَ الله ولم تبايع ليزيد لتكوننّ مُضيّعاً للأمَّة.

فالتفت معاوية إلى الأحنف بن قيس: وقال: يا أبا بحر، ما يمنعك من الكلام؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، وسره وعلانيته، فإن كنت تعلمه لله عز وجل ولهذه الأمة رضا، فلا تشاورنَّ فيه أحداً من الناس، وإن كنت تعلم لله غير ذلك فلا تُزوَدِّهُ الدُّنيا وأنت ماضٍ إلى الأخرة، فإن قلت ما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

فقال معاوية: أحسنت يا أبا بحر، جزاك الله عن السمع والطاعة خيراً، فبايع النَّاس في ذلك الوقت ليزيد بن معاوية، وانصرفوا إلى منازلهم).

وفي العقد الفريد لإبن عبد ربه الأندلسي ج ٥ ص ١١٨ ـ ١١٩:

(فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه، فوفد عليه من كل مصر قوم، وكان فيمن وَفَدَ عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم، فخلا به معاوية، وقال له: ما ترى في بيعة يزيد؟

فقال: يا أمير المؤمنين، ما اصبح اليومَ على الأرض أحدٌ، هو احبُ إليَّ رشداً من نفسك سوى نفسي، وأن يزيد أصبح غنياً في المال وسطاً في الحسب، وإن الله سائلٌ كل راعٍ عن رعيته، فاتقِ الله وانظر من تُوَلِّي أمَّة محمد.

فأخذ معاوية بَهْرُ ـ كرب ـ حتى تنفس الصُّعداء، وذلك في يوم شاتٍ، ثم قال: يا محمد، إنك امرؤ ناصح قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا ذاك، قال معاوية: إنه لم يبقَ إلا ابني وأبناؤهم، فابني أحبّ إليّ من أبنائهم، اخرج عنّي.

ثم جلس معاوية في أصحابه، وأذن للوفود فدخلوا عليه، وقد

تقدم إلى أصحابه أن يقولوا في يزيد، فكان أوَّل مَنْ تكلم الضحاك بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لا بدَّ للناس من والٍ بعدَك، والأنفس يُغدَى عليها ويُراح، وإن الله قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ـ الرحمن آية ٢٩ ـ ولا ندري ما يختلف به العصران، ويزيد بن أمير المؤمنين في حسن معدنه وقصدِ سيرته، من أفضلنا حلماً وأحكمنا علماً، فَوَلِّه عهدك واجعله لنا عَلَماً بعدك، فإنا قد بلونا الجماعة والإلفة، فوجدناها أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيراً في العاقبة والآجلة.

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال: أيها الناس، إن يزيد أملٌ تأملونه، وأجل تأمنونه، طويل الباع، رحب الذراع، إذا صرتم إلى عدله وَسِعَكمُ، وإن طلبتم رِفدَه أغناكم، جذع قارح، سُوبق فسبق، ومُوجد فمجد، وقُورع فقرع، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه.

فقال: اجلس أبا أمية، فلقد أوسعت وأحسنت.

ثم قام يزيد بن المُقنّع فقال:

أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى سيفه.

فقال معاوية: اجلس فإنك سيد الخطباء.

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه الأمَّة، فلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تُزوِّدْهُ الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة.

فتفرق النَّاس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف، ثم بايع النَّاس ليزيد بن معاوية، فقال رجلٌ وقد دُعيَ إلى البيعة: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ معاوية.

فقال له معاوية: تعوّذ مِن شرٍّ نفسك، فإنه أشدّ عليك، وبايعْ.

قال: إني أبايع وأنا كارهٌ للبيعة.

قال له معاوية: بايع أيها الرجل، فإن الله يقول: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ـ النساء آية: ١٩ ـ.

أقول:

الإختلاف اليسير بين هذه الروايات لا يضر، ولكن عام الوفود كما هو صريحها في سنة خمس وخمسين، وهو الأقرب للسياق التَّاريخي بعد مجاهرة معاوية بالبيعة بعد وفاة زياد سنة ٥٣.

فما في مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٧ـ ٢١٨ أن الوفود في سنة تسع وخمسين ليس في محله.

قال المسعودي في المصدر السابق:

(وفي سنة تسع وخمسين وَفَدَ على معاوية وفود الأمصار من العراق وغيرها، فكان ممن وفد من أهل العراق الأحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس.

فقال معاوية للضحّاك بن قيس: إني جالسٌ من غدٍ للناس، فأتكلم بما شاء الله، فإذا فرغتُ من كلامي فقُلْ في يزيد الذي يحقّ عليك وادعُ إلى بيعته، فإني قد أمرتُ عبد الرحمن بن عثمان الثقفيّ وعبد الله بن عِضاة الأشعري وثَوْر بن معن السَّلَمي أن يصدّقوك في كلامك، وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه.

فلما كان من الغد قَعَدَ معاوية، فأعلم الناس بما رأى من حسن رِعْيَة يزيد ابنه وهَدْيه، وأن ذلك دعاه إلى أن يولّيه عهده.

ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك، وحضّ الناس على

البيعة ليزيد، وقال لمعاوية: اعزم على ما أردتَ، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفيّ وعبد الله بن عضاة الأشعري وثوْر بن معن، فصدّقوا قوله.

ثم قال معاوية: أين الأحنف بن قيس؟ فقام الأحنف، فقال: إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان يؤتنف، وزيد حبيبٌ قريب، فإن تُولّه عهدك فَعَن غير كِبَر مُغنٍ أو مرضٍ مُضنٍ، وقد حلبتَ الدهور وجرّبت الأمور فاعرف من تُسند إليه عهدك، ومن تولّيه الأمر من بعدك، واعصِ رأيَ من يأمرك ولا يقدر لك، ويشير عليك ولا ينظر لك.

فقام الضحّاك بن قيس مُغضباً، فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق، وقال: اردد رأيهم في نحورهم، وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك.

ثم قام رجلٌ من الأزد، فأشار إلى معاوية، وقال: أنت أمير المؤمنين، فإذا متَّ فأمير المؤمنين يزيد، فمن أبى هذا فهذا، وأخذ بقائم سيفه فسلّه.

فقال له معاوية: اقعد فأنت من أخطب الناس.

فكان معاوية أوَّلَ من بايع لابنه يزيد بولاية العهد، وفي ذلك يقول عبد الله بن همّام السّلولي:

فإن تأتوا برملَة أو بهِندِ ... نبايعها أميرةَ مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعدّ ثلاثةً متنا سقينا
فيا لهفاً لَوَ أنّ لنا ألوفاً ... ولكن لا نعود كما عنينا
إذاً لضُربتمُ حتى تعودوا ... بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا ... دماء بنيّ أمية ما روينا

لقد ضاعت رعيتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلينا)

وهذا مخالفٌ للأخبار المتقدمة من ناحية جواب الأحنف.

وفي أنساب الأشراف ج٥ ص٧٠ ـ ٧١:

(المدائني، عن علي بن سليم، قال: قال عبد الله بن همام السلولي:

فإن تأتوا ببرّة أو بهند ....
وكلُ بنيك نرضاهم جميعاً وإن شئتم فعمّهمُ البطينا
إذا ما مات كسرى .....
أيا لهفاً لو أنّ لنا رجالاً

إلى آخر الأبيات.

فقال معاوية: ما ترك ابن همّام شيئاً، عيّرنا بالسخينة، وذكّرنا أمهاتنا، وتهددنا، وذكر أنه لو شرب دماءنا ما اشتفى، اللهم اكفِناه).

هذا وذكر ابن قتيبة قضية وفود الأمصار عليه ج ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٨، وان معاوية طلب من الضَّحاك بن قيس أن يذكر يزيد بحُسن الثَّناء، وان معاوية قد ولاّه الأمر من بعده، ثم دعا عبد الرحمان بن عثمان الثَّقفي وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبد الله بن عصام الأشعري، وأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضَّحاك، وأن يصدقوا قوله ويدعوا معاوية، إلى بيعة يزيد، وذكر ابن قتيبة ما طُلب منهم مع خطبة معاوية في أول الإجتماع، وذكر أن معاوية طَلَبَ من الأحنف بن قيس الذي كان على رأس وفد أهل البصرة رأيه في ذلك، فكان من جوابه: مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حياً.

وذكر ابن قتيبة أن الضحَّاك ردّ عليه، ثم أجابه الأحنف، ثم ردّ

على الأحنف عبد الرحمان بن عثمان، ثم أجابه معاوية في كلام طويل، فراجع ولكن ما ذكره ابن قتيبة أن الوفود قبل وفاة الإمام الحسن عليه السلام كما يظهر من جواب الأحنف ليس في محله، وما ذكره ابن قتيبة بتمامه قد انفرد به فلا يمكن الركون إليه.

الأمر الخامس في كلام ابن الأثير المتقدم: كتاب معاوية إلى مروان عامله على المدينة بأخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من أهل المدينة.

بعدما عرفت أن سنة خمس وخمسين عام الوفود فاعلم أن مروانَ وليَ المدينة من قبل معاوية بعد عام الجماعة في سنة ٤٢ للهجرة، كما في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص١٧٤، وبقي والياً عليها إلى سنة ٤٩ للهجرة، كما في تاريخ الطَّبري ج ٥ ص٢٣٢، فعُزل ووُليّ مكانه سعيد بن العاص إلى عام ٥٤ للهجرة، ثم عزل سعيد وأرجع معاويةُ مروانَ والياً على المدينة كما في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٩٣، ثم بقي والياً عليها إلى سنة سبع وخمسين شهر ذي القعدة، فعُزل عنها ووُليّ مكانه الوليد بن عُتبة، ولذلك كان مروان يكرهه كما في تاريخ الطّبري ج ٥ ص ٣٠٨.

وبعد عام الوفود كتب معاوية كتاباً إلى مروان بن الحكم يطلب منه أخذ البيْعة من أهلها كما في الفتوح ج ٢ ص ٥٠ والعقد الفريد ج ٥ ص ١١٩ـ١٢٠، ومنه تعرف أن كتاب معاوية إلى مروان قد وقع في سنة ٥٥ أو ٥٦ للهجرة بعد وفود الأمصار عليه، فما تقدم من كلام ابن الأثير من ذكر كتاب معاوية لمروان قبل وفود الأمصار عليه ليس في محله، ومن جهةٍ أخرى قد تقدم ذكر كتاب معاوية لمروان بحسب نص ابن الأثير الذي نقله عن تاريخ الطَّبري، وأما ما نقله ابن الأعثم في الفتوح ج ٢ ص ٥٠ ـ ٥١، فهو:

(فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم، وهو عامله على المدينة، يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد، ويخبره في كتابه أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا.

فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الطاعة وحضَّ عليها، وذكر الفتنة وحذّر منها، ثم قال في بعض كلامه: أيها الناس، إن أمير المؤمنين قد كبر سِنّه، ورقّ جلده وعظمه، وخشي الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأياً حسناً، وقد أراد أن يختار لكم وليَّ عهدٍ، يكون من بعده لكم مفزعاً، يجمع الله به الإلفة، ويحقن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك عن مشورة منكم ومراضٍ، فماذا تقولون؟ فقال الناس من كل جانب: إنَّا لا نكره ذلك، إذا كان لله فيه رضا.

فقال مروان: إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وهو ابنه يزيد.

فسكت الناس، فتكلم عبد الرحمان بن أبي بكر وقال: كذبتَ واللهِ يا مروان، وكذب مَنْ أمرك بهذا، والله ما يزيد رضا، ولكن يزيد وراءه هِرقْلية.

فقال مروان: أيَّها الناس، إن هذا المتكلم هو الذي أُنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ ـ الأحقاف آية: ١٧ ـ.

فغضب عبد الرحمان بن أبي بكر، ثم قال: يا بن الزرقاء، أفينا تتأول القرآن، وأنت الطريد بن الطريد، ثم بادر إليه وأخذ برجله، ثم قال: انزل يا عدو الله عن هذا المنبر، فليس مثلك من يتكلّم بهذا على أعواده.

وضجَّ بنو أمية في المسجد، وبلغ ذلك عائشة، فخرجت من

منزلها ملتفةً بملاءة لها، ومعها نسوة من نساءِ قريش، حتى دخلت المسجد، فلما نظر إليها مروان، كأنه فزع لذلك، ثم قال: نشدتِك الله يا أم المؤمنين، وإن قلت إلا حقاً.

فقالت عائشة: لا قلت إلا حقاً، أشهدُ، لقد لعن رسول الله ﷺ أباك، ولَعَنك، وأنت الطريد بن الطريد، أن تكلم أخي عبد الرحمان بما تكلمه. فسكت مروان، ولم يرد عليها شيئاً، ورجعت عائشة إلى منزلها وتفرَّق النَّاس.

وكتب مروان إلى معاوية يخبره بذلك، وبما كان من عبد الرحمان بن أبي بكر، فلما قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه، فقال: عبد الرحمان شَيخٌ قد خَرِفْ، وقلَّ عقله، ويجب أن نكفَّ عنه، ونحتمل ما يكون منه، فليس هذا من رأيه، ولكن من رأي غيره، ثم تهيأ معاوية يريد الحج).

وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١١٩ ـ ١٢٠:

(ثم كتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن ادعُ أهل المدينة إلى بيعة يزيد، فإن أهل الشام والعراق قد بايعوا.

فخطبهم مروان فحضّهم على الطاعة، وحذّرهم الفتنة، ودعاهم إلى بيعة يزيد، وقال: سُنّة أبي بكر الهادية المهدية.

فقال له عبد الرحمان بن أبي بكر: كذبت، إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة، وبايع لرجل من بني عدّي، رضي دينه وأمانته، واختاره لأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

فقال مروان: أيُّها النَّاس، إنّ هذا المتكلّم هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ ـ الأحقاف آية ١٧ ـ.

فقال له عبد الرَّحمان: يا بن الزَّرقاء، أفينا تتأول القرآن؟

وتكلم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأنكـروا بيعة يزيد، وتفرق النَّاس.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك فخرج معاوية إلى المدينة في ألف).

وهناك خصوصيات في كلِ خبرٍ من أخبار ابن الأثير وابن الأعثم وابن عبد ربه في كتاب معاوية لمروان، وما فعله مروان في المدينة ويمكن الجمع بينها.

وعلى كلٍ فمن هذه الأخبار تعرف ضعف ما أورده ابن قتيبة في الإمامة والسِّياسة ج١ ص ١٥١ ـ ١٥٧:

فقد ذكر ابن قتيبة أنه بعد موت الحسن عليه السلام سنة إحدى وخمسين بعث معاوية بكتب إلى الآفاق يطلب فيها بيعة يزيد، وكان على المدينة مروان بن الحكم، وأمره بأخذ البيعة من أهل المدينة فردَّ عليه بالإباء من قبله ومن قبل قريش فعزله معاوية ونصَب مكانه سعيد بن العاص، فقدم مروان في أهل بيته وناسٍ كثير من قومه إلى الشَّام، وخطب أمام معاوية عرّض فيها بتأمير الصبيان أمثال يزيد، وترك أمثال مروان من بني قومه لعدم مشاورته، فأرضاه معاوية بإعطائه ألف دينار في هلال كل شهر ولكل واحدٍ من أهل بيته مائة دينار.

ثم كتب معاوية إلى واليه على المدينة سعيد بن العاص بأخذ البيعة ليزيد، فبعث إليه بجواب فيه امتناع بني هاشم عن البيعة ومجاهرة ابن الزبير بالرفض، فكتب معاوية إلى عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن الزُّبير وعبد الله بن جعفر وإلى الإمام الحسين عليه السلام كتباً وأمر سعيداً بأن يوصلها إليهم مع كتاب من معاوية إلى سعيد بن العاص.

ثم ذكر ابن قتيبة مضامين هذه الكتب، ثم ذكر أجوبة القوم إلى معاوية، ثم ذكر كتاب معاوية لسعيد بن العاص بأخذ أهل المدينة بالبيعة أخذاً شديداً وأن لا يُحرِّك هؤلاء النَّفر، فحاول سعيد ذلك فلم يفلح فكتب إلى معاوية (بأنَّ الناس تبعٌ لهؤلاء النَّفر، فلو بايعوك بايعك النَّاس جميعاً، ولم يتخلف عنك أحد، فتحرَّك معاوية حينئذ وقدم المدينة حاجاً).

وهذا مما انفرد به ابن قتيبة، ولا يمكن الإعتماد عليه، خصوصاً أنه جعل هذه المراسلات قد تمَّت في سنة إحدى وخمسين، وفي هذا العام عُزل مروان ووليَ مكانه سعيد بن العاص وكلُّها أمور منافية للثَّابت من التَّاريخ المتقدم، فلا نُعيد.

وأغرب منه ما في البدء والتاريخ ج٢ ص٢٣٩ فقد ذكر أنَّه بعد وفاة الإمام الحسنعليه السلام، (ثم دعا النَّاس إلى بيعة يزيد، فأوّل من بايع يزيد معاوية، وكتب إلى مروان بن الحكم بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد، فغضب مروان إذ لم يجعل إليه الأمر، فسار إلى الشَّام فكلَّمه وجعله وليَّ عهد يزيد بعده، وردَّه إلى المدينة فامتنع أهل المدينة من بيعته).

وفيه: أن هذا لا يصح في هذا التَّاريخ من كونه بعد وفاة الإمام الحسنعليه السلام لعدم كون مروان والياً على المدينة، نعم كتب معاوية إلى مروان بأخذ البيعة من أهل المدينة بعد وفود الأمصار عليه في سنة ٥٥ للهجرة كما عرفت.

الأمر السادس في كلام ابن الأثير المتقدم: ذهاب معاوية إلى المدينة في ألف فارس.

وقال ابن أعثم في الفتوح ج٢ ص٥١ ـ ٥٤:

(ثم تهيأ معاوية يريد الحج، فطلعت أثقال معاوية، ورحل إلى

المدينة، فلما تقارب منها خرج الناس يتلقونه، وفيمن خرج إليه عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فلما نظر إليهم قطّب في وجوههم، ثم قال: ما أعزفني سفهكم وطيشكم. فقال له الحسين: مهلاً يا معاوية، فلسنا لهذه المقالة بأهل.

فقال: بلى والله وأشدّ من هذا القول وأغلظ، فإنكم تريدون أمراً، والله يأبى ما تريدون.

ثم دخل المدينة فنزلها، وأقبل إليه الناس مُسلّمين، وجعل كل من دخل إليه مُسلّماً يشكو إليه هؤلاء الأربعة، ثم جاؤوا ليدخلوا عليه، فلم يأذن لهم، فتركوه ومضوا إلى مكة.

وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته، وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد، في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش، والله إني لأرى قوماً يعيبونه، وما أظنهم بمقلعين ولا منتهين، حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، فليربع أولئك على أضلعهم، من قبلِ أن تصيبهم منّي فاقرةٌ لا يقومون لها، فقد أنذرتُ إن نفع الإنذار، وبيّنت إن نفع البيان، ثم جعل يتمثل بهذه الأبيات، ويقول:

قد كنتُ حذرتك آل المصطلق وقلتُ يا عامر ذرني وانطلق

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرّك منّي من خُلُق

دونك ما استيقنته فاحسُ وذُقْ

ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي، وقال: واللّهِ لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن، ثم نزل عن المنبر، ودخل إلى منزله.

وبلغ ذلك عائشة، فأقبلت حتى دخلت مغضبة عليه، وقالت: يا معاوية، ما كفاك أنك قتلت أخي محمد بن أبي بكر وأحرقته بالنار، حتى قدمت المدينة وأخذت بالوقيعة في أبناء الصحابة، وأنت من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، وكان أبوك من الأحزاب، فخبرني ما كان يؤمنك منّي أن أبعثْ إليك من يقتلك بأخي محمد، وآخذ بثاري؟

فقال لها معاوية: يا أم المؤمنين، أما أخوك محمد فلم أقتله، ولم آمر بذلك، ولكنه كان ينصر من جهّز عليَّ، عليُّ بن أبي طالب، فوجهتُ إليهم معاوية بن خديج وعمرو بن العاص فحاربهما فقتلاه، وفعلا به ما فعلا، ولم يكُ ذلك عن رأيي، وأما قولك تقتلينني، فإنني في بيت أمان.

فقالت عائشة: لعمري أنت في بيت أمان، ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر، وابن أختي عبد الله بن الزبير، والحسين بن فاطمة، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء.

فقال معاوية: مهلاً يا أم المؤمنين، فهم أعزّ عليّ من بصري، لكني أخذت البيعة لابني يزيد، وقد بايعه كافة المسلمين، أفترينني أنقضُ بيعةً قد تبيّنت وتأكدت، وأن يخلع الناسُ عهودهم؟

فقالت عائشة: إني لا أرى ذلك، ولكن عليك بالرفق والتأني، وأنهم لا يخالفونك، وانظر لا يبلغني عنك أنك اسأت إلى أحدٍ منهم، فتلقى منّي ما لا تحب، واذكر المرجع إلى الله، والمنقلب إليه.

فقال معاوية: أفعلُ ذلك يا أم المؤمنين، وأنتِ أهلٌ أن يُسمع منك، وتطاعي في كل ما تأمرين.

فانصرفت عائشة إلى منزلها، وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فأُخبر أنهم قد مضوا إلى مكة، فسكت ساعة يفكر في أمرهم، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه، فلما دخل عليه قرب مجلسه، ثم قال:

يا بن عباس، أنتم بنو هاشم، وأنتم أحقُّ الناس بنا، وأولاهم بمودتنا، لأننا بنو عبد مناف، وإنما باعد بيننا وبينكم هذا المُلك، قد كان هذا الأمر في تيم وعدي، فلم تعترضوا عليهم ولم تظهروا لهم المباعدة، ثم قُتل عثمان بين أظهركم فلم تغيروا، ثم وُلّيت هذا الأمر، فواللَّهِ لقد قرّبتكم وأعطيتكم ورفعت مقداركم فما تزدادون منّي إلا بُعداً.

وهذا الحسين بن علي، قد بلغني عنه هِناتٌ، غيرُها خيرٌ له منها، فاذكروا علي بن أبي طالب ومحاربته إيّاي، ومعه المهاجرون والأنصار، فأبى الله تبارك وتعالى إلا ما قد علمتم، أفترجون بعد عليّ مثله، أم بعد الحسن مثله. فقطع عليه ابن عباس الكلام، ثم قال: صدقت يا معاوية، نحن بنو عبد مناف، وأنتم أحق الناس بمودتنا، وأولاهم بنا، وقد مضى أول الأمر بما فيه فاصلح آخره، فإنك صائرٌ إلى ما تريد.

وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جودٍ من عيب، وأما قولك ذهب عليّ فترجون مثله، فمهلاً يا معاوية، رويداً لا تعجل، فهذا الحسين بن علي حيّ، وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه ـ يا معاوية ـ فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليومَ ابن بنت نبيّ سواه.

فقال معاوية: إني قد قبلت منك يا ابن عباس).

وهذا الخبر أجمع من خبر ابن الأثير المتقدم لاشتماله على محادثة معاوية مع ابن عباس، ولأنه أكثر تفصيلاً للأمور، ولكنه مشتمل على دخول عائشة على معاوية في المدينة، وهذا مما لا يصح، خصوصاً أن نفي الخبر مشتمل على جواب معاوية لها بأنه في بيت أمان، تعريضاً بأنه في بيتها.

الأمر السابع في كلام ابن الأثير المتقدم: ذهاب معاوية إلى مكة وأخذ بيعة الناس ليزيد، مع تهديد الإمام الحسين عليه السلام وجماعة بالقتل عند الإعتراض.

قال ابن أعثم في الفتوح ج٢ ص٥٤ ـ ٥٩:

(ثم رحل معاوية إلى مكة، ورحل معه كافة أصحابه، وعامة أهل المدينة، وفيهم عبد الله بن عباس، حتى إذا قرُب من مكة خرج إليها أهلها، فتلقوه كما فعل أهل المدينة، وفيهم الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، فلما نظر إليهم، قال: مرحباً وأهلاً، ثم نظر إلى الحسين، فقال: مرحباً بأبي عبد الله، مرحباً بسيد شباب أهل الجنة.

ثم نظر إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: مرحباً بشيخ قريش وابن صديقها، ثم نظر إلى ابن عمر، وقال: مرحباً بابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، مرحباً بابن الفاروق، ثم نظر إلى ابن الزبير: فقال: مرحباً بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن عمته.

ثم قال معاوية: عليّ يا غلام بأربعة من الظهر، فأُتي بها فركبوا وساروا وسار معهم معاوية، وجعل يحدثهم ويضاحكهم، حتى دخل مكة، ثم بعث إلى كل واحدٍ منهم بصلة سنية، وفضّل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة، فلم يقبلها الحسين منه.

وأقام معاوية بمكة لا يذكر شيئاً من أمر يزيد، ثم أرسل إلى الحسين فدعاه، فلما جاءه ودخل إليه قرّب مجلسه، ثم قال:

أبا عبد الله، اعلمْ أني ما تركت بلداً إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيْعة ليزيد، وإنما أخرّت المدينة لأني قلت: هم أصله وقومه وعشيرته، ومن لا أخافهم عليه، ثم إني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحداً هو أشدّ بها منهم، ولو علمتُ أن لأمة محمدﷺ خيراً من ولدي يزيد لما بايعت له.

فقال له الحسين: مهلاً يا معاوية، لا تقلْ هكذا، فإنك قد تركت من هو خيرٌ منه أماً وأباً ونفساً.

فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله؟

فقال الحسين: فإن أردت نفسي فكان ماذا؟

فقال معاوية: إذن أخبرك أبا عبد الله، أما أمك فخيرٌ من أم يزيد، وأما أبوك فله سابقة وفضل وقرابة من الرسولﷺ ليست لغيره من الناس، غير أنه قد حاكم أبوه أباك، فقضى الله على أبيك، وأما أنت وهو، فهو واللَّهِ خيرٌ لأمة محمدﷺ منك.

فقال الحسين: مَنْ خيرٌ لأمة محمد؟ يزيد الخمور، الفَجور.

فقال معاوية: مهلاً أبا عبد الله، فإنك لو ذُكرت عنده لما ذكر منك إلا حُسناً.

فقال الحسين: إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقلْ فيّ ما أقوله فيه.

فقال له معاوية: أبا عبد الله انصرفْ إلى أهلك راشداً، واتقِ اللَّهَ في نفسك، واحذرْ أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعتُه،

فإنهم أعداؤك وأعداء أبيك فانصرف الحسين إلى منزله، وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فأقبل، فلما دخل وهمّ معاوية أن يتكلم سبقه عبد الرحمن بالكلام، وقال: واللَّهِ يا معاوية لعل ودّك أنا قد وكلناك إلى الله في أمر ابنك يزيد حتى تفعل ما تريد، ولا واللَّهِ لا نفعل ذلك أبداً، أو لتردنّ الأمر شورى بني المسلمين.

فقال معاوية: أما واللَّهِ إني لعارفٌ بك وبسفهك، ولقد هممت أن أفعل كذا وكذا، أو كما قال ـ كذا في المصدر ـ

فقال له عبد الرحمن: إذن واللَّهِ يا معاوية يدركك الله به في الدنيا، ويدخر لك العقوبة في الآخرة.

فقال معاوية: اللهم اكفني أمر هذا الشيخ، يا هذا اتقِ الله في نفسك أن يسمعك أهل الشام.

فقال عبد الرحمن: أما نحن فقد اتقينا الله، فذرنا في منازلنا، ولا تدْعُنا إلى بيعة يزيد الخمور، ويزيد الفهود، ويزيد القرود.

ثم وثب عبد الرحمن بن أبي بكر مُغضباً، فصار إلى منزله، وأرسل معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فدعاه، وقال: يا عبد الله، عهدي بك وأنت تكره الفرقة، وتقول ما أحبّ أن أبيت ليلة وليس عليّ أمير، وإني أحذرك أن تشق العصا، أو أن تسعى في الأرض الفساد، وأن الناس قد استوسقوا وبايعوا لابني يزيد، غيرُكم أيها الرهط.

فقال له عبد الله: يا معاوية، أما كان من قبلك أئمة ولهم أبناء، وليس ابنك بأفضل من أبنائهم، غير أنهم اختاروا لأنفسهم الخيار حيث علموه، وقد حذرتني الشقاق ولم أكن مشاقاً لأحد، غير أني سمعتك تذكر بيعةً قد سبقت، وعهداً قد أُكّد، وليس لك عندي

خلاف، فإذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف، وإن تفرقوا فإني متوقفٌ حتى يجتمعوا على رجلٍ، فأكون كواحدٍ من المسلمين.

فقال له معاوية: نِعْمَ ما قلتَ يابن عمر، قم واحذر أهل الشام.

ثم دعا ابن الزبير، فلما دخل ونظر إليه معاوية تبسم ثم قال: روّاغ كلما سُدّ عليه جحر خرج من آخر، يابن الزبير إنك قد عهدت إلى هؤلاء الثلاثة فنفخت في مناخيرهم، وحملتهم على غير رأيهم، وذلك أن الناس قد استوسقوا في هذه البيعة غيركم أيها النفر، فاتقِ الله يابن الزبير، ولا تكن مشاقاً وقاطعاً.

فقال عبد الله بن الزبير: واللَّهِ ما فيّ شقاق يا معاوية، فلا تبنِ فينا أساساً لنفسك، والزم ما كان عليه السلف الصالح من أخيار المسلمين، فلم يكن الأمر إلا شورى بينهم، فإن الإسلام يرد على موارده، فإن أبيت ذلك وقد مللت هذا الأمر فاعتزل وهات ابنك حتى نبايعه.

واعلم يا معاوية أن خلافة الله في أرضه وخلقه، وخلافة رسول الله ﷺ في أمته عظيمةٌ، وأن الله تبارك وتعالى عنهما مُسائلك، والذي يحاجّك في القيامة غداً رسوله ﷺ، فانظر لنفسك يا معاوية، قبل أن ينظر لها سواك.

فقال معاوية: يا هذا، أمسك عليها لسانك واحذر أهل الشام، فإذا خلوتَ بي فقلْ ما أحببتَ فإني محتمل لك.

فانصرف عبد الله بن الزبير إلى منزله، وأقام معاوية في مكة أياماً، ثم أمر لقريش بجوائز، ولم يأمر لبني هاشم بشيء، فكلمه ابن عباس في ذلك، وقال: إنك قد أعطيت بطون قريش الأموال، ولم تعطِ بني هاشم، فلِمَ ذلك يا معاوية؟

فقال معاوية: لأن صاحبكم الحسين بن علي أبى أن يبايع ليزيد.

فقال ابن عباس: إنه قد أبى غيرُ الحسين، فأعطيته.

فقال معاوية: صدقت يابن العباس، ولستم عندي كغيركم.

فقال ابن عباس: واللَّهِ لئن لم تفعل وتُرضي بني هاشم لألحق بساحلٍ من سواحل البحر، ثم لأنطقن بما تعلم، ولأتركنّ الناس عليها خوارج.

فتبسم معاوية وقال: بل تُعطون وتكرمون وتزادون أبا محمد.

ثم أمر معاوية لبني هاشم بجوائز سنية، فكلٌ قبِل جائزته إلا الحسين بن علي، فإنه لم يقبل من ذلك شيئاً.

حتى إذا أراد معاوية الخروج عن مكة أمر بالمنبر فقُرّب من الكعبة، ثم أرسل إلى الحسين وابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير، فأحضرهم إلى مجلسه، ثم أقبل عليهم، فقال: إنكم قد علمتم نظري لكم، وصلتي أرحامكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإني أردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا بعد ذلك أنتم الذين تأمرون وتنهون.

فقال له ابن الزبير: يا معاوية، إنا نخيّرك خصالاً ثلاث، فاختر منها أيتهن شئت فهي لك صلاح.

قال معاوية: وما ذاك يابن الزبير؟

قال: إن شئت فاصنع كما صنع رسول الله ﷺ، إنه خرج من الدنيا ولم يستخلف، ثم اختار الناس من بعده أبا بكر الصديق، فجعلوه خليفةً، فافعل أنت ذلك إلى أن يقضي الله فيك أمره فيختار الناس لأنفسهم كما اختاروا أبا بكر.

فقال معاوية: إنه ليس منكم اليومَ مثل أبي بكر، وإني لا آمن عليكم الاختلاف.

فقال ابن الزبير: فاصنع كما صنع أبو بكر، إنه ترك ولده ورهطه الأدنين ممن كان للخلافة أهلاً، وعهد إلى رجلٍ من قاصية قريش، فجعلها في عمر بن الخطاب، فجنّبها أنت أيضاً ابنك، واجعلها فيمن شئت من قريش ما خلا بني عبد شمس، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر بن الخطاب، إنه جعلها شورى في ستة نفرٍ من الصحابة، يختارون لأنفسهم رجلاً، وترك ولده وأهل بيته، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً.

فقال معاوية: فهل من شيء غير هذا يابن الزبير؟

فقال: ما عندي لها رابعة.

فقال معاوية للثلاثة الباقية: ما تقولون أنتم؟

فقالوا: نحن على ما قال ابن الزبير.

فقال معاوية: فإني أريد أن أرحل عن مكة، غير أني عزمت أن أتكلم على المنبر بكلامٍ، والمُبْقي في ذلك الوقت إنما يُبقي على نفسه من أهل الشام وأنتم أعلم، وقد أعذر من أنذر. فانصرف القوم إلى منازلهم، فلما كان من الغد خرج معاوية، وأقبل حتى دخل المسجد، ثم صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، وأقبل الحسين بن علي وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير حتى جلسوا إلى المنبر، ومعاوية جالس، حتى علم أن الناس قد اجتمعوا فوثب قائماً على قدميه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنهم قد زعموا أن الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن

عمر وعبد الله بن الزبير لم يبايعوا ليزيد، وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذاً سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا.

فضرب أهل الشام بأيديهم إلى سيوفهم فسلوها، ثم قالوا: يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي تعظمه من أمر هؤلاء الأربعة، ائذن لنا أن نضرب أعناقهم، فإنا لا نرضى أن يبايعوا سراً، ولكن يبايعوا جهراً، حتى يسمع الناسُ أجمعين.

فقال معاوية: سبحان الله ما أسرع الناس بالشرّ، وما أحلى بقاءهم عندي، اتقوا الله يا أهل الشام، ولا تُسرعوا إلى الفتنة، فإن القتل له مطالبة وقصاص.

فبقي الحسين بن علي، وابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حيارى لا يدرون ما يقولون، يخافون أن يقولوا لم نبايع والموت الأحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام، أو وقوع فتنة عظيمة، فسكتوا ولم يقولوا شيئاً.

ونزل معاوية عن المنبر، وتفرّق الناس وهم يظنون أن هؤلاء الأربعة قد بايعوا.

وقُرّبت رواحل معاوية، فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام، وأقبل أهل مكة إلى هؤلاء الأربعة، فقالوا لهم: يا هؤلاء إنكم قد دعيتم إلى بيعة يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك، ثم دعيتم فرضيتم وبايعتم.

فقال الحسين: لا واللَّهِ ما بايعنا، ولكن معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به، ثم صعد المنبر وتكلم بكلام، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعة، ولا ندري إلى ماذا يؤول أمرنا، فهذه قصتنا معه) انتهى.

وهذا الخبر فيه خصوصيات غير موجودة في خبر ابن الأثير المتقدم، كما أنه خالٍ عن أمورٍ ذكرها ابن الأثير في خبره كمثل طلب معاوية بقيام رجلين من حرسه فوق رؤوس الأربعة، وأمره بقتل من يردّ عليه كلامه إن صعد المنبر وخطب لولاية العهد ليزيد.

ومن هذا وذاك تعرف ضعف ما أورده الطبري في تاريخه ج٥ ص٣٠٣ ـ ٣٠٤ من محاورة معاوية للجماعة في مكة وأنهم قبلوا بيعة يزيد ما عدا ابن أبي بكر، قال:

(بايع الناسُ ليزيد بن معاوية غيرُ الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس.

فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي، فقال: يابن أخي، قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفرٍ من قريش أنت تقودهم، يابن أخي، فما إرْبك إلى الخلاف؟

قال: أنا أقودهم؟ قال: نعم، أنت تقودهم.

قال: فأرسل إليهم، فإن بايعوا كنتُ رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلتَ عليّ بأمر، قال: وتفعل؟ قال: نعم، فأخذ عليه ألاّ يخبّر بحديثهم أحداً.

قال ـ الراوي ـ: فالتوى عليه، ثم أعطاه ذلك، فخرج وقد أقعد له ابنُ الزبير رجلاً بالطريق، قال: يقول لك أخوك ابن الزبير، ما كان؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً.

ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير، فقال له: قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفرٍ من قريش، أنت تقودهم، يابن أخي، فما إرْبك إلى الخلاف؟

قال: أنا أقودهم؟ قال: نعم، أنت تقودهم.

قال: فأرسل إليهم فإن بايعوا كنتُ رجلاً منهم، وإلاّ لم تكن عجلتَ عليّ بأمر، قال: وتفعل؟ قال: نعم، فأخذ عليه ألاّ يخبر بحديثهم أحداً.

قال: يا أمير المؤمنين، نحن في حرم الله عز وجل، عهدُ الله سبحانه ثقيل، فأبى عليه، وخرج.

ثم أرسل بعده إلى ابن عمر، فكلّمه بكلامٍ هو ألين من كلام صاحبه، فقال: إني أرهب أن أدع أمة محمد بعديَ كالضأن لا راعي لها، وقد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفرٍ من قريشٍ أنت تقودهم، فما إرْبك إلى الخلاف؟

قال: هل لك في أمرٍ يُذهب الذمّ ويَحقن الدم، وتُدرك به حاجتك؟

قال: وددت.

قال: تُبرز سريرتك، ثم أجيء فأبايعك، على أني أدخل بعدك فيما تجتمع عليه الأمة، فواللّهِ لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبدٍ حبشي، لدخلت فيما تدخل فيه الأمة.

قال: وتفعل؟ قال: نعم، ثم خرج فأتى منزله فأطبق بابَه، وجعل الناس يجيئون فلا يأذن لهم.

فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: يابن أبي بكر، بأية يدٍ أو رجلٍ تُقدم على معصيتي؟

قال: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي، فقال: واللّهِ لقد هممتُ أن أقتلك، قال: لو فعلت لأتبعَك الله به لعنةً في الدنيا، وأدخلك به في الآخرة النار.

قال ـ الراوي ـ: ولم يذكر ابن عباس).

ـ ما جرى على معاوية عند وفاته ـ

١ ـ في تاريخ الطبري ج٥ ص٣٢٢ ـ ٣٢٣، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال:

حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخْرَمة:

(أن معاوية لما مَرِض مرضَتَه التي هلك فيها دعا يزيد ابنه، فقال:

يا بُنيَّ، إني قد كَفَيتك الرّحلة والترحال، ووطّأت لك الأشياء، وذلّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوّف أن ينازعنك هذا الأمر الذي استتبّ لك إلا أربعة نفر من قريش:

الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

فأما عبد الله بن عمر، فرجلٌ قد وقَذَته العبادة، وإذا لم يبقَ أحدٌ غيره بايعك.

وأما الحسين بن علي، فإن أهل العراق لن يَدَعوه حتى يُخرجوه، فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً.

وأما ابن أبي بكر فرجلٌ إن رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همّة إلا في النساء واللهو.

وأما الذي يَجثم لك جثومَ الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنتْه فرصةٌ وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقَدَرت عليه فقطّعه إرْباً إرْباً).

٢ ـ وفي تاريخ الطبري ج٥ ص٣٢٣ عن هشام بن محمد، قال عوانة:

(قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت ـ وذلك في سنة ستين ـ وكان يزيد غائباً، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري ـ وكان صاحب شرطته ـ ومسلم بن عقبة المرّيّ، فأوحى إليهما، فقال:

بلّغا يزيدَ وصيتي، انظر أهل الحجاز، فإنهم أهلك، فأكرم مَنْ قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب.

وانظر أهلَ العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنّ عَزْلَ عاملٍ أحبّ إليّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف.

وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وَعَيْبَتَك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتَهم فارددْ أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم.

وإني لستُ أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

فأمّا ابن عمر فرجلٌ قد وقَذَه الدين، فليس ملتمساً شيئاً قِبَلك.

وأما الحسين بن علي فإنه رجلٌ خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قَتَل أباه، وخَذَل أخاه، وإنّ له رحماً ماسّة، وحقاً عظيماً، وقرابةً

من محمدﷺ، ولا أظنّ أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوتُ عنه.

وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ، فإذا شَخَصَ لك فالبدْ له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبلْ، واحقُنْ دماءَ قومك ما استطعت).

٤ ـ وفي الفتوح ج٢ ص٦٠ ـ ٦٩:

(ثم رحل معاوية، فلما صار بالإيواء ونزلها، قام في جوف الليل لقضاء حاجته، فلما اطّلع فيها اقشعر جلده، وأصابته اللقوة في وجهه، فأصبح لما به، فدخل عليه الناس يعزونه، ويتوجعون له مما قد نزل به.

فقال: يا أيها الناس، إن المؤمن ليُصاب بالبلاء، فإما معاقب بذنب، وإما مبتلى ليؤجر، وإن ابتليت فقد ابتلى الصالحون من قبلي، وأنا أرجو أن أكون منهم، وإن مرض مني عضوٌ فذلك بأيام صحتي، وما عوقبت أكثر، ولئن أعطيت حكمي فما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني، لأني اليوم ابن بضع وسبعين، فرحم الله عبداً نظر إليّ فدعا لي بالعافية، فإني وإن كنتُ غنياً عن خاصتكم لقد كنتُ فقيراً إلى عامتكم.

فدعا النَّاس له بخير، وخرجوا من عنده، وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم، أجزعاً يا أمير المؤمنين؟ قال: لا يا مروان، ولكنّي ذكرت ما كنت عنه عزوفاً، ثم إني بليت في أحسني، وما ظهر للنَّاس منّي، فأخاف أن يكون عقوبةً عجّلت لي لما كان منّي من دفعي بحق علي بن أبي طالب، وما فعلت بحجر بن عدي وأصحابه، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي، وعرفت مقصدي.

ثم رحل معاوية عن ذلك المكان، حتى صار إلى الشام، فدخل إلى منزله، اشتدَّ عليه مرضه، وكان في مرضه يرى أشياء لا تسرُّه، حتى كان ليهذي هذيان المدنف، وهو يقول: إسقوني، إسقوني، فكان يشرب الماء الكثير، فلا يروى، وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلى صوته مالي ومالك يا حجر بن عدي، مالي ومالك يا عمرو بن الحمق، مالي ومالك يا بن أبي طالب، إن تعاقب فبذنوبي، وإن تغفر فإنك غفور رحيم، قال: وابنه يزيد في خلال ذلك لا يفارقه، ومعاوية يتململ على فراشه، وينظر إلى أهله وولده ويقول:

لقد سعيت لكم من سعي ذي نصب ... وقد كفيتكم التطواف والرّحلا

ثم أغمي عليه، فقالت امرأة من قريش: مات أمير المؤمنين، قال: ففتح معاوية عينيه وجعل يقول:

فإن مات مات الجود وانقطع الندى ... من النَّاس إلا من قليلٍ مصرَّد
وردَّت أكفُّ السائلين فأمسكوا ... من الدّين والدُّنيا بخلف محمد

قال: ثم جعل معاوية يضرب بيده إلى تعويذ كان في عنقه، فقطعه ورمى به، وجعل يقول:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع

فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين عجّل عليَّ بالبيعة قبل موتك، فقد أزف الأمر، فإنّك، إن لم تذكر البيعة لي خشيت أن ألقى من آل أبي تراب مثلما لقيت، قال: ومعاوية ساكت لا يتكلم بشيءٍ فلمَّا كان من يوم غد الأربعاء، دعا معاوية بوزرائه وقوّاده وخاصّته، وأهل بيته فأحضرهم مجلسه، ثم أمر الحاجب أن لا يحجب عنه النَّاس.

قال: فجعل النَّاس يدخلون ويسلمون فينظرون إليه ثقيلاً مدنفاً

فيخرجون إلى الضَّحاك بن قيس الفهري، وهو صاحب شرطته، فيقولون: ذهب والله أمير المؤمنين، وكأن البيعة من بعده تخرج من آل أبي سفيان إلى آل أبي تراب، لا والله لا نرضى بذلك أبداً.

ثم اجتمع النَّاس إلى الضَّحاك بن قيس ومسلم بن عُقبة المريّ،فقالوا: إنّما أنتما صاحبا أمير المؤمنين، وقد حضره من الأمر ما قد علمتما، ادخلا إليه وألقياه واسألاه أن يوصي إلى ابنه يزيد فإنه لنا رضى، فعندما بادر الضَّحاك ومسلم بن عُقبة، فسألاه عن نفسه، فقال معاوية: أصبحت والله ثقيل الوزر، عظيم الذنب، أرجو رباً رحيماً، وأخشى عذاباً أليماً، فقال له الضَّحاك: يا أمير المؤمنين، إن النَّاس قد اضطربوا، وضجّوا واختلفوا بسرعةٍ، هذا وأنت حي، فكيف إن حدث بك أمرٌ، فماذا ترى أن يكون حال النَّاس.

ثم تكلَّم مسلم بن عُقبة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا نرى النَّاس، ونسمع كلامهم، ونرى أن الأمر في يزيد وهواهم له، وهو لهم رهناً، فبادر إلى بيعته من قبل أن يعتقل لسانك، فقال: صدقت يا مسلم إنّه لم يزل رأيي من يزيد، وهل يستقيم النَّاس لغير يزيد، ليتها في ولدي وذريتي إلى يوم الدين، وأن لا تعلو ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان، ولكن أخّروا ليَ هذا الأمر إلى غد، فهذا يوم الأربعاء، وهو يوم نحس لا يبرم فيه أمر، إلا كانت عاقبته شراً، فقال الضَّحاك: يا أمير المؤمنين إن النَّاس مجتمعون بالباب، وليس يجوز أن ينصرفوا دون أن تعقد البيعة ليزيد.

قال معاوية: فأدخلا إليَّ إذاً النَّاسَ، قال: فخرجا واختارا سبعين رجلاً من صناديد قريش وأهل الشام، فلمَّا دخلوا على معاويةَ سلّموا، فردَّ عليهم السلام رداً ضعيفاً، ثم قال: يا أهل الشام كيف رضاكم عنّي؟ فقالوا: خير الرضا يا أمير المؤمنين، لقد كنت لنا أباً

رؤوفاً، وكهفاً منيعاً، واخذ كلٌّ منهم يقرظه ويثني عليه خيراً، ثمَّ إنَّهم سبّوا عليَّ بن أبي طالب وقالوا فيه القبيح، وقالوا: إنَّه سار إلينا من العراق، فقتل سراتنا وأباد خضراءنا، ولسنا نحب أن تصير الخلافة إلى ولده، فاجعلها في ولدك يزيد فإنَّه لنا رضى، ولجميع المسلمين، ومن مال عنه برأسه في بيعته ملنا عليه بسيوفنا هكذا، وجدنا بأنفسنا دون نفسه.

فسرَّ معاوية بما سمع من كلام أهل الشَّام، ونشط لذلك، ثم استوى جالساً، وأمر بجميع مَنْ على الباب من النَّاس بالدخول عليه، فدخلوا حتى غصَّت الدار بهم، فأقبل عليهم معاوية بوجهه ثم قال: أيَّها النَّاس إنكم قد علمتم أن كل شيءٍ في هذه الدنيا إلى زوالٍ، وقد حضرني من القضاء المحتوم ما ترون، فسلوني من تحبون أن أولّي عليكم، فقالوا بكلمةٍ واحدةٍ: إنّا قد رضينا بابنك يزيد، فولّه عهدك فهو الرضا لنا، فقال معاوية: إني قد سمعت إذاً كلامكم، غير أني قادم على رب رحيم لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، وأنه يسألني عن الصغير والكبير، فسلوني من تحبون أن أولي عليكم؟

فضجَّ النَّاسُ بأجمعهم، وقالوا: نريد أن تولّي علينا يزيد، فنعم الخلف والمستخلف، قال: فعندها قال معاوية للضَّحاك: بايع ليزيد فبايع الضَّحاك، وبايع مسلم بن عُقبة وبايع النَّاس بالبيعة، حتى بايع النَّاس أجمعين، ثم خرجوا وأمر معاوية لابنه يزيد أن يلبس ثياب الخلافة، ويخرج إلى النَّاس، فيصعد المنبر، ويخطب.

فخرج يزيد على رأسه عمامة معاوية، ومعه سيفه وخاتمه، وقد لبس قميص عثمان الذي قتل عثمان فيه، ملطخاً بالدَّم، حتى صعد المنبر، فلم يزل يخطب ويتكلم إلى أن انتصف النَّهار، ثم نزل عن المنبر وقد بايعه الصغير والكبير، فدخل على أبيه معاوية، ومعاوية في

غشيانه وكربه، لا يعقل يومه ذلك شيئاً من أمره، حتى مضى من اللَّيل ما مضى فأفاق من غشوته، وفتح عينيه، ونظر إلى ولده يزيد عند رأسه، فقال له ما صنعت؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد بايعني النَّاس، ودخلوا في طاعتي فرحين مسرورين، قال: فدعا معاوية الضَّحاك بن قيس، ومسلم بن عُقبة، فقال لهما: أخرجا ما في وسادتي، فأخرجا كتاباً كتب فيه معاوية بخطه قبل ذلك.

بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما عهده معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد، أنَّه قد بايعه، وعهد إليه، وجعل له الخلافة من بعده، وأمره بالرعيَّة والقيام بهم والإحسان إليهم، وقد سماه أمير المؤمنين، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل والإنصاف، وأن يعاقب على الجرم، ويجازي على الإحسان، وأن يحفظ هذا الحي من قريش خاصة، وأن يبعد قاتل الأحبة وان يقدم بني أمية، وآل عبد شمس على بني هاشم، وأن يقدم آل المظلوم المقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفان على آل أبي تراب، وذريته، فمَنْ قرئ عليه هذا الكتاب، وقبله حق قبوله، يبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية، فمَنْ أجابه فأهلاً، ومَنْ تأبّى عليه وامتنع فضرب الرقاب أبداً، حتى يرجع الحق إلى أهله، والسلام على مَنْ قرئ عليه، وقبل كتابي هذا.

قال ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الضَّحاك بن قيس، وقال: انظر إذا أصبحت أن تصعد المنبر، وتقرأ هذا الكتاب على الصغير والكبير، وتسمع مقالهم، فقال الضَّحاك: إني فاعلٌ ذلك غداً، إن شاء الله.

قال: ثم أقبل معاوية على يزيد فقال: يا بُنَّي خبرني الآن ماذا أنت صانع بهذه الأمَّة أتسير فيهم بسيرة أبي بكر الصدّيق، الذي قاتل أهل الردَّة، وقاتل في سبيل الله حتى مضى، والنَّاس عنه راضون؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إني لا أطيق أن أسير بسيرة أبي بكر الصدّيق، لكنّي آخذٌ الرعية بكتابِ الله وسنَّةِ رسولهﷺ.

قال: يا بُنيّ أتسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب الذي مصّر الأمصار، وفتح الديار، وجنّدَ الأجناد، وفرض الفروض، ودوَّن الدواوين، وجبا الفيء، وجاهد في سبيل الله حتى مضى والنَّاس عنه راضون؟ فقال يزيد لا يتهيأ لي أن أصنع كما صنع عمر ولكنَّي آخذٌ النّاس بكتاب الله والسنَّة.

فقال معاوية: يا بُنيّ أتسير فيهم بسيرة ابن عمّك عثمان بن عفان الذي أكلها في حياته، وورَّثها بعد مماته، واستعمل أقاربه؟ فقال يزيد: قد خبَّرتك يا أمير المؤمنين إن الكتاب بيني وبين هذه الأمَّة، به أطالبهم، وعليه أقاتلهم.

فتنفس معاوية الصعداء وقال: إنّي من أجلك آثرت الدُّنيا على الآخرة، ودفعت حق علي بن أبي طالب، وحملت الوزر على ظهري، وإنّي لخائف أنَّك لا تقبل وصيَّتي، فتقتل خيار قومك، ثم تعدو على حرمة ربك فتقتلهم بغير الحق، ثم يأتيك اليوم بغتة، فلا دنيا تصيب ولا آخرة تجيب، يا بُنيّ إنّي جعلت هذا مطمعاً لك ولولدك من بعدك، وإنّي موصيك بوصيَّة فاقبلها، فإنّك تُحمد عاقبتها: كن حازماً صارماً، وانظر أن تلم بك نائبة أن تثب وثوب الشهم البطل، ولا تجبن جبن الضعيف الوكل، فإنّي قد كفيتك الحل والترحال وجوامع الكلام والمنطق ونهاية البلاغة، ودفع المؤنة وسهولة الحفظ، ولقد وطّأت لك يا بُنيّ البلاد، وذلّلت لك رقاب العرب الصّعاب، وأقمت لك المنار، وسهلّت لك السُبل، وجمعت لك اللّجين والعقيان، ومهدت لك الملك من بعدي تمهيداً، فعليك يا بُنيّ من الأمور ما قرب مأخذُه وسهُل مطلبه، وذر عنك ما أعتاض عليك.

وأعلم يا بُنيّ ان سياسة الخلافة لا تتم لك إلا بثلاثٍ بجأشٍ ربيط، وكفٍ ندي، وخلقٍ رحيب، وثلاثٍ آخر: علمٍ ظاهر، وخلقٍ طاهر، ووجهٍ طلق، ثم تردف ذلك بعشرٍ أُخر: بالصبرِ، والأناةِ، والتوددِ، والوقارِ، والسكينةِ والمروءةِ الظاهرةِ، والشجاعةِ والسخاءِ، والإحتمالِ للرعيَّة بما تحب وتكره، ولقد علمت يا بُنيّ إنّي كنت في أمر الخلافة خائفاً، شبقاً فيها شهوانياً، أُصبحَ عليها جزعاً، وأُمسي هلعاً، حتى أعطاني النَّاس ثمرة قلوبهم، وبادروا إلى طاعتي، فأدخل يا بُنيّ في هذه الدُّنيا في حلالها، وأخرج من حرامها، وانصف الرعيَّة، وأقسم فيئهم فيهم بالسوية.

وأعلم يا بُنيّ إنّي أخاف عليك من هذه الأمّة أن ينازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده خصوصاً أربعة نفر من قريش منهم: عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وشبيه أبيه الحسين بن علي، فأما عبد الرحمن بن أبي بكر، فإنّه إذا صنع أصحابه شيئاً صنع مثلهم، وإن لم يصنعوا أمسك، وهو رجلٌ همّه النّساء، ولذة الدُّنيا، فذره يا بُنيّ وما يريد، ولا تأخذ عليه في شيءٍ من أمره، فلقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمَّة، وقد يرعى ذمام الوالد في ولده.

وأما عبد الله بن عمر فإنّه رجلٌ صدقٌ قد توحَّش من النَّاس وأنس إلى العبادة، ورضي بالوحدة، فترك الدُّنيا، وتخلّى منها، فهو لا يأخذ منها شيئاً، وإنّما تجارته من هذه الدُّنيا كتجارة أبيه عمر بن الخطاب، فأقرأه منّي السلام، وتعاهده بالعطاء الموفر أفضل تعاهد، وأما عبد الله بن الزبير، فما أخوفني أنَّك تلقى منه عنتاً، فإنَّه صاحب خلل في القول وزلل في الرأيّ وضعف في النظر، مفرط في الأمور، مقصّر في الحقوق، وأنَّه سيجثو لك كما يجثو الأسد في عرينه،

ويراوغك رواغ الثعلب فإذا أمكنته منك فرصة لعب بك كيف شاء، فكن له يا بُنيّ كذلك، وأجزه صاعاً بصاع، وأحذه حذو النعل، إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة والتوبة فأقمه على ما يريد.

وأما الحسين بن علي فأوّاه أوّاه يا يزيد ماذا أقول لك فيه، فأحذر أن لا يتعرض لك، ومدَّ له حبلاً طويلاً، وذره يضرب في الأرض حيث شاء ولا تؤذه، ولكن أرعد له وأبرق، وإيَّاك والمكاشفة له في محاربة بسل سيف، أو محاربة طعن رمح، ثم أعطه ووقره وبجله، فإن جاءك أحدٌ من أهل بيته فوسع عليهم وأرضهم فإنّهم أهل بيت لا يرضيهم إلا الرضا، ولا يسعهم إلا المنزلة الرفيعة.

وإياك يا بُنيّ أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين، فإن إبن عبَّاس حدَّثني فقال: إنِّي حضرت رسول الله ﷺ وهو في السّبات وقد ضمَّ الحسين بن علي إلا صدره، وهو يقول: هذا من أطايب أرومتي، وأنوار عترتي، وخيار ذريتي لا بارك الله فيمن لا يحفظه بعدي، قال ابن عباس: ثمَّ أغميَ على النبي ﷺ ساعة، ثم أفاق وقال: يا حسين ان لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يديّ ربي وخصومة، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصيماً لمن قتلك يوم القيام.

يابُنيّ هذا حديث ابن عباس، وأنا أحدثك عن رسول الله ﷺ، أنه قال: أتاني جبريل يوماً فخبَّرني، وقال يا محمد إن أمتك ستقتل ابنك حسيناً، وقاتله لعين هذه الأمَّة، ولقد لعن النبي ﷺ، يا بُنيّ، قاتل الحسين مراراً، فانظر لنفسك، ثم أنظر أن لا تتعرض له بأذية، فحقه والله يا بني عظيم، ولقد رأيتني كيف كنت أحتمله في حياتي، وأضع له رقبتي، وهو يواجهني بالكلام الذي يمضني ويؤلم قلبي، فلا أجيبه، ولا أقدر له على حيلة، فإنه بقية أهل الأرض في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر.

ثم أقبل الضَّحاك ومسلم بن عُقبة فقال لهما معاوية: أشهدا عليّ مقالتي هذه، فوالله إن فعل بي الحسين كل ما يسوءني لاحتملته أبداً، ولم يكن الله يسألني عن دمه، أفهمت عنّي ما أوصيتك به يا يزيد؟ فقال: فهمت يا أمير المؤمنين، ثم قال معاوية: انظر في أهل الحجاز منهم أصلك وفرعك، فأكرم مَنْ قدم عليك منهم، ومن غاب عنك، فلا تجفهم ولا تعقُّهم، وأنظر أهل العراق، فإنَّهم لا يحبونك ولا ينصحونك، ولكن دارهم مهما أمكنك وأستطعت، وإن سألوك في كل يومٍ أن تعزل عنهم عاملاً فأفعل، فإن عَزْلَ عاملٍ واحدٍ هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظهارتك، وقد بلوتهم وأختبرتهم فهم صبر عند اللّقاء، حماة في الوغى فإن رابك أمر من عدو يخرج عليك، فأنتصر بهم، فإذا أصبت منهم حاجتك فأرددهم إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت الحاجة إليهم.

ثم تنفس معاوية الصعداء، وغشي عليه طويلاً، فلمّا أفاق قال: أوّاه، أوّاه (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ـ الأسراء آية ٨١ ـ ثم جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب ... عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت ربٌ رحيمٌ ... عن مسيءٍ ذنوبه كالتراب

ثم إلتفت إلى أهل بيته وقرابته، وبني عمّه، فقال: إتَّقوا الله حق تقاته، فإن تقوى الله جنَّةٌ حصينة، وويلٌ لمن لم يتقِ الله ويخاف عذابه، وأليم عقابه، قال: إعلموا إني كنت بين يدي النَّبيﷺ ذات يوم، وهو يقلّم أظفاره، فأخذت من قلامته فجعلته في قارورة، فهو عندي، وعندي أيضاً شيءٌ من شعره إذا أنا متُّ، وغسلتموني، فقطّعوا تلك القلامة، فاجعلوها في عيني، واجعلوا الشعر في فمي وأذني،

وصلّوا عليَّ وواروني في حفرتي، وذروني وربي، فإن ربي رؤوف رحيم، قال: ثم إنقطع كلامه فلم ينطق بشيءٍ وخرج يزيد من يومه ذلك إلى موضع يقال له حواراره البثنية مقتصداً للصيد وقال للضَّحاك بن قيس: أنظر لا تخف عليَّ شيئاً من أمر أمير المؤمنين.

قال وتوفي معاوية من الغد، وليس يزيد بحضرته، وكان ملكه تسعة عشر سنة وثلاثة أشهر، وتوفي بدمشق يوم الأحد لأيام خلت من رجب سنة ستين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، والله أعلَم، فأنشأ الأحوص بن محمد الأنصاري يقول شعراً:

يا أيُّها الرجل المرحل بالصبى ... وقف الكبير له إذا تضليل
قدم لنفسك قبل موتك صالحاً ... وأعلم فليس إلى الخلود سبيل
إن الحمام لطالب لك لاحق ... والموت ربع مقامه محمول
لا بد من يوم لكل معمر ... فيه لعده عليه بل ترحيل
والناس إرسال إلى أمد لهم ... يمضي لهم جيل ويخلف جيل
إن إمرأً أمن الزمان وقد رأى ... غير الزمان وزيه لجهول
أودى ابن هند وهو في ذي عبرة ... إذا ما اعتبرت لمن به معقول
ملك تدين له الملوك مبارك ... كادت لمهلكته الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها ... وله الفرات وما سقى والنيل
والشام أجمعها له وبلادها ... فيها قبائل رجلة وخيول
بمائل ما أن نظن لملكه ... عنه ولا لنعيمه تحويل
وبكل أرض عودة من غزوة ... حصن لحرب أو دم مطلول
يقضي فلا خرف ولا متتعتع ... لمقاله ما قال حين يقول
لو أن وزن الجبال بحلمه ... يوماً إذا لا ظل وهي تميل
فهو الذي لو كان حياً خالداً ... يوماً لكان من المنون بديل

٤ ـ وفي أنساب الأشراف ج٥ ص١٠٨ ـ ١٠٩ عن المدائني، عن عوانة، قال:

(قال معاوية ليزيد: يا بُنيّ احفظ عنّي ما أقول لك، أكرم أهل مكة والمدينة، فإنهم أصلك ومنصبك، ومن أتاك منهم فأكرمه، ومن لم يأتك فابعث إليهم بصلة. وانظر أهل العراق، فإنهم أهل طعن على أمرائهم وقلالةٍ لهم، فإن سألوك أن تبدل كل يومٍ أميراً فافعل.

وانظر أهل الشام فليكونوا عَيْبَتك وحِصْنَك، فمن رابك أمره فارمه بهم، فإن فرغوا فاقفلهم، فإني لا آمن الناس على إفسادهم، وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر، فليس يخالف عليك غير الحسين وابن الزبير. فأما ابن عمر فقد وقذه الإسلام، وأما ابن الزبير فخَبٌّ خَدِعٌ، فإذا هو شخص لك فالبدْ له فإنه ينفسخ على المطاولة، وأما الحسين فلستُ أشك في وثوبه، ثم يكفيكه الله بمن قتل أباه وجرح أخاه، إن بني أبي طالب مدّوا أعناقهم إلى غايةٍ أبت العرب أن تعطيهم إياها، وهم محدودون).

٥ ـ وفي الأخبار الطوال ص٢٢٥ ـ ٢٢٦:

(ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فأرسل إلى ابنه يزيد، وكان غائباً عن مدينة دمشق، فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس الفِهري، وكان على شُرَطه، ومسلم بن عقبة، وكان على حرسه، فقال لهما:

ابلغا يزيد وصيتي، واعلماه أني آمره في أهل الحجاز أن يُكرم من قدم عليه منهم، ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم، فإنهم أصله، وإني آمره في أهل العراق أن يرْفُقَ بهم ويداريهم ويتجاوز عن زَلَاتهم، وإني آمره في أهل الشام أن يجعلهم عينيه وبطانته، وألّا يطيل حبسهم في غير شامهم لئلا يجْروا على أخلاق غيرهم.

واعلماه أني لستُ أخاف عليه إلا أربعة رجال: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فأما الحسين بن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه، فإن فعل فظفرت به فاصفح عنه، وأما عبد الله بن عمر فإنه رجلٌ قد وَقَذَتْه العبادة، وليس بطالبٍ للخلافة إلا أن تأتيه عفواً، وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكّنه طلبها، ويحاول التماسها إلا أن تأتيه عفواً.

وأما الذي يجثم جُثُومَ الأسد ويراوغك رَوَغان الثعلب، فإن أمْكنتْه فرصةٌ وثب فذاك عبد الله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به فقطّعه إرباً إرباً، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك بجُهدك، وَلُفّ عاديتَهم بنَوَالك، وتغمّدهم بحلمك.

ثم قدم عليه يزيد، فأعاد عليه هذه الوصية، ثم مضى).

أقول: في الخبر الأول من تاريخ الطبري وصية معاوية ليزيد، ويزيد حاضرٌ عنده، وهي وصيةٌ مقتصرة على التخوف من قيام أربعة رجال من قريش: الإمام الحسين عليه السلام وأبناء أبي بكر وعمر والزبير.

وفي الخبر الثاني من تاريخ الطبري وصية معاوية ليزيد، ويزيد غائب، فأوصى معاوية إلى الضحاك وابن عقبة، وطلب منهما إبلاغ يزيد بالوصية.

وهي وصية يقتصر التخوف فيها من ثلاثة رجال: الإمام الحسين عليه السلام، وابنا عمر والزبير، مع عدم ذكرٍ لابن أبي بكر.

مع زيادة في هذه الوصية في كيفية معاملة أهل الحجاز والعراق والشام.

وابن الأثير في تاريخه الكامل ج٤ ص٥ ـ ٦ وديدنه النقل عن

تاريخ الطبري، خلط بين الخبرين وجمع بينهما بكون الوصية بحضور يزيد، والتخوف من أربعة منهم ابن أبي بكر، مع النصح في كيفية معاملة أهل الحجاز والشام والعراق، ثم عقّب عليها بقوله:

(هكذا في هذه الرواية ذكرُ عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس بصحيح، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية.

وقيل: إن يزيد كان غائباً في مرض أبيه وموته، وإن معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عُقبة المُرّي، فأمرهما أن يؤديا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه، وهو الصحيح).

وعدم بقاء ابن أبي بكر إلى زمن موت معاوية هو الأقرب، لوفاته سنة ٥٣ للهجرة أو ٥٤ أو ٥٥ أو ٥٦ أو ٥٨ كما في الاستيعاب ج٢ ص٣٧٠، وأسد الغابة ج٣ ص٤٦٤، والإصابة ج٤ ص٢٧٦.

ومنه تعرف الضعف في خبر الأخبار الطوال من ذكر الأربعة بما فيهم ابن أبي بكر، وقد انفرد بأن يزيد كان غائباً فأوصى معاوية إلى الضحاك ومسلم، ورجع يزيد قبل الوفاة فأعاد معاوية عليه الوصية، ولعله جمع تبرعي منه بين الأخبار.

وانفرد ابن أعثم في خبره بجعل موت معاوية عقيب رجوعه من الحج الأخير، مع أنه قد تقدم أن معاوية اعتمر سنة ٥٦ للهجرة، وتوفي سنة ٦٠ للهجرة.

وذكر ابن أعثم في خبره أن معاوية أقبل على ابنه وطلب منه أن يسير بسيزة أبي بكر أو عمر أو عثمان، وهو في الجميع يجيب بعدم القدرة، وأنه سيعمل بكتاب الله، والوضع ظاهر هنا لمن تأمل.

وباقي خصوصيات الخبر قد انفرد به.

ـــ ما فعله يزيد بعد وفاة معاوية ـــ

أورد الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٢٧ عن هشام عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل:

(لمَّا مات معاوية خرج الضَّحاك بن قيس حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه تلوح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان عود العرب وحد العرب، قطع الله عز وجل به الفتنّة، وملَّكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا أنه قد مات، فهذه أكفانه فنحن مُدْرِجُوه فيها ومُدْخلوه قَبْرَه ومُخلَّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى ـ صلاة الظهر ـ وبعث البريد إلى يزيد بوجع معاوية فقال يزيد في ذلك:

١ ـ جاء البريد بقرطاس يَخُبُّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فَزِعا

ـ قلنا: لك الويل ماذا في كتابكم؟ ... قالوا: الخليفة أمسى مُثْبَتاً وجعا

ـ فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كأنَّ أغبَرَ من أركانها انقطعا

٤ ـ من لا تزل نفسه تُوفى على شَرَفٍ ... توشكْ مقاليد تلك النفس أن تقعا

٥ ـ لما انتهينا وباب الدارُ مُنْصَفِقٌ ... وصوتُ رملة رِيعَ القلب فانصدعا)

وأورد الطبري أيضاً ج ٥ ص ٣٢٨ عن المدائني عن إسحاق بن

خليد، عن خليد بن عجلان مولى عبَّاد (مات معاوية ويزيد بحوَّارين، وكانوا كتبوا إليه حين مرض، فأقبل وقد دُفن، فأتى قبره فصلّى عليه ودعا له، ثم أتى منزله فقال: جاء البريد بقرطاس... الأبيات)

وفي الكامل لابن الأثير ج٤ ص ٩ زيادة في عدد الأبيات:

(ثم أرعوى القلب شيئاً بعد طيرته ... والنفس تعلمُ أن قد أثبتت جزعا
أودى ابنُ هندٍ واودى المجد يتبعه ... كانا جميعاً فماتا قاطنين معا
أغرّ أبلج يُستسقى الغمام به ... لو قارع النَّاس عن أحسابهم قَرَعا)

وأورد البلاذري في أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٦١ الخبر عن المدائني مع زيادات ابن الأثير في أبيات الشعر وهي بعد البيت الثالث المذكور في تاريخ الطبري:

(ثم انبعثنا على خُوصٍ مُزَمَّمَة ... نرمي الفجاج بها لا نأتلي سرعا
وما نبالي إذا بلغن أرحلنا ... ما مات منهن بالبيداء أو ظلعا
من لا تزل نفسه تشفى على تلف ... .
لصوت رملة ريع القلبُ فانصدعا)

ثم ذكر الأبيات الثلاثة الأخيرة المذكورة في كامل إبن الأثير وفي العقد الفريد ج٥ ص ١٢٣ زيادة بيت أخير:

(لا يرقع الناس ما أوهى ولو جهروا ... أن يرقعوه ولا يوصون ما رقعا)

هذا ومن معنى الأبيات تعرف أنه قالها بعد رجوعه إلى الشام فالترجيح لخبر المدائني على خبر أبي مخنف.

وبعد قدوم يزيد الشَّام كما في العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٣ (فلم يُقدم أحدٌ على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همَّام السَّلولي فقال:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مِقةٍ ... واشكر حباء الذي بالملك حاباكا

لارزء أعظم في الأقوام قد علموا　　مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الأرض كلِهم　　فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ　　إذا نُعيت ولا نسمع بمنعاكا
فأفتتح الخطباء الكلام)

وفي أنساب الأشراف ج ٥ص ١٦٣ عن حفص بن عمر، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة وابن عيَّاش: أن السَّلولي قال قبل الشعر: (يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في الخليفة، وبارك لك في الخلافة ثم أنشد

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقةٍ
أصبحت لارزء في الأقوام نعلمه　　كما رزئت . . . .
أعطيت طاعة أهل الأرض كلِهم
و. . . . . .)

وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٦٢ عن أبي يعقوب الثقفي مسنداً قال:

(عزَّى عطاء بن أبي الثقفي يزيد حين مات معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّك رزئت الخليفة وأعطيت الخلافة، قضى معاوية نحبه، فغفر الله له ذنبه، ووُلّيت الرئاسة وكنت أحقَّ بالسياسة، فاحتسب عند الله عظيم الرزيَّة، واشكره على حُسن العطيَّة، أعظم الله على أمير المؤمنين أجرك، وأحسن على الخلافة عونك).

وفي أنساب الأشراف ج٥ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧:

(أبو الحسن المدائني، عن أبي أيوب القرشي، قال: لما قدم. . . يزيد بن معاوية كتب إليه أن أحمل إليّ ابن همّام السلولي،

وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها:

حُشينا الغيظ حتى لو شربنا دمـاءَ بـنـي أمـيـة مـا رَويـنـا

فأخذه ابن زياد، فسأله أن يكفله عريفه، وكان اسم العريف مالكاً، ففعل، وهرب ابن همّام وأُخذ عريفه به، وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية، وهنأه بالخلافة، وأتى ابنه معاوية فاستجار به، فآمنه يزيد وصفح عنه، وكتب إلى ابن زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به).

وفي أنساب الأشراف ج٥ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥:

(المدائني، عن يعقوب بن داوود: أن عطاء بن أبي صيفي بن نضلة بن قائف الثقفي دخل على يزيد، وقد مات معاوية، فقال:

أصبحت يا أمير المؤمنين فارقت الخليفة وأُعطيت الخلافة، فآجرك الله على عظيم الرزية، ورزقك الشكر على حسن العطية.

فاحتذى ابن همام مثاله في هذا النثر فنظمه، فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقت ذا ثقةٍ واشكرْ عطاء الذي بالمُلك أصفاكا
أصبحت لارزء في الأقوام نعلمه كما رزئت ولا عُقبى كعُقباكا
أُعطيتَ طاعةَ أهلِ الأرض كلِّهمُ فأنت ترعاهُم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خَلَفٌ إذا هلكتَ ولا نسمعْ بمنعاكا

وقال أيضاً:

تعزَّوْا يا بَني حربٍ بصبرٍ فمن هذا الذي يرجو الخلودا
تلقَّاها يزيدٌ عن أبيه فخُذْها يا معاويَ عن يزيدا
أديروها بني حربٍ عليكم ولا تَرْموا بها العَرَضَ البعيدا
وإن دنياكم بكمُ استقرت فأوْلوا أهلها أمراً سديدا
فإن شمست عليكم فاعصبوها عِصاباً تُستَدَرَّ لكم شديدا

وقال أيضاً أو غيره:

يزيد ابن أبي سفيان هل لكُمُ — إلى ثناءٍ وودٍ غير منصرمِ
إنا نقول ويقضي الله مقتدراً — وما يشاء ربُّنا من صالحٍ يَدُمِ
فاقتدْ بقائلكم خذُها يزيدُ وقلْ — خُذها معاويَ غير العاجز البَرمِ
ولا تحُطَّ بها في غير داركُمُ — إني أخافُ عليكم حَيْرَةَ الندمِ
إنَّ الخلافة إن تُعرف لثالثكم — تثبت معادنُها فيكم ولا تَرمِ
ولا تزال وفودٌ في ديارِكُمُ — في ظلّ أبلجَ سبّاق إلى الكرمِ

فبايع يزيد لابنه معاوية، ويقال: إنه إنما بايع له حين احتضر يزيد).

ولهذه الأبيات الأخيرة يُقال إن ابن همام هو الذي حثّ يزيد عليه اللعنة على البيعة لابنه معاوية، كما في الأعلام للزركلي ج٣ ص١٤٣.

وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٦٢ عن ابن عيَّاش مُسنداً (كان يزيد بن معاوية حين مات أبوه بحوَّارين، فقدم وقد دُفن أبوه عند الباب الصغير بدمشق، فأتى قبره ودعا له، ثم انصرف فخطب فقال: إن معاوية كان عبداً من عبيد الله، أنعم عليه ثم قبضه إليه، وهو خيرٌ مِمَّنْ بعده ودون مَنْ قبله، ولا أزكّيه على الله فهو أعلم، فإن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، ولن آني عن طلب ولا أعتذر عن تفريط، وعلى رِسْلِكم إذا أراد الله شيئاً كان).

وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ بعدما ذكر تعزية السَّلولي ليزيد:

(ثم دخل يزيد فأقام ثلاثة أيام لا يخرج للنَّاس، ثم خرج وعليه أثر الحزن، فصعد المنبر، وأقبل الضَّحاك فجلس إلى جانب المنبر،

وخاف عليه الحَصر، فقال له يزيد: يا ضَّحاك، أجئتَ تُعلِّم بني عبد شمس الكلام؟ ثم قام خطيباً فقال: الحمد الله الذي ما شاء صنع، ومَنْ شاء أعطى، ومَنْ شاء منع، ومن شاء خفض، ومَنْ شاء رفع، إنّ معاوية بن أبي سفيان كان حبلاً من حبال الله، مدَّهُ الله ما شاء أن يمدَّهُ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون مَنْ قبله، وخيراً مِمَّنْ يأتي بعده، ولا أزكّيه وقد صار إلى ربه، فإن يعفُ عنه فبرحمته، وإن يعذبه فبذنبه، وقد ولِّيتُ بعده الأمر ولست أعتذر من جهلٍ، ولا آني عن طلبٍ، وعلى رِسْلكم إذا كره الله شيئاً غيَّره وإذا أراد شيئاً يسَّره).

أقول:

حوَّارين بالضم وتشديد الواو كما في معجم البلدان ج٢ ص ٣١٥ ـ ٣١٦ (ويختلف في الراء، فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وياء ساكتة ونون... من قرى حلب معروفة، وحوَّارين حصن من ناحية حمص... وهي من تدمر على مرحلتين، وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤) إنتهى.

وممَّا تقدم تعرف أن يزيد قد كان بها حين موت أبيه، وقد مات بها أيضاً، ونقل إلى الشَّام.

وذكر ابن أعثم في الفتوح ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧٥ بعد ذكر موت معاوية:

(قال: ثم خرج الضَّحاك بن قيس من دار معاوية لا يكلّم أحداً، والأكفان معه حتى دخل المسجد الأعظم فنُودي له في النَّاس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها النَّاس إن أمير المؤمنين معاوية قد شرب كأسه، وهذه أكفانه، ونحن مُدْرِجُوه فيها، ومُدْخِلُوه حفرةً، ومُحِيلُون بين عمله وبينه، فمَنْ كان منكم يريد أن يشهَده

فليحضره بين الصلاتين، ولا تقعدوا عن الصلاة عليه، إن شاء الله.

ثم نزل الضَّحاك عن المنبر وكتب إلى يزيد بن معاوية هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله الذي لبس رداء البقاء، وحكم على عباده بالفناء فقال عزَّ وجل: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمان آية ٢٦ و ٢٧.

لعبد الله يزيد أمير المؤمنين، من الضَّحاك بن قيس، سلامٌ عليك، أما بعد:

فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة، فأما الخلافة التي جاءتك فهي التَّهنئة، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي فالعجل العجل لتأخذ النَّاس ببيعة أخرى مجدودة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم أثبت في أسفل كتابه هذين البيتين:

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه
وخلفت فانظر هذا وكيف تصنع
اقيمنا ـ كذا ـ على المنهاج فاركب محجَّة
سداداً فأنت المرتجى كيف تفزع

ثم ورد الكتاب على يزيد، فوثب صائحاً باكياً، وأمر بإسراج دوابه، وسار يريد دمشق، فصار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية، وخرج حتى إذا وافى يزيد قريباً من دمشق، فجعل النَّاس يتلقونه فيبكون ويبكي وأيمن بن مريم الأسدي بين يدي يزيد وهو يقول:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار صمدن له صمودا
فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

فإنك لو سمعت بكاء هند ... ورملة إذ يلطمن الخدودا
بكيت بكاء موجعة بحزن ... أصاب الدهر واحدها الفريدا
فصبراً يا بني حرب تعزّوا ... فمن هذا الذي يرجو الخلودا
فقد وارت قبوركم ثناء ... وحزماً لا كفاء له وجودا
تلقاها يزيد عن أبيه ... فدونكها معاوي عن يزيدا
أديروها بني حرب عليكم ... ولا ترموا بها الغرض البعيدا
فإن دنياكم بكم اطمأنت ... فاولوا أهلها خلقاً سديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها ... عصافاً تستقيم لكم سديدا

ثم سار يزيد ومعه جماعة إلى قبر معاوية، فجلس وانتحب ساعة، وبكى النَّاس معه ثم قام عن القبر، وأنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يحث به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم ... قال الخليفة أمسى مدنفاً وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كأنما العز من أركانها انقلعا
إنا نسير على جرد مسومة ... تغشى العجاج بنا والنجم ما طلعا
لسنا نبالي إذا بلغن أرحلنا ... ما مات منهن بالبيداء أو ظلعا
حتى دفعنا لخير الناس كلِهم ... وخيرهم منتمي جداً ومضطجعا
أغر أبلج يستسقى الغمام به ... لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا
من لا تزال له نفسي على شرف ... وشد مقدار تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق ... وصوت رملة ريع القلب فانصدعا
أودى ابن هند فأودى المجد يتبعه ... كأنما يكونان دهراً قاطعين معا

قال: ثم ركب يزيد وسار إلى قبة لأبيه خضراء فدخلها وهو معتم بعمامة خز سوداء، متقلداً بسيف أبيه معاوية، حتى وصل إلى باب الدار، ثم جعل يسير والناس عن يمينه وشماله، قد نزلوا عن

دوابهم، وقد ضربت له القباب والفساطيط المدبجة حتى صار إلى القبة الخضراء فلمَّا دخلها نظر فإذا قد نصب له فيها فرش كثيرة بعضها على بعض، ويزيد يحتاج أن يرقى عليها بالكرسي.

فصعد حتى جلس على تلك الفرش، والنَّاس يدخلون عليه يهنئونه بالخلافة، ويعزّونه في أبيه، وجعل يزيد يقول: نحن أهل الحق، وأنصار الدين، فأبشروا يا أهل الشام، فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرباً شديداً ـ كذا في المصدر، والصحيح: حربٌ شديد ـ وقد رأيت في منامي كأنَّ نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً، وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر فلم أقدر على ذلك، حتى جاءني عبيد الله بن زياد فجازه بين يدي، وأنا أنظر إليه.

فأجابه أهل الشام، وقالوا: يا أمير المؤمنين امضى بنا حيث شئت، واقدم بنا على من أحببت، فنحن بين يديك، وسيوفنا يعرفها أهل العراق في يوم صفين، فقال لهم يزيد: أنتم لعمري كذلك، وقد كان أمير المؤمنين معاوية لكم كالأب البار بالولد، وكان من العرب أمجدها وأحمدها وأحمزها، وأعظمها خطراً، وأرفعها ذكراً، وأنداها أنامل، وأوسعها فواضل، وأسماها إلى الفرع الباسق، لا تعتريه الفهاهة في بلاغته، ولا تدخله اللكنة في منطقه، حتى إذا انقطع من الدنيا أثره، صار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه.

فصاح به صائحٌ من أقاصي النّاس، كذبت والله يا عدو الله، ما كان معاوية والله بهذه الصفة كانت هذه صفة رسول الله ﷺ، وهذه أخلاقه وأخلاق أهل بيته، لا معاوية ولا أنت، قال: فاضطرب النَّاسُ وطلب الرجل فلم يقدر عليه، وسكت النَّاسُ.

وقام إلى يزيد رجلٌ من شيعته، يقال له عطاء بن أبي صيفي،

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تلتفت إلى مقالة الأعداء، وقد أُعطيت خلافة الله من بعد أبيك، فأنت خليفتنا، وابنك معاوية ولي العهد بعدك لا نريد به بدلاً، ولا نبغي عنه حولاً، والسلام ثم أنشأ يقول شعراً:

يزيد بن أبي سفيان هل لكم — إلى ثناء وود غير منصرم
إنا نقول ويقضي الله معتذراً — مهما يثار بنا من صالح ندم
فأفتديها تلكم خذها يزيد — وقل خذها معاوي لا نكس ولا برم
ولا تمهدها في دار غيركم — إني أخاف عليكم حسرة الندم
إن الخلافة لم تعرف لناكثكم — بينا دعائمها فيكم ولم ترم
ولا تزال وفود في دياركم — يغشون أبلج سباقاً إلى الكرم

فأمر له يزيد بجائزة حسنة، ثم قام يزيد على قدميه.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها النَّاسُ إن معاوية كان عبداً من عباد الله، أنعم الله عليه، ثم قبضه إليه، وهو خيٌر مِمَّنْ كان بعده، ودون مَنْ كان قبله، ولا أُزكّيه على الله، هو أعلم به منّي، فإن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وُليت هذا الأمر من بعده، ولست أقصّر عن طلب حقٍ، ولا أعتذر من تفريط في باطلٍ، فإذا أراد الله شيئاً كان، والسلام.

ثم جلس، فصاح الناس من كل جانب سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

ثم تقدم إليه رجلٍ من وجوه أهل الشام حتى وقف بين يديه رافعاً صوته وهو يقول شعراً:

اصبر يزيد فقد فارقت ذاثقة — واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لازرء أعظم في الأقوام نعلمه — كما رزيت ولا عقبى كعقباكا

أعطيت طاعة أهل الأرض كلِهم فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف أما هلكت ولا نسمع بمنعاكا

وبايع النَّاس بأجمعهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده، وفتح يزيد بيوت الأموال، فأخرج لأهل الشام أموالاً جزيلة، ففرقها عليهم ثم عزم على بعث الكتب إلى جميع البلاد بأخذ البيعة له قال: وكان على المدينة يومئذٍ مروان بن الحكم، فعزله يزيد وولّى مكانه الوليد ابن عتبة ابن أبي سفيان وكتب إليه)... إلى آخر ما أوردناه سابقاً.

أقول: هذا من منفردات ابن الأعثم.

الأمر السابع من فوائد هذا الفصل: نوادر الأخبار في هذه الفترة

١ ـ في دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ص١٨٤ ـ ١٨٥، الطبعة المحققة، بإسناده عن محمد بن يعلى، قال:

(لقيت الحسين بن عليّ عليه السلام على ظهر الكوفة، وهو راحلٌ مع الحسن يريد معاوية، فقلت: يا أبا عبد الله أرضيت؟

فقال: شِقْشِقةٌ هدرت، وفورة ثارت، وعربيّ منحّى، وسم ذعاف، وقيعان بالكوفة وكربلاء، إني والله لصاحبها، وصاحب ضحيتها، والعصفور في سنابلها، إذا تضعضع نواحي الجبل بالعراق، وهجهج كوفان الوهل، ومنع البَرُّ جانبه، وعطّل بيت الله الحرام، وأزحف الوقيذ، وقدح الهبيذ، فيا لها من زُمرٍ أنا صاحبها، إيه إيه أنّى وكيف، ولو شئت لقلت أين أنزل وأين أقيم.

فقلنا: يابن رسول الله، ما تقول؟

قال: مقامي بين أرض وسماء، ونزولي حيث حلّت الشيعة

الأصلاب، والأكباد الصلبة، لا يتضعضعون للضيم، ولا يأنفون من الآخرة معضلاً، يحتافهم أهل ميراث عليّ وورثة بيته).

بيان: أزحف أي انتهى إلى غاية ما طلب.

الوقيذ: البطيء الثقيل.

الهبيذ: المُسرع.

يحتافهم: من الحتف بمعنى الهلاك.

٢ ـ وفي أنساب الأشراف ج٣ ص٣٦٦ ـ ٣٦٧:

(قالوا: فلما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ـ وأم جعدة أم هانىء بن أبي طالب ـ في دار سليمان بن صرد، فكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتها، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك.

وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحُسن رأي أهل الكوفة فيه، وحبهم لقدومه وتطلعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يُرضى هديه، ويُطمأنُّ إلى قوله، ويُعرف نجدته وبأسه، فأفضوا إليهم بما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان، والبراءة منه، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه.

فكتب إليهم: إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة، ورأيي في جهاد الظَلَمة رشداً وسداداً، فالصِقّوا بالأرض، واخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا من الأظناء ما دام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدثٌ وأنا حيّ يأتكم رأيي إن شاء الله. وكان رجالٌ من أهل العراق ولثام أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين

يُجلُّونه ويعظّمونه ويذكرون فضله، ويَدْعُونه إلى أنفسهم، ويقولون: إنّا لك عضد ويدٌ، ليتخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أن معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسينٍ أحداً.

فلما كثر اختلاف الناس إليه، أتى عمرو بن عثمان بن عفان مروانَ بنَ الحكم، وهو إذ ذاك عامل معاوية على المدينة، فقال له: قد كثُر اختلاف الناس إلى حسين، وواللّهِ إني لأرى أن لكم منه يوماً عصيباً.

فكتب مروان ذلك إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: بأن اترك حسيناً ما تركك، ولم يُظهر عداوته ويبدي صفحته، واكمن عنه كمون الثرى إن شاء الله، والسلام).

تقدم أن مروان كان عاملاً على المدينة من قبل معاوية من سنة ٤٢ للهجرة إلى سنة ٤٩ للهجرة، ثم عُزل عنها ووُلي مكانه سعيد بن العاص إلى عام ٥٤ للهجرة، ثم عُزل سعيد وأرجع معاوية مروان عاملاً عليها من سنة ٥٤ للهجرة إلى سنة ٥٧ للهجرة شهر ذي القعدة، فعُزل عنها ووُليّ مكانه الوليد بن عتبة، ومنه تعرف أن كتاب مروان إلى معاوية، وجواب الأخير له بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام ومراجعة الشيعة للإمام الحسين عليه السلام إنما هو بين ٥٤ للهجرة إلى ٥٧ للهجرة، وفي هذه الفترة تحمل المكاتبة في الخبر الآتي.

٣ ـ وفي رجال الكشي ج١ ص٢٥٠ ـ ٢٥٩:

(وروي أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية، وهو عامله على المدينة:

أما بعد، فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق، ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنه لا يأمن

وثوبه، وقد بحثت عن ذلك، فبلغني أنه يريد الخلافَ يومه هذا، ولستُ آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إليّ برأيك في هذا، والسلام.

فكتب إليه معاوية:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرتَ فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تعرض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك، فإنا لا نريد أن تعرض له في شيء ما وفّى ببيعتنا ولم ينزُ على سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبدِ لك صفحته، والسلام.

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام:

أما بعد، فقد أُنتهيت إليّ أمورٌ عنك، إن كانت حقاً فقد أظنّك تركتَها رغبةً فدعْها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجديرٌ بالوفاء.

وإن كان الذي بلغني باطلاً، فإنك أنت أعذل الناس لذلك، وعظْ نفسك فاذكره، ولعهد الله أوفِ، فإنك حتى ما أُنكرك تُنكرني، ومتى أكْدك تكذْني، فاتقِ شقَّك عصا هذه الأمة، وأن يردَّهم الله على يديك في فتنة، وقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله، ولا يستخفنّك السفهاء، والذين لا يعلمون.

فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني كتابُك، تذكر أنه قد بلغك عنّي أمورٌ، أنت لي عنها راغب، وأنا لغيرك عندك جدير، فإن الحسنات لا يَهدي لها، ولا يَردْ إليها إلا الله، وأما ما ذكرت أنه أُنتهى إليك عنّي، فإنه إنما رقاه إليك الملاّقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً.

وأيم اللَّهِ إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة، والمصلين العابدين الذين كانوا يُنكرون الظلم ويستعظمون البِدع، ولا يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلَّظة والمواثيق المؤكَّدة، لا تأخذهم بحدَثٍ كان بينك وبينهم، ولا بإحنةٍ تجدها في نفسك.

أولستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفرت ـ كذا ـ لونه؟ بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد.

أولست المُدَّعي زياداً بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف؟ فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سُنَّة رسول الله ﷺ تعمداً، وتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثم سلَّطتَه على العراقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لستَ من هذه الأمة، وليسوا منك.

أولستَ صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين عليّ عليه السلام؟ فكتبت إليه: أن أقتل كلَ من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّلهم، ودين علي عليه السلام سرُّ الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين.

وقلتَ فيما قلتَ: «انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتقِ شقّ عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة».

وإني لا أعلم فتنةً أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمدﷺ أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلتُ فإنه قربةٌ إلى الله، وإن تركتُه فإني استغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلتَ فيما قلتَ: «أنى إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني» فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ، وأن لا يكون عليّ أحدٌ أضرّ منه على نفسك، على أنك قد ركبت بجهلك، وتحرّصت عليّ نقض عهدك، ولعمري ما وفيتَ بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقَّنا، فقتلتهم مخافة أمرٍ، لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية القِصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة، وقتلِك أوليائه على التُّهم، ونقل أوليائه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك للناس ببيعة ابنك، غلام حَدَثٍ، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسِرْتَ نفسك، وتبرّت دينك، وغششت رعيتك، وأخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم، والسلام.

فلما قرأ معاوية الكتاب، قال: لقد كان في نفسه ضبٌّ ما أشعر به.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، أجبه جواباً تصغّر إليه نفسه، وتذكر فيه أباه بشيءٍ فعله.

ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟ قال: وما هو؟ فاقرأه الكتاب.

فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه؟ وإنما قال ذلك في هوى معاوية.

فقال يزيد: كيف رأيتَ يا أمير المؤمنين رأيي؟

فضحك معاوية، فقال: أما يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك.

فقال عبد الله: فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطأتما، أرأيتما لو أني ذهبتُ لْعيب عليّ مُحقاً، ما عسيت أن أقول فيه، ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل وما لا يُعرف، ومتى ما عبت به رجلاً لا يعرفه الناس لم يحفل به صاحبه ولا يراه الناس شيئاً وكذّبوه، وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، واللَّهِ ما أرى للعيب فيه موضعاً، وقد رأيتُ أن أكتب إليه أتوعده وأتهدده، ثم رأيتُ ألا أفعل، ولا أمحكه).

بيان:

قوله: ولم ينزُ، من نزا على الشيء ينزو نزواً ونزواناً، أي وثب وثوباً.

قوله: فقد أظنك تركتَها، أي الظن بها أن تتركها.

قوله: أنت أعذل الناس، العذْلُ الملامة.

قوله: شقك عصا هذه الأمة، شقّ العصا كناية عن تفريق الجمع.

قوله: وما أظن الله راضياً بترك ذلك، أي بعد حصول شرائطه.

قوله: بإحنة، الإحنة اسم مصدر من أحِنَ الرجل أي حقد وأضمر العداوة.

قوله: الرحلتين أي رحلة الشتاء والصيف، وأشار المولى جلّ وعلا في كتابه إليهما في سورة الإيلاف، وكان لأشرافهم رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وذلك قصارى جاههم وشرفهم.

قوله: ودين علي عليه السلام سرُّ الله، أي دين عليّ عليه السلام هو دين رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو دين الإسلام، الذي جعل الله استقراره منوطاً بسيف علي عليه السلام، ولذا كان ضربة علي عليه السلام يوم الخندق توازي عمل الثقلين، وأفضل من عبادة الجن والإنس، وأفضل من عمل الثقلين على اختلاف الروايات.

قوله: تبرّت دينك، من التتبير بمعنى الإهلاك.

قوله: لقد كان في نفسه ضبُّ: الضبُّ هو الحقد، أضبّ فلان على غلّ في قلبه أي أضمره.

وقريب من هذا الخبر ما أورده الطبرسي في الاحتجاج ج٢ ص٨٩ ـ ٩٣، وما أورده البلاذري في أنساب الأشراف ج٥ ص١٢٨ ـ ١٣٠، وأورد جملته في أنساب الأشراف ج٣ ص٣٦٧، وفي آخره قال: (وكان آخر نص الكتاب: والسلام على من اتبع الهدى). وقريب منه ما أورده ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص١٥٤ ـ ١٥٧، إلا أنه جعله من جملة الكتب التي أرسلها معاوية إلى جماعة من أهل المدينة، وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، والحسين بن علي عليهما السلام، وذكر كتب معاوية إليهم مع أجوبتهم،

وجعل ذلك كله في زمن سعيد بن العاص عندما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، وأن هذه المراسلات بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام بيسير، وبعد ما بعث معاوية إلى واليه المذكور بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد بولاية العهد، وبعدما بعث الوالي المذكور بإجابة أهل المدينة إلا نفرٌ يسير منهم بنو هاشم وعبد الله بن الزبير، وهذه أمورٌ انفرد بها ابن قتيبة.

وأورد القاضي النعمان المصري في دعائم الإسلام ج٢ ص١٣٣، تحت رقم ٤٦٨ حديثاً:

(وعن الحسين بن علي أنه كتب إلى معاوية كتاباً يُقرعه فيه ويُبكّته بأمورٍ صنعها، كان فيه:

ثم ولّيتَ ابنك وهو غلامٌ، يشرب الشرابَ ويلهو بالكلاب، فخُنْتَ أمانتك وأخربت رعيتك، ولم تؤدِّ نصيحة ربك، فكيف تُولّى عى أمة محمد من يشرب المسكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الأشرار، وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الأمة؟ فعن قليلٍ ترد على عملك حتى تطوى صحائف الاستغفار).

٤ ـ وفي أنساب الأشراف ج٣ ص٣٦٩:

(وقال العتبي: حجب الوليد بن عتبة أهل العراق عن الحسين، فقال الحسين: يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربه، علام تحول بيني وبين قومٍ، عرفوا من حقي ما جهلته أنت وعمّك؟ فقال الوليد: ليت حلمنا عنكَ لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك، ما سكنتْ يدك، فلا تخطرها فتخطر بها، ولو علمتَ ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا).

وهذا محمول على ما بين ٥٧ للهجرة إلى سنة ٦٠ للهجرة عام وفاة معاوية، وهي الفترة التي تولّى الوليد المدينة من قبل معاوية.

٥ ـ وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي ج٢ ص٧٨٨ ـ ٧٩٣، الطبعة المحققة في الحديث السادس والعشرين:

(فلما مات الحسن بن علي عليه السلام لم يزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدّان، فلم يبقَ وليٌّ لله إلا خائفاً على دمه أو مقتول أو طريدٌ أو شريدٌ، ولم يبقَ عدوٌ لله إلا مُظهراً حجّته غيرَ مستترٍ ببدعته وضلالته. فلما كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن علي صلوات الله عليه، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر معه، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم، رجالهم ونسائهم ومواليهم وشيعتهم من حجّ منهم، ومن الأنصار، ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته.

ثم أرسل رُسُلاً: لا تَدَعوا أحداً ممن حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، المعروفين بالصلاح والنسك إلاّ أجمعوهم لي.

فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل، وهو في سُرادقه، عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وغيرهم.

فقام فيهم الحسين عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أسألكم عن شيءٍ فإن صدقتُ فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، أسألكم بحق الله عليكم، وحق رسول الله، وحق قرابتي من نبيكم، لمّا سيّرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أنصاركم من قبائلكم، مَنْ آمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا، فإني أتخوّف أن

يُدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويُغلب، والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون.

وما ترك شيئاً مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسّره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلاّ رواه، وكلُ ذلك يقول الصحابة: اللهمّ نعم قد سمعنا وشهدنا. ويقول التابعي: اللهمّ قد حدّثني به من أصدّقه وائتمنه من الصحابة.

فقال: أُنشدكم الله إلا حدّثتم به من تثقون به وبدينه، فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكّرهم أن قال:

أُنشدكم الله، أتعلمون أن عليّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة، فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أُنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثم ابتنى فيه عشرة منازل، تسعةٌ له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثم سدّ كل باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلم في ذلك من تكلم، فقال ﷺ: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكن الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى اناس أن يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله ﷺ، فولد لرسول الله ﷺ وله فيه أولاد؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أفتعلمون أن عمر بن الخطاب حرص على كوّة قَدَرَ عينه يَدَعُها من منزله إلى المسجد، فأبى عليه، ثم خطب ﷺ فقال: إن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيرُه وغيرُ هارون وابنيه، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نصبه يوم غدير خمّ، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهدُ الغائبَ؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنت وليّ كل مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأتِ إلا به وبصاحبته وابنيه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنه دفع إليه اللواء يومَ خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجلٍ يحبه الله ورسولُه، ويحبّ اللَّهَ ورسولَه، كرّار غير فرّار، يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة، وقال: لا يبلّغ عني إلا أنا أو رجلٌ منّي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ، لم تنزل به شدّةٌ قط إلا قدّمه لها ثقةً به، وأنه لم يدْعه باسمه قط إلا أن يقول: «يا أخي» و«ادعوا لي أخي»؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قضى بينه وبين جعفر وزيد، فقال له: يا علي، أنت منّي وأنا منك، وأنت وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنه كانت له من رسول الله ﷺ كل يوم خلوة، وكل ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه وإذا سكت أبداه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ فضّله على جعفر وحمزة حين

قال لفاطمة عليها السلام: زوّجتك خيرَ أهل بيتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا سيّد ولد آدم، وأخي عليّ سيّد العرب، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وابناي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بغُسله، وأخبره أن جبرئيل يُعينه عليه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخر خطبةٍ خطبها: أيها الناس، إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلّوا؟ قالوا: اللهمّ نعم.

فلم يَدَع شيئاً أنزله الله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصة، وفي أهل بيته من القرآن، ولا على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله إلاّ ناشدهم فيه، فيقول الصحابة: اللهمّ نعم قد سمعنا، ويقول التابعي: اللهمّ قد حدّثنيه مَنْ أثق به، فلان وفلان.

ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه صلى الله عليه وآله يقول: من زعم أنه يحبّني ويُبغض علياً فقد كذب، ليس يحبّني وهو يبغض علياً، فقال له قائل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: لأنه منّي وأنا منه، من أحبّه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله؟ قالوا: اللهمّ نعم، قد سمعنا، وتفرقوا على ذلك).

وفي الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢ ص٨٦ ـ ٨٨، الطبعة المُحققة، أورد بعض هذا الخبر مع تغيير في بعض الجمل منها:

(فلما مات الحسن بن علي عليه السلام ازداد البلاء والفتنة... فلما

كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي عليه السلام . . . فاجتمع إليه بمنى أكثر من ألف رجل. . أنشدكم بالله إلاّ رجعتم وحدّثتم به من تثقون به، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك).

ولم يُذكر في الخبر ولاية العهد ليزيد عليه اللعنة كما هو موضوع بحث الكتاب، ولكن مضمون الكتاب يدل على فعائل معاوية في طمس فضائل علي عليه السلام وأهل بيته، وأراد الإمام الحسين عليه السلام في هذا المؤتمر في منى إحياء هذه الفضائل، ونشرها بين القبائل وفي الأمصار.

٦ ـ وفي الأغاني ج١٦ ص٢٠٩ ـ ٢١٠، بإسناده عن أبي سهيل أو ابن سهيل:

(أن معاوية لما أراد أن يُظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده. ودقّ عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟

فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

فسكت وأضمرها، ودسّ ابن أثال الطبيب إليه، فسقاه سمّاً فمات، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان اسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه، هاشمي المذهب، ودخل مع بنيّ هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصبّ بعضه على رأسه، وشنّع عليه بأنه وُجد ثملاً من الخمر، فضربه الحد.

فلما قُتل عمّه عبد الرحمن مرّ به عروة بن الزبير، فقال له: يا

خالد، أتدع ابن أثال يُنقى أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مُسْبل إزارك، تجره وتخطر به متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بدّ من قتل ابن أثال، وكان نافع جَلداً أشهماً.

فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يُمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج، فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت فإني اضربه، ولكن احفظ ظهري، واكفِني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك، فلما حاذاه وَثَب عليه فقتله، وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غَشَوْهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم.

وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيه، ففُتّش عليه فأُتي به، فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طبيبي.

قال: قتلتُ المأمور وبقي الآمر، فقال له: عليك لعنة الله، أما واللَّهِ لو كان تشهّد مرة واحدة لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا، قال: بلى واللَّهِ ما اجترأت إلا به، ثم أمر بطلبه فوُجد، فضربه مائة سوط، ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية بن أثال، اثنى عشر ألف درهم، أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم).

وفي الاستيعاب للقرطبي ج٢ ص٣٧٢ تحت رقم ١٤١٠ في ترجمة عبد الرحمن بن خالد، قال:

(ثم إنه لما أراد معاوية البيعة ليزيد خطب أهل الشام، وقال لهم: يا أهل الشام، إنه قد كبرت سني، وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم فأروا رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا، وقالوا: رضينا عبد الرحمان بن خالد، فشقّ ذلك على معاوية، وأسرّها في نفسه، ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً ـ وكان عنده مكيناً ـ أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه، فمات، ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً هو وغلام له، فرصدا ذلك اليهودي، فخرج ليلاً من عند معاوية، فهجم عليه ومعه قوم هربوا عنه، فقتله المهاجر، وقصته هذه مشهورة عند أهل السيّر والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها، ذكرها عمر بن شبّة في أخبار المدينة وذكرها غيره).

ففي هذا الخبر أن المُقتص هو أخوه المهاجر بن خالد وفي الخبر المتقدم أنه ابن أخيه خالد بن المهاجر، ويؤيده ما في أسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٤٣٧ نقلاً عن الزبير بن بكار أن المقتص لمقتل عبد الرحمن هو ابن أخيه خالد بن المهاجر، هذا من جهة ومن جهة أخرى في أسد الغابة المصدر السابق أن ذلك سنة سبع وأربعين على قولٍ، وفي الإصابة للعسقلاني ج٥ ص٢٨ أن ذلك في سنة ست وأربعين عن بعضهم، وكذا في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج١ ص٥٥، وتاريخ الطبري ج٥ ص٢٢٧، ومن جهة ثالثة ففي خبر الاستيعاب المتقدم أن ابن أثال يهوديٌّ، وفي عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج٢ ص٢٤ أنه نصراني المذهب، وعلى كل من هذه النصوص تعرف هوى معاوية في ولاية العهد لابنه يزيد قبل مجاهرة المغيرة بها، وقبل سمّ الإمام الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص سنة ٥٠ للهجرة.

٧ ـ وفي تاريخ الطبري ج٥ ص٣٠٥ في مقام التكلم عن حوادث سنة ٥٦ للهجرة قال عن سعيد بن عثمان بن عفان:

(وكان سبب ولايته خُراسان، ما حدثني عمر، قال: حدثني عليّ، قال: أخبرني محمد بن حفص، قال: سأل سعيدُ بنُ عثمان معاوية أن يستعمله على خراسان، فقال: إنّ بها عبيد الله بن زياد.

فقال: أما لقد اصطنعك أبي ورقّاك حتى بلغت باصطناعه المَدى الذي لا يُجارى إليه ولا يُسامى، فما شكرتَ بلاءه، ولا جازيته بآلائه، وقدّمت عليّ هذا ـ يعني يزيد بن معاوية ـ وبايعت له، وواللَّهِ لأنا خيرٌ منه أباً وأماً ونفساً.

فقال معاوية: أما بلاء أبيك فقد يحق عليّ الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أني طلبتُ بدمه حتى تكشفت الأمور، ولستُ بلائم لنفسي في التشمير، وأما فضل أبيك على أبيه، فأبوك واللَّهِ خيرٌ مني، وأقرب برسول الله ﷺ، وأما فضل أمّك على أمّة فما يُنكر، امرأة من قريش خيرٌ من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه فواللَّهِ ما أحبّ أن الغوطة دُحِسَتْ ليزيد رجالاً مثلك.

فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين، ابنُ عمك، وأنت أحق من نَظَر في أمره، وقد عَتَب عليك فأعتبه.

قال ـ الراوي ـ: فولاّه حربَ خراسان، وولى إسحاق بن طلحة خراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمّه أم أبان ابنة عتبة بن ربيعة، فلما صار بالريّ مات إسحاق بن طلحة، فولى سعيد خراجَ خراسان وحربَها).

وأورد القصة ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص١٦٤ ـ ١٦٥ على نحو مغاير في بعض الخصوصيات، فقال:

(فلما قدم معاوية الشامَ، أتاه سعيد بن عثمان بن عفان، وكان شيطان قريش ولسانها، قال: يا أمير المؤمنين، علامَ تبايع ليزيد وتتركني، فواللَّهِ لتعلم أن أبي خيرٌ من أبيه، وأمي خير من أمه، وأنا خيرٌ منه، وأنك إنما نلتَ ما أنتَ فيه بأبي.

فضحك معاوية وقال: يابن أخي، أما قولك: إن أباك خيرٌ من أبيه، فيومٌ من عثمان خيرٌ من معاوية، وأما قولك: إن أمك خيرٌ من أمه، ففضل قرشية على كلبية فضلٌ بيّن، وأما أن أكونَ نلتُ ما أنا فيه بأبيك، فإنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء، قُتل أبوك رحمه الله، فتواكلته بنو العاص، وقامت فيه بنو حرب، فنحن أعظم بذلك منّة عليك، وأما أن تكون خيراً من يزيد، فواللَّهِ ما أحبّ أن داري مملوءة رجالاً مثلها بيزيد، ولكن دعني من هذا القول، وسلني أعطك.

فقال سعيد بن عثمان: يا أمير المؤمنين، لا يُعدم يزيد مركباً ما دمت له، وما كنتُ لأرضى ببعض حقي دون بعض، فإذا أبيتَ فأعطني مما أعطاك الله.

فقال معاوية: لك خراسان.

قال سعيد: وما خراسان؟

قال: إنها لك طُعمة وصِلة رحم، فخرج راضياً، وهو يقول:

ذكرت أمير المؤمنين وفضله — فقلت جزاه الله خيراً بما وصلْ
وقد سبقت مني إليه بوادر — من القول فيه آفة العقل والزللْ
فعاد أمير المؤمنين بفضله — وقد كان فيه قبل عودته ميلْ
وقال خراسان لك اليوم طعمة — فجوزي أمير المؤمنين بما فعلْ
فلو كان عثمان الغداة مكانه — ما نالني من ملكه فوق ما بذلْ

فلما انتهى قولُه إلى معاوية، أمر يزيد أن يزوّده، وأمر إليه بخِلعة، وشيّعه فرسخاً).

وأوردها أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ج١٨ ص٢٧٠ في أخبار ابن مفرغ، بإسناده عن المدائني، قال:

(دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان، فقال: علامَ جعلت يزيد وليّ عهدك دوني؟ فوالله لأبي خيرٌ من أبيه، وأمي خيرٌ من أمه، وأنا خيرٌ منه، وقد ولّيناك فما عزلناك، وبنا نلتَ ما نلتَ.

فقال له معاوية: أما قولك: إن أباك خيرٌ من أبيه، فقد صدقت لعمرُ الله، إن عثمان لخيرٌ منّي.

وأما قولك: إن أمك خيرٌ من أمه، فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها، وأن يرضاها بَعلُها وأن ينجب ولدها.

وأما قولك: إنك خيرٌ من يزيد، فواللَّهِ يا بنيّ ما يسرُّني أن لي بيزيد ملءَ الغوطة مثلك.

وأما قولك: إنكم ولّيتموني فما عزلتموني، فما ولّيتموني، وإنما ولاّني من هو خيرٌ منكم عمر، فأقررتموني، وما كنتُ بئس الوالي لكم، لقد قمت بثأركم، وقتلت قتلَةَ أبيكم، وجعلت الأمر فيكم، وأغنيت فقيركم، ورفعتُ الوضيعَ منكم، فكلّمه يزيد في أمره فولاّه خراسان).

وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج٩ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ قال:

(قال ابن الكابلي: كان أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون:

واللَّهِ لا ينالها يزيد — حتى ينالَ هامَه الحديدُ

إن الأمير بعده سعيدُ

يعنون لا ينالها يزيد: الخلافة، إن الأمير بعده سعيد بن عثمان، فقدم سعيد على معاوية، فقال: يابن أخي: ما شيء يقوله أهل المدينة؟ قال: وما يقولون؟ قال: قولهم:

. . . .

قال: ما تُنكر من ذلك يا معاوية؟ واللَّهِ إن أبي لخيرٌ من أبي يزيد، ولأمي خيرٌ من أم يزيد، ولأنا خيرٌ منه، ولقد استعملناك فما عزلناك بعد، ووصلناك فما قطعناك، ثم صار في يديك ما قد ترى، فحلأتنا عنه أجمع.

فقال له معاوية: يا بُني، أما قولك: إن أبي خير من أبي يزيد، فقد صدقت، عثمان خيرٌ من معاوية.

وأما قولك: أمي خيرٌ من أم يزيد، فقد صدقت، امرأة من قريش خيرٌ من امرأة من كَلْبِ، وبحسب المرأة أن تكون من صالح نساء قومها.

وأما قولك: إني خيرٌ من يزيد، فواللَّهِ ما يسرّني أن خيلاً بيني وبين العراق، ثم نُظم لي فيه أمثالك به.

ثم قال معاوية لسعيد بن عثمان: إلْحق بعمك زياد بن أبي سفيان، فإني قد أمرته أن يوليك خُراسان.

زاد في حديث آخر بمعناه:

فقال له يزيد: مَهْ، يا أمير المؤمنين، ابن أخيك استعمل الدالة عليك، واستعتبك لتعتبه، واستزادك منك فزده، وأجمل له في ردّك، واحمل له على نفسك، وَوَلّه خراسان بشفاعتي، وأعنه بمالٍ تُظهر به مروءته، فولاّه معاوية خراسان، وأجازه بمئة ألف درهم، وكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد.

وفي حديث آخر:

فقال ابن عائشة: انظروا ذاك يشتم هذا، وهذا يعطف أباه على ذاك، فلم يزل به حتى ولاّه خراسان).

وتاريخ دمشق لابن عساكر، ونقل الأميني رحمه الله في الغدير ج١٠ ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ الخبر عنه ج٦ ص١٥٥، ولم يورده بتمامه، ونقل في آخره:

(وقال: حكى الحسن بن رشيق قصة سعيد مع معاوية بأطول مما مرّ ـ ثم ذكر حكاية ابن رشيق، وفيها: فولاّه معاوية خراسان، وأجازه بمائة ألف درهم).

بيان:

قوله: ورفّاك، من رفّ أي أعطاه وأحسن إليه وأكرمه.

قوله: دحست أي ملئت.

قوله: قد عتب عليك فأعتبه: أي أرضه من الإرضاء.

قوله: فتواكلته بنو العاص، أي تركت القصاص من قَتَلته.

وعلى كلٍ فالتلاعب في خصوصيات الخبر لإظهار حلم يزيد ليس في محله لأنه غير معروف من سجيته، وتولية سعيد خراسان ترضيةً له بعد ما كان والياً على المدينة من سنة ٤٩ للهجرة إلى عام ٥٤ للهجرة يشعر بأن معاوية بعدما عزم على ولاية العهد لابنه يزيد كان يسعى لتذليل الصعوبات، ومن جملتها ما رآه من ميل وهوى أهل المدينة لسعيد ورجزهم في ترجيحه على يزيد، فعزله عن المدينة، وعندما استعتبه سعيد عام ٥٦ للهجرة أرضاه بولاية خراسان، ولم يُقدم على سمّه كما فعل مع الإمام الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ولعل عدم تسميمه لأنه أموي.

٨ ـ وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٥١ ـ ١٥٣:

(قالوا: ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع ليزيد الشام، وكتب بيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد. فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك، وابته قريش، فكتب لمعاوية: إن قومك قد أبَوْا إجابتك إلى بيعتك ابنك فارأ رأيك.

فلما بلغ معاويةَ كتابُ مروان عرف أن ذلك من قبله، فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله، ويخبره أنه قد ولّى المدينة سعيد بن العاص.

فلما بلغ مروان كتاب معاوية، أقبل مغاضباً في أهل بيته وناسٍ كثيرٍ من قومه، حتى نزل بأخواله بني كنانة، فشكى إليهم، وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر معاوية، وفي عزله، واستخلافه يزيد ابنه من غير مشورة مبادرة له.

فقالوا له: نحن نَبْلُك في يدك، وسيفك في قرابك، فمن رميته بنا أصبناه، ومن ضربته بنا قطعناه، الرأي رأيك، ونحن طوع يمينك.

ثم أقبل مروان في وفدٍ منهم كثير، ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق، فخرج فيهم حتى أتى سدة معاوية، وقد أذن للناس، فلما نظر الحاجب إلى كثرة من معه من قومه وأهل بيته، منعه من الدخول، فوثبوا إليه، حتى خلى عن الباب، ثم دخل مروان ودخلوا معه، حتى إذا كان من معاوية بحيث تناله يده، قال بعد التسليم عليه بالخلافة:

إن الله عظيمٌ خطره، لا يقدر قادرٌ قدره، خلق من خلقه عباداً،

جعلهم لدعائم دينه أوتاداً، هم رقباؤه على البلاد، وخلفاؤه على العباد، أسفر بهم الظلم، وألف بهم الدين، وشدد بهم اليقين، ومنح بهم الظفر، ووضع بهم من استكبر، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زمامنا ـ كذا ولعله: زماننا ـ وكنّا نكون لهم على الطاعة إخواناً، وعلى من خالف عنها أعواناً، يشدّ بنا العضد، ويُقام بنا الأوَد، ونُستشار في القضية، ونستأمر في أمر الرعية، وقد أصبحنا اليوم في أمور مستحيرة، ذات وجوه مستديرة، تفتح بأزمة الضلال، وتجلس بأهواء الرجال، يؤكل جزورها، وتمق أحلابها، فما لنا لا نستأمر في رضاعها، ونحن فطامها وأولات فطامها، وأيّم الله لولا عهود مؤكدة، ومواثيق معقّدة لأقمت أوَدَ وليّها، فأقم الأمر يابن أبي سفيان، وأهدىء من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراً، وأن لهم على مناوأتك وَزَراً.

فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً، ثم كظم غيظه بحلمه، وأخذ بيد مروان، ثم قال:

إن الله قد جعل لكل شيء أصلاً، وجعل لكل خير أهلاً، ثم جعلك في الكرم مني محتداً، والعزيز مني والداً، أُخترتَ من قروم قادة، ثم استُللتَ سيد سادة، فأنت ابن ينابيع الكرم، فمرحباً بك وأهلاً من ابن عم، ذكرتَ خَلَفاً مفقودين، شهداء صديقين، كانوا كما نعتَّ، وكنتَ لهم كما ذكرتَ، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة، ذات وجوه مستديرة، وبك والله يابن العم نرجوا استقامة أودها، وذَلولة صعوبتها، وسفور ظلمتها، حتى يتطأطأ جيمها، ويركب بك عظيمها، فأنت نظير أمير المؤمنين بعده، وفي كل شدّة عضده، وإليك عهدٌ عهده، فقد وليتك قومك، وأعظمنا في الخراج سهمك، وأنا مجيزٌ وفدك، ومحسنٌ رفدك، وعلى أمير المؤمنين غناك، والنزول عند رضاك.

فكان أول ما رزق ألف دينار في كلّ هلال، وفرض له في أهل بيته مئة مئة).

بيان:

يؤكل جزورها: أي يؤكل لحمها.

وتمق أحلامها: يشرب لبنها جميعه فلا يترك منه شيء، والمراد من هذه الجملة والتي قبلها أن معاوية يستأثر بكل شيء في الخلافة، ولا يترك لمروان منها شيئاً.

فما لنا لا نُستأمر في رضاعها: المعنى مالك لا تأخذ رأينا في الخلافة، ونحن قادرون على منع درّها عنك.

أهدىء: أبطىء ولا تتسرع.

وَزَراً: الملجأ والمستعان.

قروم: جمع قرم بكسر القاف وهو الشجاع.

وأنا مجيز وفدك: أي معطيهم جوائز.

رفدك: عطاءك.

وظاهر أول الخبر أن مجرياته وقعت بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام بمدة يسيرة، وهو بعيد لأن مروان لم يكن والياً على المدينة في هذه الفترة، لأنه عُزل عنها عام ٤٩ للهجرة ووُلّي مكانه سعيد بن العاص.

نعم يمكن حمل الخبر على ما بعد عام ٥٦ للهجرة، وهو عام بيعة يزيد بولاية العهد ولكن عندما عزله معاوية لم يضع مكانه سعيداً بل وضع الوليد كما هو المعروف، ويؤيد ذلك ما في مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٢١٨ ـ ٢١٩:

(وأنفذت الكتب ببيعة يزيد إلى الأمصار، وكتب معاوية إلى

مروان بن الحكم، وكان عامله على المدينة يُعلمه باختياره يزيد، ومبايعته له بولاية العهد، ويأمره بمبايعته، وأخذ البيعة له على مَنْ قِبَله، فلما قرأ مروان ذلك خرج مُغضباً في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق، فنزلها ودخل إلى معاوية يمشي بين السماطين، حتى إذا كان منه بقدر ما يُسمعه صوتَه سلّم وتكلم بكلام كثير، يُوبِّخ به معاوية، منه:

أقم الأمور يا ابن أبي سفيان، واعدل عن تأميرك الصبيان، وأعلم أن لك من قومك نظراء، وأنّ لك على مناواتهم وزراء.

فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين، وعُدّته في كل شديدة، وعضده، والثاني بعد وليّ عهده. وجعله ولّي عهد يزيد، وردّه إلى المدينة، ثم إنه عزله عنها، وولاّها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولم يفِ لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد بن معاوية).

٩ ـ وفي أنساب الأشراف ج٣ ص٤٦٩ ـ ٤٧١:

(قالوا: بايع محمد بن الحنفية ليزيد بن معاوية، حين أخذ معاوية له البيعة على الناس غير مغتاصٍ ولا ملتوٍ عليه.

فكان معاوية يشكر له ذلك ويصله عليه ويقول: ما في قريش كلها أرجح حلماً ولا أفضل عماً ولا أسكن طائراً، ولا أبعد من كل كِبْرٍ وطيش ودنس من محمد بن علي.

فقال له مروان ذاتَ يوم: واللّهِ ما نعرفه إلا بخير، فأما كل ما يُذكر فإن غيره من مشيخة قريش أولى به.

فقال معاوية: لا تجعلنّ من يتخلق لنا تخلقاً، وينتحل لنا الفضل انتحالاً كمن حيله، إنه على الخير واجرأه على السداد، فواللّهِ ما علمتك إلا موزعاً مُغري بالخلاف.

وكان يزيد يعرف ذلك له أيضاً، فلما وَلي يزيد لم يسمع عن ابن

الحنفية إلا جميلاً، وببيعته إلا تمسكاً ووفاءً، وازداد له حمداً وعليه تعطفاً.

فلما قُتل الحسين بن علي، وكان من ابن الزبير ما كان كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أن قد أحبّ رؤيته وزيارته إيّاه، ويأمره بالإقبال عليه.

فقال له عبد الله ابنه: لا تأته فإني غير آمنه عليك، فخالفه ومضى إلى يزيد، فلما قدم عليه أَمَرَ فأُنزل منزلاً، وأجرى عليه ما يُصلحه ويسعه، ثم دعا به وأدنى مجلسه، وقرّبَه حتى صار معه، ثم قال له:

آجرنا الله وإيّاك في الحسين بن علي، فواللّهِ لئن كان نغضك لقد نغضني، ولئن كان أوجعك لقد أوجعني، ولو أني أنا الذي وليت أمره ثم لم استطع دفع الموت عنه إلا بحزّ أصابعي، أو بذهاب نواظري لفديتُه بذلك، وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ولا أحسبه إلا قد بلغك أنا نقوم به فننال منه ونذمه، وأيم الله ما نفعل ذلك لئلا يكونوا الأحباء الأعزاء، ولكنا نريد إعلام الناس أنا لا نرضى إلا بأن لا ننازع أمراً خصّنا الله به، وانتخبنا الله له.

فقال له ابن الحنفية: وصلك الله، ورحم حسيناً وغفر له، قد علمنا أن ما نغضنا فهو لك ناغض، وما عالنا فهو لك عائل، وما حسين بأهلٍ أن تقوم به فتقصيه وتجذبه، وأنا أسألك يا أمير المؤمنين أن لا تُسمعني فيه شيئاً أكرهه.

فقال يزيد: يابن عم، لستَ تسمع منّي فيه شيئاً تكرهه، وسأله عن دَيْنِه.

فقال: ما عليّ دين.

فقال يزيد لابنه خالد بن يزيد: يا بُنيّ، إن عمك هذا بعيدٌ من الخبّ واللؤم والكذب، ولو كان لبعض هؤلاء لقال: عليّ كذا وكذا، ثم أمر له بثلاثمائة ألف درهم فقبضها، ويُقال: إنه أمر له بخمسمائة ألف، وعروض بمائة ألف درهم. وكان يزيد يتصنع لابن الحنفية، ويسأله عن الفقه والقرآن، فلما جاء ليودعه، قال له: يا أبا القاسم، إن كنت رأيتَ فيّ خُلقاً تنكره نزعتُ منه، وأتيتُ الذي تشير به عليّ.

فقال: واللّهِ لو رأيت منكراً ما وسعني إلا أن أنهاك عنه وأخبرك بالحق لله فيه، لِما أخذ الله على أهل العلم من أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه، وما رأيتُ منك إلا خيراً.

وشَخَصَ من الشام حتى ورد المدينة، فلما وَثَبَ الناس بيزيد، وخلعوه ومالوا إلى ابن الزبير، وأتاهم مسلم بن عقبة المري في أهل الشام، جاء عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مطيع في رجالٍ من قريش والأنصار، فقالوا لابن الحنفية: اخرجْ معنا نقاتل يزيد.

فقال لهم محمد بن علي: على ماذا أقاتله ولم أخلعه؟

قالوا: إنه كفر وفجر، وشرب الخمر، وفسق في الدين.

فقال لهم محمد بن الحنفية: ألا تتقون الله، هل رآه أحدٌ منكم يعمل ما تذكرون، وقد صحبته أكثر مما صحبتموه فما رأيتُ منه سوءاً.

قالوا: إنه لم يكن يطلعك على فعله.

قال: أفأطلعكم أنتم عليه؟ فلئن كان فعل إنكم لشركاؤه، ولئن كان لم يطلعكم لقد شهدتم على غير ما علمتم.

فخافوا أن يُثبّط قعودُه الناس عن الخروج، فعرضوا عليه أن يبايعوه إذ كَرِهَ أن يبايع لابن الزبير، فقال: لستُ أقاتل تابعاً ولا متبوعاً.

قالوا: فقد قاتلتَ مع أبيك.

قال: وأين مثل أبي اليوم.

فأخرجوه كارهاً، ومعه بنوه متسلحين، وهو في نعل ورداء، وهو يقول: يا قوم، اتقوا الله ولا تسفكوا دماءكم، فلما رأوَه غير منقاد لهم خلّوه).

وعلائم الوضع واضحة في الخبر:

منها: مبايعة ابن الحنفية ليزيد بولاية العهد راضياً.

ومنها: أن ابن الحنفية أموي الهوى، متمسك ببيعة يزيد، وصاحب ثناء وحمدٍ عليه.

ومنها: عدم رؤية ابن الحنفية من يزيد شيئاً من المُنكرات، بل لم يرَ منه إلا الخير.

ومنها: دفاع ابن الحنفية عن سلوك يزيد أمام أهل المدينة، وأنه لم يرَ منه السوء مع طول الصحبة.

ومنها: سكوته بعدما تكلم يزيد عليه اللعنة في حق الإمام الحسين عليه السلام بما تكلم.

وكلها أمور تنافي المعروف من سيرة ابن الحنفية وتمسكه بأخيه الإمام الحسين عليه السلام ومتابعته له.

١٠ ـ وفي تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ص٣٥ ـ ٣٦:

(حكى الشَّعبي: أن وفد الكوفة قدِموا على معاوية لما أراد البيعة ليزيد، وفيهم هاني بن عُروة المرادي، فبينا أنا جالسٌ إذ قال هاني بن عروة: العجب من معاوية، يريدُ أن يَقسرنا على بيعة ابنه يزيد، وحاله حاله، وما ذاك بكائن.

وغلامٌ من قريش قاعدٌ في حلقته، فقام فدخل على معاوية، فأخبره بقول هاني، فقال له: أنت سمعت هانئاً يقوله؟ قال: نعم، قال: فاخرج من هذا الباب، وائتِ حلقته من باب من أبواب المسجد، غيرَ بابك الذي خرجتَ منه، فقل له إذا خفّ مَنْ عنده: أيها الشيخ قد سمعتُ مقالتك، ولستَ في زمن أبي بكر ولا عمر، ولا أحبّ لك أن تتكلم بهذا الكلام، فإنهم بنو أمية، وجرأتُهم جرأتهم، وإقدامهم ما قد علمتَ.

ثم قال له معاوية: إذا فرغت من كلامك فقل له: إنه لم يَدْعُني إلى هذا إلا النصيحة لك، ثم احفظ عليه ما يقول.

فأقبل الفتى إلى مجلس هاني، فلما خفّ مَنْ عنده دنا منه فكلّمه بهذا الكلام، فقال له: يابن أخي، واللَّهِ ما بلغت نصيحتك لي كلَّ هذا، وإن هذا الكلامَ كلامُ معاوية، أعرفه، وأشهد به.

فقال الفتى: وما أنا ومعاوية، واللَّهِ ما يَعرفني، ولا يَدري مَنْ أنا.

قال: يابن أخي فلا عليك، ولكن إذا لقيتَه، فقل له: يقول هاني، لا واللَّهِ لا إلى ما أردتَ من سبيل، إنهض يابن أخي.

فذهب الفتى، فأعلم معاوية ما قال، فقال: بالله نستعين عليه، ثم أذِن للوفد، وقال لهم: إرفعوا حوائجكم، ففعلوا، فلمّا عُرض كتاب هاني على معاوية، قال: يا هاني، ما صنعت شيئاً، فزد.

فزاد هاني، ومعاوية يقول: ما صنعت شيئاً، هات حوائجك، حتى لم يَدَعْ حاجة لمن يهتمّ به إلا رفعاها وقضاها، ثم قال: يا هاني لم تصنع شيئاً، فقال: يا أمير المؤمنين، قد بقيتْ حاجة، قال: وما هي؟ قال: بيعة يزيد، أتولاها له بالعراق، قال: هي إليك، فقدم

هاني، فقام بأمر يزيد، وتولّى المغيرة بن شعبة البيعة).

وأوردها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١٨ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، وهي قصة مكذوبة عند السيد بحر العلوم في رجاله ج٤ ص٤٨ ـ ٤٩ للتناقض بين قول هاني في الشام بأنه لا سبيل إلى بيعة يزيد، وبين فعله بالعراق، مع وجود تقوى عنده تمنعه من ذلك، وتكذيب نفسه عند قومه ومعاوية، وهو أمرٌ ليس من سجية هاني، بالإضافة إلى أنه لا مؤيد لها من أفعال هاني، ولو كانت صحيحة لأوردها المؤرخون الأوائل لما فيها من الغرابة.

١١ ـ قال ابن قتيبة في الإمام والسياسة ج١ ص١٦٦ ـ ١٧٣ عن قصة أُرَينب بنت إسحاق:

(وذكروا أن يزيد بن معاوية سهر ليلة من اللَّيالي، وعنده وصيف لمعاوية يقال له رفيق، فقال يزيد: أستديم الله بقاء أمير المؤمنين، وعافيته إياه، وأرغب إليه في تولية أمره وكفاية همه، فقد كنت أعرف من جميل رأي أمير المؤمنين فيَّ، وحسن نظره في جميع الأشياء ما يؤكد الثَّقة في ذلك والتوكل عليه، منعني من البوح بما جمجمت في صدري له، وتطلابه إليه، فأضاع من أمري وترك من النَّظر في شأني، وقد كان في حلمه، وعلمه، ورضائه، ومعرفته، بما يحق لمثله النظر فيه، غير غافل عنه، ولا تارك له، مع ما يعلم من هيبتي له وخشيتي منه، فالله يجزيه عنّي بإحسانه، ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه، فقال الوصيف: وما ذلك جعلت فداك؟ لا تلم على تضييعه إيّاك، فإنك تعرف تفضيله لك، وحرصه عليك، وما يخامره من حبك، وأن ليس شيءٍ أحب إليه، ولا آثر عنده منك لديه، فاذكر بلاءه، واشكر حباءه فإنك لا تبلغ من شكره إلا بعون من الله.

قال: فأطرق يزيد إطراقاً عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا

منه، وباح به، فلمّا آب من عنده توجه نحو سدّة معاوية ليلاً وكان غير محجوب عنه، ولا محبوس دونه، فعلم معاوية أنه ما جاء به إلا خبرٌ أراد إعلامه به، فقال له معاوية: ما وراءك؟ وما جاء بك؟ قال: أصلح الله أمير المؤمنين، كنت عند يزيد ابنك، فقال فيما استَّجر من الكلام كذا وكذا، فوثب معاوية وقال: ويحك ما أضعنا منه رحمة له، وكراهية لما شجاه وخالف هواه، وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئاً، فقال عليَّ به، وكان معاوية إذا أتت الأمور المشكلة المعضلة، بعث إلى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها، فلمّا جاءه الرسول قال: أجب أمير المؤمنين، فحسب يزيد إنما دعاه إلى تلك الأمور التي يفزع إليه منها، ويستعين برأيه عليها، فأقبل حتى دخل عليه، فسلم ثم جلس، فقال معاوية: يا يزيد ما الذي أضعنا من أمرك، وتركنا من الحيطة عليك، وحسن النظر لك، حيث قلت ما قلت؟ وقد تعرف رحمتي بك، ونظري في الأشياء التي تصلحك، قبل أن تخطر على وهمك، فكنت أظنك على تلك النعماء شاكراً، فأصبحت بها كافراً، إذ فرط من قولك ما الزمتني فيه إضاعتي إياك، وأوجبت عليَّ منه التقصير، لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطي، ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي، ولم يردعك عنه حق أُبوَّتي، فأي ولد أعق منك وأكيد، وقد علمت أني تخطَّأت الناس كلهم في تقديمك، ونزلتهم لتوليتي إياك، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم من عرفت، وحاولت منهم ما علمت، قال: فتكلَّم يزيد، وقد خنقه من شدة الحياء الشرق، وأخضله من أليم الوجد العرق، قال: لا تلزمني كفر نعمتك، ولا تنزل بي عقابك، وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك، وخطوي إلى كل ما يسرك، في سري وجهري فليسكن سخطك، فإن الذي أرثى له من أعباء حمله وثقله، أكثر ممّا أرثى لنفسي، من اليم ما بها وشدته، وسوف أنبئك وأعلمك

أمري، كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه، نظراً في خيار الأمور لي، وحرصاً على سياقها إليّ، وأفضل ما عسيت أستعدّ له بعد إسلامي المرأة الصالحة، وقد كان ما تحدث به من فضل جمال أُرَيْنِب بنت أسحاق وكمال أدبها ما قد سطع وشاع في النَّاس، فوقع منّي بموقع الهوى فيها، والرغبة في نكاحها، فرجوت ألا تدع حسن النظر لي في أمرها، فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها، فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدري، حتى عيل صبري، فبحت بسري، فكان ممَّا ذكرت تقصيرك في أمري، فالله يجزيك أفضل من سؤالي وذكري، فقال له معاوية: مهلاً يا يزيد، فقال: علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل، فقال له معاوية: فأين حجاك ومروءتك وتقاك؟ فقال يزيد: قد يغلب الهوى على الصبر والحجا، ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتقاه، أو يدفع ما أقْصَدَه بحجاه، لكان أولى النَّاس بالصبر داودعَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد خبرك القرآن بأمره.

فقال معاوية: فما منعك قبل الفوت من ذكره؟ قال: ما كنت أعرفه، وأثق به من جميل نظرك، قال: صدقت، ولكن اكتم يا بني أمرك بحلمك، واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك، فإن البوح به غير نافعك، والله بالغ أمره، ولا بدّ ممَّا هو كائنٌ.

وكانت أرينب بنت إسحاق مثلاً في أهل زمانها في جمالها، وتمام كمالها وشرفها، وكثرة مالها، فتزوجها رجلٌ من بني عمّها يقال له عبد الله بن سلام من قريش، وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل، ووقع أمر يزيد من معاوية موقعاً ملأه همَّاً وأوسعه غمَّاً، فأخذ في الحيلة والنظر أن يصل إليها، وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها، فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام، وكان قد استعمله على العراق: أن أقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حظك

فيه كامل، ولا تتأخر عنه، فأعدَّ المصير والإقبال، وكان عند معاوية بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله ﷺ، فلمَّا قدم عبد الله بن سلام الشام، أمر معاوية أن ينزل منزلاً قد هيّئ له، وأعدَّ له فيه نزله، ثم قال لأبي هريرة وصاحبه: إن الله قسَّم بين عباده قسماً، ووهبهم نعماً أوجب عليهم شكرها، وحتم عليهم حفظها، وأمرهم برعاية حقها، وسلطان طريقها، بجميل النظر، وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره، كما فوضه إليهم، حتى يؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم، فحياني منها عز وجل بأعز الشرف، وسمو السلف، وأفضل الذكر، وأغدق اليسر، وأوسع عليَّ في رزقه، وجعلني راعي خلقه، وأمينه في بلاده، والحاكم في أمر عباده، ليبلوني أأشكر آلاءه أم أكفرها، فإياه أسأله أداء شكره، وبلوغ ما أرجو بلوغه، من عظيم أجره، وأوَّل ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه، فيمن استرعاه الله أمره من أهله ومن لا غنى به عنه، وقد بلغت لي ابنة أردت إنكاحها، والنظر فيمَنْ يريد أن يباعلها لعلّ من يكون بعدي يهتدي منه بهديي، ويتبع فيه أثري، فإني قد تخوفت أن يدعو من يلي هذا الأمر من بعدي زهوة السلطان وسرفه إلى عضل نسائهم، ولا يرون لهن فيمن ملكوا أمره كفؤاً ولا نظيراً، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء: إنَّ أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها، وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها، أنت صاحب رسول الله وكاتبه، فقال معاوية: إذكروا له ذلك عني، وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى، غير أني أرجو أنها لا تخرج من رأيي إن شاء الله، فلما خرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما، قال ـ الراوي ـ: ودخل معاوية إلى ابنته، فقال لها: إذا دخل عليك أبو هريرة وابو الدرداء، فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام، وإنكاحي إياك منه، ودعواك إلى

مباعلته، وحضَّاك على ملاءمة رأيي، والمسارعة إلى هواي، فقولي لهما: عبد الله بن سلام كفؤ كريم، وقريب حميم، غير أن تحته أُرَيْنِب بنت إسحاق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء، فأتولى منه ما اسخط الله فيه، فيعذبني عليه، فأفارق الرجاء، وأستشعر الأذى، ولست بفاعلة حتى يفارقها، فذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام، وأعلماه بالذي أمرهما معاوية، فلمَّا أخبراه سُرَّ به وفرح، وحمد الله عليه، ثم قال: نستمتع الله بأمير المؤمنين، لقد والى عليَّ من نعمه، وأسدى إليَّ من مننه، فأطول ما أقوله فيه قصير، وأعظم الوصف لها يسير، ثم اراد إخلاطي بنفسه، وإلحاقي بأهله، إتماماً لنعمته، وإكمالاً لإحسانه، فالله أستعين على شكره، وبه أعوذ من كيده ومكره، ثم بعثهما إليه خاطبين عليه، فلمَّا قدما، قال لهما معاوية: قد تعلمان رضائي به وتنخلي إياه، وحرصي عليه، وقد كنت أعلنتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى، فادخلا إليها، واعرضا عليها الذي رأيت لها، فدخلا عليها وأعلماها بالذي ارتضاه لها أبوها، لما رجا من ثواب الله عليه. فقالت لهما كالذي قال لها أبوها، فأعلماه بذلك فلما ظنَّ أنه لا يمنعها منه إلا أمرها، فارق زوجته، وأشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين إليه أيضاً، فخطبا، وأعلما معاوية بالذي كان من فراق عبد الله بن سلام إمرأته، طلاباً لما يرضيها، وخروجاً عما يشجيها، فأظهر معاوية كراهية لفعله، وقال: ما استحسن له طلاق إمرأته، ولا أحببته، ولو صبر ولم يعجل لكان أمره إلى مصيره، فإن كون ما هو كائن لا بدَّ منه، ولا محيص عنه، ولا خيرة فيه للعباد، والأقدار غالبة، وما سبق في علم الله لا بدَّ جارٍ فيه، فانصرفا في عافية، ثم تعودان إلينا فيه، وتأخذان إن شاء الله رضانا.

ثم كتب إلى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق أُرَيْنِب بنت إسحاق عبدُ الله بن سلام، فلمَّا عاد أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية أمرهما بالدخول عليها، وسؤالها عن رضاها تبرّياً من الأمر، ونظراً في القول والعذر، فيقول: لم يكن لي أن أكرهها، وقد جعلت لها الشورى في نفسها، فدخلا عليها، وأعلماها بالذي رضيه إن رضيت هي، وبطلاق عبيد الله بن سلام إمرأته أُرَيْنِب، طلاباً لمسرتها، وذكرا من فضله، وكمال مروءته، وكريم محتده، ما القول يُقصر عن ذكره، فقالت لهما: جفَّ القلم بما هو كائن، وإنه في قريش لرفيع، غير أن الله عزّ وجلّ يتولى تدبير الأمور في خلقه، وتقسيمها بين عباده، حتى ينزلها منازلها فيهم، ويضعها على ما سبق في أقدارها، وليست تجري لأحدٍ على ما يهوى، ولو كان لبلغ منها غاية ما شاء، وقد تعرفان أن التزويج هزله جدّ، وجدّه ندم، الندم عليه يدوم، والمعثور فيه لا يكاد يقوم، والأناة في الأمور أوفق لما يخاف فيها من المحذور، فإن الأمور إذا جاءت خلاف الهوى بعد التَّأني فيها، كان المرء بحسن العزاء خليقاً، وبالصبر عليها حقيقاً، وعلمت أن الله وليُّ التدابير.

فلم تلم النفس على التقصير، وإني بالله أستعين، سائلة عنه، حتى أعرف دخيلة خبره، ويصح لي الذي أريد علمه من أمره ومستخيرة، وإن كنت أعلم أنه لا خيرة لأحدٍ فيما هو كائن، ومعلمتكما بالذي يرينيه الله في أمره، ولا قوة إلا بالله.

فقالا: وفقك الله وخار لك، ثم انصرفا عنها، فلمَّا أعلماه بقولها تمثَّل وقال:

فإن يك صدر هذا اليوم ولَّى ... فإن غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله إمرأته قبل أن

يفرغ من طلبته، وقبل أن يوجب له الذي كان من بغيته، ولم يشكوا في غدر معاوية إياه، فاستحث عبد الله بن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء، وسألهما الفراغ من أمره، فأتياها، فقالا لها: قد أتيناك لما أنت صانعة في أمرك، وأن تستخيري الله يخر لك فيما تختارين، فإنه يهدي من استهداه، ويعطي من اجتداه، وهو أقدر القادرين، قالت: الحمد الله أرجو أن يكون الله قد خار لي، فإنه لا يكل إلى غيره من توكل إليه، وقد استبرأت أمره، وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي، مع إختلاف من استشرته فيه، فمنهم الناهي عنه، ومنه الآمر به، وإختلافهم أول ما كرهت من الله، فعلم عبد الله أنه خُدع، فهلع ساعة واشتدَّ عليه الهمُّ، ثم انتبه فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال متعزّياً: ليس لأمر الله راد، ولا لما لا بد أن يكون منه صاد، أمور في علم الله سبقت، فجرت بها أسبابها، حتى امتلأت منها أقرابها، وإن امرؤ انثال له حلمه واجتمع له عقله، واستذله رأيه، ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً، ولا انحرافاً عنه ولا حيداً، ولآل ما سروا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره، ولا يصرف عنهم محذوره، قال ـ الراوي ـ: وذاع أمره في الناس وشاع، ونقلوه إلى الامصار، وتحدَّثوا به في الأسمار، وفي اللّيل والنَّهار شاع في ذلك قولهم، وعظم لمعاوية عليه لومهم، وقالوا: خدعه معاوية حتى طلق امرأته، وإنما أرادها لابنه، فبئس من استرعاه الله أمر عباده، ومكَّنه في بلاده، وأشركه في سلطانه، يطلب أمراً بخدعة من جعل الله إليه أمره، ويحيره ويصرعه جرأة على الله، فلمَّا بلغ معاوية ذلك من قول النّاس، قال: لعمري ما خدعته، قال ـ الراوي ـ: فلمَّا انقضت أقراؤها، وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد، فخرج حتى قدمها، وبها يومئذ الحسين بن علي وهو سيد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وبذلاً، فقال أبو الدرداء إذ قدم

العراق: ممَّا ينبغي لذي الحجا والمعرفة والتقى أن يبدأ به ويؤثره على مهمٍّ أمره، لما يلزمه حقه، ويجب عليه حفظه، وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجَنَّة يوم القيامة، فلست بناظر في شيءٍ قبل الإلمام به والدخول عليه، والنظر إلى وجهه الكريم وأداء حقه، والتسليم عليه، ثم أستقبل بعد أن شاء الله ما جئت له، وبعثت إليه، فقصد حتى أتى الحسين، فلمَّا رآه الحسين قام إليه فصافحه إجلالاً له، ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعه من الإسلام، ثم قال الحسين: مرحبا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليسه، يا أبا الدرداء، أحدثت لي رؤيتك شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوقدت مطلقات أحزاني عليه، فإني لم أر منذ فارقته أحداً كان له جليساً، وإليه حبيباً، إلا هملت عيناي، وأحرقت كبدي أسى عليه، وصبابة إليه، ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله، وقال: جزى الله لبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً. فقال الحسين: والله إني لذو حرص عليك، ولقد كنت بالإشتياق إليك، فقال أبو الدرداء: وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد أُرَيْنِب بنت إسحاق، فرأيت أن لا أبدأ بشيءٍ قبل إحداث العهد بك، والتسليم عليك، فشكر له الحسين ذلك، وأثنى عليه وقال: لقد كنت ذكرت نكاحها، وأردت الإرسال إليها بعد إنقضاء أقرائها، فلم يمنعني من ذلك إلا تخيير مثلك، فقد أتى الله بك، فاخطب رحمك الله عليَّ وعليه، فلتختر من اختاره الله لها وإنها أمانة في عنقك حتى تؤديها إليها، وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه، فقال أبو الدرداء: أفعل إن شاء الله، فلمَّا دخل عليها قال لها: أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته، وكونها بعزَّته، فجعل لكل أمر قدراً، ولكل قدر سبباً، فليس لأحدٍ عن قدر الله مستحاص، ولا عن الخروج عن علمه مستناص، فكان مما سبق لك وقدر عليك،

الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إياك، ولعل ذلك لا يضرك، وان يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً، وقد خطبك أمير هذه الأمَّة، وابن الملك، ووليّ عهده، والخليفة من بعده، يزيد بن معاوية، وابن بنت رسول اللهﷺ، وابن أوَّل من آمن به من أمته، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة، وقد بلغك سناهما وفضلهما، وجئتك خاطباً عليهما، فاختاري أيهما شئت، فسكتت طويلاً. ثم قالت: يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب عنّي أشخصت فيه الرسل إليك، واتبعت فيه رأيك، ولم اقطعه دونك على بعد مكانك، ونأى دارك، فأما إذ كنت المرسل فيه فقد فوَّضْتُ أمري بعد الله إليك، وبرئت منه إليك، وجعلته بين يديك، فاختر لي أرضاهما لديك، والله شهيد عليك، واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي، ولا يصدنك عن ذلك إتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفياً وما أنت عما طوَّقتك عمياًّ، فقال أبو الدرداء: أيتها المرأة إنما عليَّ إعلامك وعليك الإختيار لنفسك، قالت: عفا الله عنك، إنما أنا بنت أخيك، ومن لا غنى بها عنك فلا يمنعك رهبة أحدٍ من قول الحق فيما طوَّقتك، فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حمَّلتك، والله خير من روعى وخيف، إنَّه بنا خبير لطيف، فلمَّا لم يجد بدّاً من القول والإشارة عليها، قال: بُنَّية، ابن بنت رسول الله أحبَّ إليّ وأرضاهما عندي، والله أعلم بخيرهما لك، وقد كنت رأيت رسول اللهﷺ واضعاً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضعهما رسول الله، قالت: قد اخترته ورضيته، فاستنكحها الحسين بن عليّ، وساق إليها مهراً عظيماً، وقال الناس وبلغ معاوية الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذكره حاجة أحد مع حاجته، وما بعثه هو له، ونكاح الحسين إيَّاها، فتعاظمه ذلك جداً، ولامه لوماً شديداً، وقال: مَنْ يرسل ذا بلاهة وعمى، يركب في أمره خلاف ما يهوى، ورأيي كان من رأيه أسوأ، ولقد كنا

بالملامة منه أولى حين بعثناه، ولحاجتنا انتخلناه، وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إيَّاها بدرات مملوءة درّاً، كان ذلك الدرّ أعظم ماله واحبَّه إليه، وكان معاوية قد أطرحه، وقطع جميع روافده عنه، لسوء قوله فيه، وتهمته إياه على الخديعة، فلم يزل يجفوه ويغضبه، ويكدى عنه، ما كان يجديه، حتى عيل صبره، وطال أمره، وقلَّ ما في يديه، ولام نفسه على المقام لديه، فخرج من عنده راجعاً إلى العراق، وهو يذكر ماله الذي كان استودعها، ولا يدري كيف يصنع فيه، وأنّى يصل إليه، ويتوقع جحودها عليه، لسوء فعله بها، وطلاقه إياها على غير شيءٍ أنكره منها، ولا نقمة عليها، فلمَّا قدم العراق لقي الحسين، فسلَّم عليه، ثم قال: قد علمت جعلت فداك الذي كان من قضاء الله في طلاق أُرَيْنِب بنت إسحاق، وكنت قبل فراقي إياها قد استودعتها مالاً عظيماً درَّاً، وكان الذي كان ولم أقبضه، ووالله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتيلاً، ولا أظنُّ بها إلا جميلاً، فذكِّرها امري، واحضضها على الرد عليَّ، فإن الله يحسن عليك ذكرك، ويجزل به اجرك، فسكت عنه، فلمَّا انصرف الحسين إلى أهله، قال لها: قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليكِ، ويحمل النشر عنك، في حسن صحبتك، وما أنسه قديماً من امانتك فسرَّني ذلك وأعجبني، وذكر أنه كان استودعك مالاً قبل فراقه إياك، فأدّي إليه أمانته، وردِّي عليه ماله، فإنه لم يقل إلا صدقاً ولم يطلب إلاّ حقاً، قالت: صدق، قد والله استودعني مالاً لا ادري ما هو، وأنه لمطبوع عليه بطابعه ما أُخذ منه شيء إلى يومه هذا، فأثنى عليها الحسين خيراً، وقال: بل أدخله عليك حتى تبرئي إليه منه كما دفعه إليك، ثم لقي عبد الله بن سلام، فقال له: ما أنكرت مالك، وزعمت أنه لكما دفعته إليها بطابعك، فادخل يا هذا عليها، وتوفّ مالك منها، فقال عبد الله بن سلام: أو تأمر بدفعه إليَّ جعلت

فداك، قال: لا، حتى تقبضه منها كما دفعته إليها، وتبرئها منه إذا أدته، فلمَّا دخلا عليها قال لها الحسين: هذا عبد الله بن سلام، قد جاء يطلب وديعته، فأدّيها إليه كما قبضتها منه، فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه، وقالت له: هذا مالك، فشكر لها، وأثنى عليها، وخرج الحسين، ففض عبد الله خاتم بدره، فحثا لها من ذلك الدرّ حثوات وقال: خذي، فهذا قليل مني لك، واستعبرا جميعاً، حتى تعالت أصواتهما بالبكاء، أسفاً على ما ابتليا به، فدخل الحسين عليهما وقد رقَّ لهما، للذي سمع منهما، فقال: أشهد الله أنها طالق ثلاثاً، اللهمَّ إنك تعلم أني لم أستنكحها رغبةً في مالها ولا جمالها، ولكني أردت إحلالها لبعلها، وثوابك على ما عالجته في أمرها، فأوجب لي بذلك الأجر، واجزل ليَّ عليه الذخر إنك على كل شيءٍ قدير، ولم يأخذ مما ساق إليها في مهرها قليلاً ولا كثيراً، وقد كان عبد الله ابن سلام سأل ذلك أُرَيْنِب، أي التعويض على الحسين، فأجابته إلى ردّ ماله عليه شكراً لما صنعه بهما، فلم يقبله، وقال: الذي أرجو عليه من الثواب خيرٌ لي منه، فتزوجها عبد الله بن سلام، وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله، وحرمها الله على يزيد، والحمد الله ربِّ العالمين) انتهى.

وهذه القصة أوردها ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص١٧٢ـ١٨٠، وأوردها الحموي في ثمرات الأوراق المطبوع بهامش المستطرف ج ١ ص ١٩٨، وذكرها الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف ص ٢٠١ ـ ٢١٠، والأخيران نقلاها عن ابن بدرون، وهو بدوره نقلها عن ابن قتيبة في الإمامة والسياسة.

وذكرها النويري في نهاية الإرب ج ٦ ص ١٨٠ وما بعدها.

وهذه القصة مكذوبةٌ جملةً وتفصيلاً، لأمور:

الأول: القصة وقعت بعدما تمَّت البيعة ليزيد بولاية العهد، كما هو مذكور في أولها، والبيعة بولاية العهد تمَّت في سنة ٥٦ للهجرة على ما عرفت، مع ان أبا الدرداء توفي في خلافة عثمان سنة ٣١ للهجرة كما في كامل ابن الأثير ج٣ ص١٢٩، فكيف تتم وساطته وهو ميت؟

الثاني: الإمام الحسين عليه السلام ترك العراق بعد الصلح عام ٤١ للهجرة، واتى إلى المدينة مع أخيه الحسن عليه السلام، ولم يرجع إلى الكوفة إلا في سنة ستين للهجرة ولم يصل إليها بل جعجع به إلى حين نزوله كربلاء، فكيف يكون موجوداً في الكوفة في زمن هذه القصة بعدما تمَّت بيعة يزيد بولاية العهد.

الثالث: عبد الله بن سلام القرشي بحسب زعم القصة لا وجود له في كتب الحديث والتراجم والرجال، نعم الموجود عبد الله بن سلام اليهودي من بني قينقاع، وقد أظهر إسلامه، وتوفي سنة ٤٣ للهجرة، كما في كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٤٣٩، بالإضافة إلى أن كتب التاريخ لم تنص على تولية ابن سلام المزعوم الكوفة من قبل معاوية، وهذا أمرٌ واضح لمن له إلمام بالتاريخ.

الرابع: كيف طلَّق الإمام الحسين عليه السلام زوجته المزعومة ثلاثاً، وفي مجلسٍ واحدٍ، مع عدم حضور شهود عدول، وهو طلاقٌ باطلٌ من ناحية عدم الشهود، ومن مبتدعات العامة من ناحية تثليثه في مجلسٍ واحد.

الخامس: وقوع التناقض في نقل تفاصيلها وأبطالها، فقد نقلها الخوارزمي في مقتله ج١ ص١٥٠ـ١٥١، وجعل المرأة أم أبيها، هند بنت سُهيل بن عمرو، وزوجها عبد الله بن عامر، والِيَ معاوية على البصرة، والرسول أبو هريرة، وقد مر على الإمام الحسين في المدينة، ورواها الخوارزمي في نفس المصدر بأن الإمام هو الحسن بن

علي عليه السلام، وأنها وقعت بعد جعل يزيد ولي عهد للمسلمين.

ونقلها الحائري في معالي السبطين، ج ١ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ عن الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري، وان المرأة فاطمة زوجة عبد الله بن الزبير، وقد استدعاه معاوية إلى الشام وأغراه بولاية مصر، والرسول أبو موسى الأشعري، وقد مرَّ على قثم بن العباس والإمام الحسين عليه السلام، والإثنان طلبا الخطبة منها، وفي آخر القصة: (فسمع معاوية، وغضب على أبي موسى، وغضب يزيد عليه وعلى الحسين عليه السلام غضباً شديداً، وكمن منه الحقد في صدره، وكان يتربص به الدوائر، حتى هلك معاوية، وجلس يزيد على سرير الملك، وكتب إلى الوليد بن عُتبة ما كتب).

وذكرها العلايلي في كتابه الإمام الحسين تارة تحت عنوان (مع أرينب) في الجزء الثالث ص ٥٠٣ ـ ٥٢٨، وأخرى تحت عنوان (الشخصية) في الجزء الأول ص ١٣٣ ـ ١٣٥,

وقال في الجزء الأول ص ١٣٣ في الهامش (هذه القصة رواها عدد من المؤرخين ورجال الأدب، بإختلاف في الاسم والجهة، فعند ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص٣٠٤ أن اسمها أرينب ووقائعها في العراق، وعند شهاب الدين النويري في نهاية الإرب ج ٦ أن اسمها زينب، وذكر الميداني أن وقائعها في المدينة.

وتجد إختلافاً كثيراً في أنها وقعت للحسن أو الحسين، وأن الواسطة أبو الدرداء أو أبو هريرة، وأن الزوج عبد الله بن سلام أو عدي بن حاتم، وقد جاء ذكرها عند إبن قتيبة في السياسة، والنويري في نهاية الإرب، وابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون، وذكرها السيوطي في تحفة المجالس، والشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف، والميداني في مجمع الأمثال.

وهي مع اختلافها تُلقي علينا بصيصاً ممَّا نجتهد بالأخذ به، ورأينا الخاص أن القصة في أقرب رواياتها وأرجحها أنها وقعت في العراق، وأن الذي انتصف هو الحسين عليه السلام، ولذلك أثبتناها).

وبعد هذه التناقض لا بدَّ من ردَّها، للتناقض ولما تقدم من الأمور، ولما فيها من كون النفرة أو أحد أسبابها هو أمرٌ شخصي متعلق بقضية امراة، وهذا صريح ما نقله الحائري في معاليه عن الجزائري في أنواره، وهذا ما أراد أن يستوصيه العلايلي، ومثلهما قال العقاد في كتابه أبو الشهداء ص ٣٩: (فإن صحت هذه القصة ـ وهي متواترة في تواريخ الثقات ـ فقد تمَّ ما نقص من النفرة والخصومة بين الرجلين) إنتهى.

وفيه: أن التنازع بينهما إنَّما هو على الإمامة المنصوص عليها من قبل الله لأمير المؤمنين عليه السلام ولبنيه المعصومين عليهم السلام، وقد جعلوها خلافة يتوارثها الأبناء عن الآباء، بالإضافة إلى كون المتصدي من بني أمية، وبنفس شخصية يزيد وصفاته وأفعاله، بالإضافة إلى أن القصة مرجعها إبن قتيبة في الإمامة والسياسة، وعلى الأقل فهو أول من ذكرها، وهو قال في أولها: (ذكروا أن يزيد بن معاوية. . .) ولم يذكر سندها، فلا تكون متواترة ولا يكون نقلها من خلال الثقات الذين عاصروها بل هي مكذوبة على سيد شباب أهل الجنة للإنتقاص من نهضته المباركة، ومنه تعرف ضعف ما في كلام العقاد المتقدم.

الأمر الثامن من فوائد هذا الفصل: أخبار لا اساس لها في المصادر التاريخية

الأول: قال الدربندي في أسرار الشهادة ص ٣٦٧ الطبعة الحجرية، وج ٢ ص ٦٢٧ ـ ٦٣٠، الطبعة المحققة.

(تذنيب آخر أيضاً في هذا المقام، فاعلم أني قد ظفرت برواية متضمنة كيفية خروج سيدِ الشهداءِ من المدينة، وجملة أخرى من الأمور، وإنما ذكرتها ههنا لأجل بعض المناسبات بين ما تضمّنتْه وبين الرواية المتقدمة المتضمّنة خروج أمير المؤمنين عليه السلام من مكة مع الفواطم وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهذه الرواية قد حدَّثني بها بعض الثقات الأدباء والشعراء من تلامذتي من العرب، وقال: قد ظفرت بها في مجموعة كانت تُنسب إلى الفاضل الأديب المقري، فنقلتها عنها، فهذه الرواية.

أن قد روى عبد الله بن سنان الكوفي عن أبيه عن جده أنه قال:

خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام، وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته فقرأه وعَرِفَ معناه، فقال: أنظرني إلى ثلاثة أيام، فبقيت في المدينة، ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت في نفسي أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلالته وشأنه، فأتيت إلى باب داره فرأيت الخيل مسرَّجة والرجال واقفين، والحسين جالساً على كرسيّ، وبني هاشم حافِّين به، وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيت نحواً من أربعين محملاً، وقد زيِّنت المحامل بملابس الحرير والديباج، فعِند ذلك أمر الحسين عليه السلام بني هاشم بأن يركبوا محارمهنّ على المحامل، فبينما أنا أنظر وإذا بشاب قد خرج من دار الحسين عليه السلام، وهو طويل القامة، وعلى خدِّه علامة، ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحّوا عنِّي يا بني هاشم، وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار، وهما تجرَّان أذيالهما على الأرض حياءً من النَّاس، وقد حفَّت بهما إماؤهما، فتقدم ذلك إلى محمل من المحامل وجثى على ركبتيه وأخذ بعضديهما فأركبهما المحمل.

فسألت بعض الناس عنهما، فقيل: أما إحداهما فزينب والأخرى أم كلثوم، بنتا أمير المؤمنين عليه السلام.

فقُلت: ومَنْ الشاب؟ فقيل لي: هو قمر بني هاشم العبَّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم رأيت بنتين صغيرتين، كأن الله تعالى لم يخلق مثلهما، فجعل واحدة مع زينب، والأخرى مع أم كلثوم، فسألت بعض الناس عنهما، فقيل لي: سكينة وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام.

ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه إمرأة، وعلى كتفها طفل صغير، وقد حفَّت بها اماؤها فأركبها ذلك الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أما الغلام فهو علي الأكبر بن الحسين عليه السلام، والامرأة أمه، وهي ليلى زوجة الحسين عليه السلام، والطفل عبد الله الرضيع بن الحسين.

ثم خرج غلام آخر، ووجهه كفلقة القمر، ومعه إمرأة، فسألت عنهما، فقيل لي: أما الغلام فهو القاسم بن الحسن المجتبى، والإمرأة أمه.

ثم خرج شاب آخر، وهو يقول: تنحّوا عنِّي يا بني هاشم، تنحّوا عن حرم الغريب أبي عبد الله، فتنحَّى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت إمرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي على سكينة ووقار، قد حفَّت بها اماؤها، فسألت عنها، فقيل لي: أما الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام عليه السلام، وأما الإمرأة فهي شاه زنان بنت الملك كسرى، زوجة الإمام، فأتى بها وأركبها على المحمل، ثم أركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل، فلما تكاملوا نادى الإمام عليه السلام: أين أخي، أين كبش كتيبتي، أين قمر بني هاشم؟

فأجابه العبَّاس قائلاً: لبيّك لبيّك.

فقال له الإمام عليه السلام: قدّم إليَّ جوادي، فأتى العباس بالجواد إليه، وقد حفَّتْ به بنو هاشم، فأخذ العبَّاس بركاب الفرس حتى ركَّب الإمام عليه السلام، ثم ركب بنو هاشم وركب العبَّاس، وحمل الراية أمام الإمام عليه السلام، فصاح أهل المدينة صيحة شديدة وعلت أصوات بني هاشم بالبكاء والنَّحيب، وقلنا: الوداع الوداع، الفراق الفراق.

فقال العباس: إي والله هذا يوم الفراق، والملتقى يوم القيامة، ثم ساروا قاصدين الكوفة.

فسرتُ معهم حتى وصلنا كربلاء، فنزلوا فيها، فما كانت إلا هنيئة حتى رحضت عليهم الجموع والكتائب، وأحاطوا بهم من كل جانب، ومنعوهم الماء، إلى أن جرى عليهم ما جرى من القتل والنهب والسَّبي، فعند ذلك أمر ابن سعد لعنه الله بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطاء وحجاب، فقُدّمت النِّياق إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أحاط القوم بهنَّ، وقيل لهنَّ: تعالين واركبن، فقد أمر ابن سعد لعنه الله بالرحيل، فلما نظرت زينب إلى ذلك نادت وقالت: سوَّد الله وجهك يا بن سعد في الدنيا والاخرة، تأمر هؤلاء القوم بأن يُركّبونا، ونحن ودائع رسول الله صلى الله عليه آله وسلم، فقلْ لهم: يتباعدون عنا، حتى يُركّب بعضنا بعضاً، فتنّحوا عنهنَّ، فتقدمت زينب ومعها أم كلثوم، وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها، وتركبها على المحمل، حتى لم يبق أحدٌ سوى زينب، فنظرت يميناً وشمالاً، فلم ترَ أحداً سوى زين العابدين عليه السلام، وهو مريض فأتت إليه وقالت: قم يا أخي وأركبني الناقة، فقال: يا عمتّاه، إركبي ودعيني أنا وهؤلاء القوم، فرجعت إلى ناقتها لأنها لم تقدر على مخالفة الإمام عليه السلام.

فالتفت يميناً وشمالاً فلم تَر إلا أجساداً على الرمال ورؤوساً على الأسنَّة بأيدي الرجال، فصرخت وقالت: واغربتاه، واخاه، واحسيناه، واعباساه، وارجالاه، واضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله قال ـ الراوي ـ: فلما رأيتهم على هذه الحالة ذكرتُ خروجهم من الحجاز وما كانوا عليه من العزَّة والعفَّة والعظمة والجلالة، فبكيت على حالهم، وما جرى عليهم.

قال ـ الراوي ـ: فلما نظر الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام، وهو يرتعش من الضعف، فأخذ عصاه يتوكأ عليها وأتى إلى عمَّته وثنَّى ركبتيه وقال: اركبي، لقد كسرت قلبي وزدتِ كربي، فأخذ يركبها فارتعش من الضعف، وسقط على الأرض، فلما رآه الشمر لعنه الله أتى إليه وبيده سوط، فضربه به وهو ينادي: واجداه وامحمدا، واعلياه، واحسيناه، فبكت زينب، فقالت: ويلك يا شمر، رفقاً بيتيم النبوة وسليل الرسالة وحليف التُّقى وتاج الخلافة، فلم تزل تقول كذا، نحَّتْه عنه، وإذا بجارية مسنَّة سوداء قد أقبلت إلى زينب فأركبتها، فسألت عنها، فقالوا: هذه فِضَّة جارية فاطمة الزهراء، ثم أركبوا الإمام عليه السلام على بعير أعجف، فلم يتمالك الركوب من شدَّة الضعف، فأخبروا بذلك ابن سعد لعنه الله، فقال: قيِّدوا رجليه من تحت بطن الناقة ففعلوا ذلك، وساروا بهم على تلك الحالة).

أقول:

أورد هذا الخبر الشيخ الحائري في معالي السبطين ج ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ إلى حين نزولهم كربلاء.

وهذا الخبر غير موجود في المصادر التاريخية والحديثية بالإضافة إلى اشتماله على أمور تنافي السياق التاريخي للنَّهضة وتنافي سلوك آل البيت عليهم السلام فضلاً عن العرض القصصي المصطنع، وهذه الأمور الثلاثة تفيد الإطمئنان بوضع الخبر، فهو خبر مكذوب لا محالة.

فقد اشتمل على وصول كتاب أهل الكوفة إلى الإمام وهو بالمدينة، والتعبير عن الإمام بـ (ملك الحجاز)، وتزيين المحامل بملابس الحرير والديباج، وبوجود إماء لغالب نساء بني هاشم على طريقة بنات الملوك، وأن سكينة وفاطمة بنتي الإمام صغيرتان، وأن الرضيع على كتف ليلى أم علي الأكبر، مع أن أمه الرباب، وأن أم الإمام زين العابدينعليه السلام كانت موجودة مع أنها ماتت قبل ذلك بالإتفاق، ثم طلب غضُّ البصر عند ركوب أم زين العابدين فقط، ولا أدري هذه الخصوصية، ثم تقديم الجواد للإمام الحسينعليه السلام من قبل العباس بطلب من الإمام، ثم السير إلى الكوفة مباشرةً من دون المرور على مكة، والوصول إلى كربلاء من دون حصار، ثم ابتدأ الحصار بعد نزولهم أرض كربلاء، ثم إصرار العقيلة على زين العابدين بأن يركبها الناقة وهو على ما عليه من الضعف، ثم الإتيان بفضَّة جارية سيدة النساء وأنها هي التي أركبت العقيلة، ثم تقييد رجلي الإمام من تحت بطن النَّاقة، وكلها أمور مكذوبة لا أساس لها من الصحة وبعضها ينافي السياق التاريخي والبعض الآخر ينافي سلوك آل البيتعليهم السلام.

والعجب من عبد الحسين إبراهيم في كتابه المفيد في ذكرى السبط الشهيد ص١٢ عندما عرض هذه القصة فقد أتى بها مع زيادة فقال:

(فكانت فضَّة خادمة لزينب من بعد أمها فاطمة، وكانت مليكة خادمة أم كلثوم، وكانت روضة خادمة سكينة بنت الحسين، وغيرهنَّ كثيرات قد تبعن نساء أهل البيت، فأخرج الموالي من الرجال والرواحل أولاً وحملوها أدوات السفر والأثقال، ثم جاؤوا برواحل ثانية فحملت الأواني والأرزاق والأطفال، فكان فيهم الولد الصغير والوليدة، ومن ليس للحرب والشدَّة، ومنهم من لا يعرف السفر والمسير، ولكن ثقل آل محمد أثقلهم وأقلقهم، فخرجوا من ديارهم وأوطانهم، ثم أذن الحسين بخروج النساء والعيال والأطفال للسفر

والمسير، وهكذا، فخرج فتى قوي الساعدين طويل القامة، يضئ وجهه نوراً، وهو يقول: أيَّها النَّاس غضّوا أبصاركم حتى يخرجن بنات رسول الله وكان الفتى المنادي هو أبو الفضل العباس ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم خرجت في أثره إمرأة مجلَّلة في خدرها، وهي زينب بنت علي، وخرجت على يسارها أختها زينب الصغرى أم كلثوم) إلى آخر ما أورده.

وفي كتاب عاشوراء ونساء الشيعة ص ٣٢ نقل الخبر الذي أورده الدربندي فقال: (روى عبد الله بن سنان عن أبيه عن جده كما نقل الدربندي في كتابه المسمَّى بأسرار الشهادة قال: دعوني أهل الكوفة فأتيت إليهم، فقالوا لي: أتدري لم بعثنا إليك؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى والراسخون في العلم، فقالوا: ومن الراسخون في العلم؟ قلت لهم: محمد ﷺ وأهل بيته، فقالوا: إنا بعثنا إليك نريد أن نكتب لك كتاباً، ونبعثك به إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت لهم: حباً وألف كرامة.

فكتبوا كتاباً وناولوني إياه، فصيَّرته في طي عمامتي وركبت راحلتي، وسرت من وقتي وساعتي أجُدُّ السير ليلاً ونهاراً، وعشية وإبكاراً، حتى إذا وصلت المدينة المنورة، فأتيت إلى منزله ـ أي منزل الحسين عليه السلام ـ واستأذنت في الدخول عليه فأذن لي، فدخلت عليه وسلَّمت عليه، بعد أن قبَّلت يديه ورجليه، ثم نظرت، وإذا بفتية بني هاشم حافّين به، وهو جالس على كرسي كأنه البدر إذا تجلَّى من الغمام، ثم ناولته الكتاب) إلى آخر ما أورده الدربندي.

ولاحظ أن المقدمة المذكورة هنا غير موجودة في أسرار الشهادة، مع أنه نسبها إليه وأدعى أنه ينقلها عن ذلك الكتاب، بالإضافة إلى تضمَّنه أشعاراً بلهجة بعض البلدان العربية، وينسب هذا الأشعار إلى أهل البيت عليهم السلام.

وقال الشَّيخ حسين النوري في كتابه اللؤلؤ والمرجان باللغة الفارسية ص١٧٦ ـ ١٧٧ ما مُعرَبّه: (الخبر الطويل المتعرض لبيان كيفية خروج سيد الشهداء من المدينة المنوَّرة، مما هو دائر على السنة تلك الجماعة ـ جماعة القراء ـ وقد نقلها الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة عن بعض تلامذته الذي وجدها في مجموعة، كانت تنسب إلى بعض قارئي العزاء أن عبد الله بن سنان الكوفي، روى عن أبيه، عن جده انه قال: خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين، وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته فقرأه، وعرف معناه، فقال: أنظرني إلى ثلاثة أيام، فبقيت في المدينة، ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت في نفسي: أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلالته وشأنه، فأتيت إلى باب داره، فرأيت الخيل مسرَّجة، والرجال واقفين، والحسين جالساً على كرسي، وبني هاشم حافّين به، ورأيت نحواً من أربعين محملاً، وقد زينت المحامل بملابس الحرير والديباج، ثم ذكر الراوي كيفية الركوب بشرحٍ عجيب، فصَّله تفصيلاً بحيث اشتمل السطر الواحد على عدَّة كذبات، وقد بقي ذلك الراوي ملازماً إلى عصر اليوم الحادي عشر، حينما أمر ابن سعد بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطاء وحجاب، وهناك شرع بشرحٍ آخر مفصَّل أيضاً حيث تذكر ذلك الركوب الجليل ثم بكى إلى آخر الخبر، الذي يترك الإنسان متعجباً من كيفية صناعته وحياكته والأعجب منه إثبات ذلك الفاضل لهذه الرواية في كتابه).

الثاني: ما نقله السيد عبد الحسين إبراهيم الحسيني في سفينة النجاة ص ١٥ عن الكليني في الكافي (أنه لمَّا مات معاوية بن أبي سفيان تولى الخلافة من بعده ولدُه يزيد فبايعه أهل الشام، وكان أهل الحجاز وأهل العراق قد امتنعوا عن البيعة ليزيد، وكان رأيهم الخلافة للحسين بن علي عليه السلام، وهو في المدينة فكتب يزيد كتاباً إلى الوليد ـ

إلى أن قال ـ ولم يكن له همَّة إلا الفتك في رجال المسلمين المؤمنين وخصوصاً أهل المدينة، لأنه يطلبهم بثارات بدر وغيرها، ـ إلى أن قال ـ وأمر الوليد أن يقرأ عليهم الكتاب: أما بعد، فإني رفعتكم على رأسي ثم وضعتكم، وأيم الله لئن أشرت أن أضعكم تحت قدمي لأطئنكم وطأة. . .) إلى آخر ما أورده.

وهذا الخبر غير موجود في الكافي بالإضافة إلى أن كتاب يزيد إلى الوليد بهذا المضمون غير موجود في مصدر من مصادر التاريخ والحديث، فضلاً عن عدم التصريح في هذه المصادر بأن القتل لثارات بدر. . .

الأمر الثالث: ما يوجد في (المقتل) المنسوب لأبي مخنف ص ٢٠ أن مروان قال للوليد عندما أبى الإمام عليه السلام البيعة: (إن فاتك الثعلب لم تر إلا غباراً فاحذر أن يخرج حتى يبايعك أو تضرب عنقه).

وهذا غير موجود إلا في المنتخب للطُريْحي المجلس التاسع من الجزء الثاني ص٤١٨ في حديث طويل أوله (روى أنه. . . وكتب إلى الوليد بن عُتبة وكان يومئذ والياً على المدينة كتاباً يأمره أن يأخذ البيعة على أهلها، وبعث إلى عمرو بن سعيد بالريّ وأمره أن يأخذ البيعة على أهلها، ونفذ إلى جميع الأمصار بذلك فبايعوه، إلا أهل الكوفة والمدينة.

وكان فيما بعث إلى الوليد بقوله: خذ لنا البيعة من قبلك عامة، وعلى هؤلاء الأربعة أنفر خاصة: وهم عبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزُّبير، والحسين بن علي، فمن لم يبايعك منهم فأنفذ إليَّ برأسه، . . . فقال عبد الرحمان: أما أنا فأدخل بيتي وأغلق بابي ولا أبايعه، وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فعليَّ بقراءة القرآن ولزوم المحراب، وقال عبد الله بن الزُّبير: أما أنا فما كنت بالذي أبايع يزيد، وقال الحسين عليه السلام: أما أنا فأجمع فتياني وأتركهم فناء الدار وأدخل على الوليد، وأناظره وأطالب

بحقّي. . . وبعدما دخل الحسين عليه السلام على الوليد وأخبره الوليد بموت معاوية. . . فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنها مصيبة عظيمة، ولنا بها شغل عن البيعة. . . فقال الوليد: انصرف يا أبا عبد الله وائتنا غداً مع الناس، فقال مروان: فاتك الثعلب فلا ترى إلا غباره، واحذر أن يخرج حتى يبايعك أو تضرب عنقه. . . وبعدما ردَّ الإمام عليه السلام وردَّ الوليد فقال له مروان: مثلك ينبغي أن يكون سائحاً في البراري والقفار ولا يكون أميراً). إلى آخر ما قاله.

وليت شعري كيف يمكن محاسبة هذا الخبر من ناحية جعل عمرو بن سعيد والياً على الريّ، وهو والي مكّة، أو من ناحية أجوبة عبد الرحمان بن أبي بكر وعبد الله بن عمر، ولا مصدر يثبت ذلك، أو من ناحية ما نسب إلى الإمام عليه السلام عن موت معاوية بأنها مصيبة عظيمة تشغله عن البيعة، أو من ناحية ما قاله مروان في حق أبي عبد الله عليه السلام: فاتك الثعلب، أو من ناحية توصيف مروان للوليد بأنه ينبغي أن يكون سائحاً هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فالمقتل المنسوب لأبي مخنف بحسب طبع الحيدريَّة ـ النجف الأشرف ـ ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م فيه أخطاء فاحشة، وما يتعلق بهذا الفصل هو:

١ ـ (قال أبو مخنف ـ حدَّثنا أبو المنذر هشام، عن محمد بن سائب الكلبي) ص ٢ وفيه: أن أبا مخنف هو شيخ هشام، فكيف ينقل أبو مخنف عن هشام، مع أن العكس هو الصحيح.

٢ ـ (وروى الكليني في حديث: أن معاوية لمَّا حضرته الوفاة مرض مرضاً شديداً، وكان يزيد لعنه الله غائباً عنه، وذُكرَ أنه كان والياً على حمص فدعا بدواة وبياض وكتب إليه كتاباً). . . ص ٧.

وفيه: أن أبا مخنف قد توفي سنة ١٥٨ للهجرة، والكليني قد توفي سنة ٣٢٩ للهجرة، فكيف ينقل أبو مخنف المتقدم عن الكليني

المتأخر، بالإضافة إلى أن الخبر المذكور غير موجود في كتابه الكافي أصولاً وفروعاً وروضة، فضلاً عن أن يزيد لم يكن والياً على حمص، بل هو من منفردات هذا المقتل الموهوم، وإنما كان في حوّارين بالقرب من حمص خارجاً للصيد.

٣ ـ وفي ص ١١ من هذا المقتل عندما تكلَّم عن كتاب يزيد إلى الوليد فقال: (فأنفذ الكتاب مع رجل من أصحابه إلى الوليد لعنه الله، وكان قدومه إلى المدينة لعشرة أيَّام، قد خلون من شعبان).

وفيه: أن غالب المؤرخين ومنهم أبو مخنف بحسب رواية الطبري المتقدمة أن الإمام الحسين عليه السلام قد دخل مكَّة لثلاث خلون من شعبان بعدما وصل الكتاب إلى الوليد، وطلب منه البيعة فأبى وخرج من المدينة إلى مكّة، وبقية المؤرخين ذكروا أنه خرج من المدينة لثلاث خلون من شعبان، وعليه فوصول كتاب يزيد إلى واليه على المدينة في عشرة من شهر شعبان قبل خروج الإمام عليه السلام من المدينة مما لا أساس له في المصادر.

٤ ـ ما نقلناه عن المنتخب بالنسبة إلى كتاب يزيد إلى الوليد فهو موجود في المقتل الموهوم ص ١٠ ـ ١٣.

الأمر الرابع:

في كتاب نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ص ٥ ـ ١١، المنسوب لأبي إسحاق الإسفريني:

(ثم بعد وفاة علي كرَّم الله وجهه ولىَ الخلافة بعده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقال: يقول رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن ولىَ الخلافة بعد علي كرَّم الله وجهه: بعد انقضاء الثلاثين سنة أنا أول الملوك، والواجب أن لا يُذكر أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بأحسن ذكر، لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا،

يعني: يجب الإمساك عما وقع بينهم من النزاع والقتال وغير ذلك.

قال الراوي: ثم إن معاوية رضي الله عنه لمَّا تولَّى المملكة بعد وفاة علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه قعد مدَّةً من الزمن وهو مُكرم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولبني هاشم جميعاً، خصوصاً الحسين وإخوته وقرابته وأهل بيته، وكان عليهم أشفق من والدهم.

ثم إنه بعد مدَّةٍ أقام له نائباً في مملكته يحكم المدينة بإذنه، ثم إنه أمر بالشروع في تجهيز الذخائر سريعاً فجُهزت، ثم ارتحل بعساكره وجنوده، وأخذ معه الحسين كرَّم الله وجهه وإخوته وأولاد أخيه وجميع عشيرته وقرابته. وارتحل بهم جميعاً، واتى إلى ناحية دمشق بأرض الشام، ونزل بها، وصار بها خليفة، وحكمُه سارٍ في جمع الإسلام، والحسين كرَّم الله وجهه وإخوته وأولاد أخيه وجميع قرابته رجالاً ونساء كباراً وصغاراً عنده في دمشق المحروسة يكرمهم غاية الإكرام، ويوصي بهم غاية الوصية التامة، مدّة من اللّيالي والأيام.

ولا يدَ عنده فوق يد الحسين كرَّم الله وجهه، ولا أمر فوق أمره عنده، وكان يصرف عليهم قبل جميع العسكر، ويركبون معه، وينزلون معه، وجلوس الحسين كرَّم الله وجهه إلى جانبه على كرسيه مدَّةً من الأيام.

ثم بعد مدَّةٍ من الزمان مرض معاوية رضي الله عنه مرضاً شديداً وأيقن بالموت، فلمَّا اشتدَّ به المرض أرسل إلى ولده يزيد، فحضر بين يديه، وقال له: ما بالك يا والدي، فقال له: اجلس، فجلس عنده، فقال له: يا يزيد، يا ولدي، اعلم أن لكل أجلٍ كتاباً، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، وكل نفس ذائقة الموت، واعلم يا بُنيَّ، أني أيقنت الموت، حان حين وفاتي، وحضرتني الوفاة، والأمر كلُّه ـ يا بنيَّ ـ لله.

فقال له يزيد ـ يا أبتِ ـ ومن يكون الخليفة من بعدك؟

فقال: يا يزيد، أنت الخليفة.

ولكن اسمع منِّي ما أقول، والله على ما أقول وكيل، أوصيك بالعدل في رعيَّتِك، وفي جميع الناس، لأن الملوك ـ يا بُنيَّ ـ موقوفون غداً في الحساب بين يد ـ كذا في المصدر ـ الله تعالى على جسرٍ بين الجنة والنار، فيدخل اللهُ الجنة من يشاء بحكمه وعدله، أو يوقعه في النار بجوره وظلمه.

وأنت ـ يا بنيَّ ـ اجعل الناس بين يديك على ثلاثة أقسام: الكبير منهم في مقام والدك، والصغير منهم بمنزلة ولدك، والمتوسط منهم بمنزلة أخيك، واعدل ـ يا بني ـ في رعيتك العدل الكامل، واتَّقِ الله في جميع الأمور، واخشَ الله تعالى ـ يا بنيَّ ـ يوم البعث والنشور، إذا بُعِثَ من في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور.

أوصيك ـ يا بنيَّ ـ بالحسين وأولاده وإخوته وجميع بني هاشم الوصيَّة التامة، ويا يزيد لا تفعل في الرعيَّة شيئاً حتى تشاور الحسين، ولا أمر عندك فوق أمره، ولا يد عندك فوق يده، لا تأكل حتى يأكل هو، ولا تشرب ـ يا بنيَّ ـ حتى يشرب هو وأهل بيته ولا تنفق على أحدٍ من جميع عسكرك وأهل بيتك حتى تنفق عليه، وعلى أهل بيته، ولا تكسُ أحداً حتى تكسوه هو وأهل بيته جميعاً، وأوصيك ـ يا بنيَّ ـ به وبأهله وعشيرته وبني هاشم جميعاً الوصيَّة التامة، لأن الخلافة ـ يا بني ـ ليست لنا، وإنَّما هي له ولأبيه وجده من قبله ولأهل بيته من بعده.

ولا تستخلف ـ يا يزيد ـ إلا مدة يسيرة، حتى يبلغ الحسين مبالغ الرجال، ويمضي إلى مكّة في أحسن حالٍ، ويكون هو الخليفة، أو من يشاء من أهل بيته، وترجع الخلافة إلى أهلها، لأننا ـ يا بنيَّ ـ ليس لنا خلافة، لأننا عبيدٌ له ولأبيه وجده صلى الله عليه وسلم.

ولا تنفق ـ يا ولدي ـ نفقةً إلا وللحسن ـ والأصح: للحسين ـ نصفها، واحذر ـ يا ولدي ـ من غضبه عليك، فإنه إن غضب يغضب عليك الله ورسوله، فإن جده رسول الله ﷺ هو الشفيع يومَ القيامة في الأولين والآخرين، وله الشفاعة العظمى في الإنس والجن أجمعين، وأبوه علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه هو الساقي على الحوض يوم القيامة، ولواء الحمد بيده، وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها هي سيدة النساء، وجدته خديجة الكبرى، وهم الدين، وهدانا الله بهم إلى الصراط المستبين، فاحذر ـ يا بُنيَّ ـ من غضبهم فإن ببغضهم يغضب الله عليك ورسوله، واستوصِ ـ يا بُنيَّ - الحسين وأهل بيته التوصية التامة، وارضه ولا تفرط فيه، ولا في أحدٍ من أهله ولا من قرابته، ولا من بني هاشم، كرامةً لأبيه وجده.

واعلم ـ يا بُنيَّ ـ إنك إن فرَّطتَ فيه، أو أغضبته هو أو أحداً من أهل بيته أو قرابته أو عشيرته أو من بني هاشم جميعاً، أكون بريئاً منك في الدنيا والآخرة، وتُحشر مع المجرمين في نار جهنم يوم القيامة.

فقال: يا أبتِ سمعاً وطاعة لك ولقولك في جميع ما تأمرني به.

قال الراوي: ثم إن معاوية رضي الله عنه بعد أن أوصى ابنه يزيد هذه الوصيَّة على الحسين وأهل بيته حضرته الوفاة، فقال: اشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبسط اليسار وقبض اليمين، فصعدت روحه إلى رب العالمين، ومات رحمة الله تعالى عليه، آمين.

فجهزه ولده يزيد وغسّله وكفّنه ودفنه، وأتت المُعّزون من كل جانب ومكان، فلم يزل يزيد يأخذ عزاء والده مدَّة، ثم إنه خلع ثياب الأحزان ولبس ثياب الفرح والسرور، وقعد على كرسي مملكته، وأدار كاسات الخمور، وأعطى وأنفق على جميع عشيرته، وأقام الحكم في

رعيَّته، ثم إنه صار يُنفق على عسكره، ويُعطي أعيان دولته، وأهدى إليه سائر الملوك الهدايا والنعام، وأتته سائر بلاد الشام والأروام وغيرها بالطاعة والإكرام، ورتب المراتب وأعطى العطايا وأولم الولائم، وأعطى جميع عساكره وجنده إلا الحسين وأهل بيته، فإنه لم يعطهم شيئاً، وجميع رواتب والده التي كان مُرتّبها لهم قطعها في مدَّة ولايته، وصار لم يعطهم ولم يخرج لهم من بيت المال شيئاً من يوم مات معاوية، وتمرد على الحسين، وقسا قلبه عليه، ولم ينظر إليه، وضاعت وصيَّة والده عليه، وصار لا يذكر الحسين ولا أحداً من أهل بيته ولا قرابته، على لسانه ولا في مجلسه، ومَنْ ذَكَرَه في مجلسه مقته وطرده من عنده.

فلما رأى الحسين ذلك من يزيد أتى إلى أخته سكيْنة ـ كذا في المصدر ـ ودموعه جارية، وقال لها: يا أختي امض بنا إلى مكّة والمدينة، وحكى لها جميع ما هو ناظره من ـ كذا في المصدر ـ وأحواله من قساوة قلبه وتغير حاله، وعدم عمله بوصيَّة أبيه عليهم.

فقالت: يا أخي نعم، لا مكان لنا عنده، ولك الرأي أن نستأذنه، ونمضي إلى حال سبيلنا، فقال لها: يا أختي، نعم الرأي.

ثم إن الحسين كرَّم الله وجهه نهض من وقته، وأتى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس، وكتب إلى يزيد مكتوباً، يقول فيه: اعلم يا يزيد أني عزمت على الرحيل إلى مكة والإقامة فيها، أو في المدينة، لأن فيها ديار أبي وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أذنت لي بالرحيل رحلت، وإن أذنت لي بالمقام أقمت، ثم إنه طواه، وأرسله إلى يزيد.

وصل إليه وقرأه وفهم معناه فكتب على ظهره يقول للحسين: إنك تستأذن وتقول أمضي إلى مكَّة أو المدينة وتطلب إذني، فأنا لا

آذن لك بمسير ولا بإقامة، فإن أقمت فبمرادك، وإن رحلت فبمرادك، وإلا أنا فلو عندي ملء الأرض ذهباً لم أعطك أنت ومَنْ معك درهماً واحداً، ولا في عندي إلا الهمُّ والغم.

فإني صرت ـ كذا ـ لا أجد لك ولا لأحدٍ من أهل بيتك محبةً ولا شفقةً، مثقال ذرة، وأرسلْ بأهلك وانزل بهم في جانب المدينة أو مكة، ولا عُدْتَ تسكن في بيتي، ولا أراك بعيني، بل ارحلْ إلى أيّ محلٍ أعجبك.

ثم طوى الكتاب وأرسله إلى الحسين، فلمَّا وصل إليه وقرأه وفهم معناه، أتى إلى أخته سكينة، واعلمها بما كتبه له يزيد في الكتاب، وقرأه عليها.

فقالت: يا أخي ارحلْ بنا من عنده، فالله تعالى أرحم بنا منه ومن غيره.

فقام الحسين من وقته وساعته وجهز حاله وأخذ أهله وأولاده وجميع عشيرته، وركبوا، وخرجوا من دمشق، وسار بهم الحسين قاصداً إلى مكّة أو المدينة، ولم يزل يسير بهم في البراري والقفار والسهول والأوعار إلى أن أتى المدينة، مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، دخل بهم إلى دار أبيه علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فلاقاه أخوه محمد بن الحنفية، لأنه لم يخرج منها، بل أقام فيها، وسلَّم عليه وعلى مَنْ معه، وحيَّاهم وأنزلهم عنده في أحسن منزل، وأكرمهم غاية الإكرام، ثم إنهم أتوا إلى قبر جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاروه، وتمتعوا بأنواره وأتى إليهم جميع أهل المدينة وسلّموا عليهم، وهنّوهم بالسلامة، وأكرموهم غاية الإكرام.

ثم إن الحسين كرَّم الله وجهه أقام ذلك النَّهار بأهله وعشيرته إلى أن دخل اللّيل، وكل منهم قد نام فجلس الحسين مع أخيه محمد،

وحكى له ما جرى من يزيد بن معاوية، عن وصيَّته عليهم، وأنه لم يعمل بشيء منها، وحكى له عن الكتاب وما جرى فيه.

فقال: يا أخي، ما عليك منه ولا من أمره، فأقم أنت وأصحابك وعشيرتك، أو انزل إلى مكَّة المشرَّفة في حرم الله تعالى، فإنها أقرب إلى رحمة الله من جميع البلاد، ولك فيها دارك وإخوانك وأصحابك وأحبابك، لأننا ما تربينا إلا هنا وفيها، وهي محل وطننا ومحل آبائنا وأجدادنا من قبلنا، وإن الخلافة ـ يا أخي ـ ليست ليزيد، ولا لآبائه، وإنما هي لنا ولآبائنا وأجدادنا من قبلنا، فإن شئنا أخذناها، وإن شئنا تركناها، وتركها خيرٌ لنا منها.

فقال له الحسين: نعم هذا الرأي السديد، ولا نقيم إن شاء الله تعالى إلا في مكّة.

ثم إنه كرَّم الله وجهه أقام بالمدينة مدَّةً يسيرة، وعزم على الرحيل، فودعه أخوه وأهل المدينة، ثم حمل جميع أمتعته، وسافر بأهله وعشيرته، ولم يزل سائراً بهم إلى أن أتوا مكّة المشرفة، وبلغ الخبر أهلها) إلى آخر ما أورده.

أقول:

هذا الكتاب مليء بالأكاذيب، وكأنه لم يكتب إلا لتبرئة معاوية، وتشويه النَّهضة الحسينية، وللإفتراء على الأئمةعليهم السلام، وأشك أنه لأبي إسحاق الاسفريني كما هو مكتوب في أوله، لأن الاسفريني إسمه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران توفي سنة ٤١٨، وهو من علماء العامة، وله آراء أصولية وغيرها، ولم تذكر كتب التراجم نسبة الكتاب إليه، مع أن إسلوب الكتاب بعيدٌ عن إسلوب عصره، وعلى كل فالخبر مُشتمل عل أمور تخالف البداهة التاريخية، حيث اشتمل على أن معاوية حال توليه الخلافة كان في المدينة وبقي فيها مدَّةً ثم

انتقل منها إلى الشام بصحبة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وانه كان يكرمهم غاية الإكرام واشتمل على أن سكينة أخت الإمام عليه السلام، وأن الإمام عليه السلام بعد وفاة معاوية كان في الشام ثم ارتحل إلى المدينة.

هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فصريح الخبر أن سبب خروج الإمام من الشام إلى المدينة ثم إلى مكّة بسبب قطع يزيد عنه ما كان يصله من المال في زمن معاوية.

ومن جهةٍ ثالثة فإسلوب الخبر مبني على عقيدة بعض العامة من كون بني هاشم أولى لهم ترك الخلافة وإن كانوا أفضل من غيرهم وأحق بالخلافة.

ويعجبني كلامٌ للشيخ علي بن عبد الله البحراني في كتابه: (قامعة أهل الباطل بدفع شبهات المجادل، في جواز البكاء والرثاء على سيدنا ومولانا الإمام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، حيث قال عن كتاب (نورالعين) ص٣٢:

(ونحن نقول: إن الاجتماع لقراءة مقتله الصحيح، وذكر مصيبته على ما رواه أهل كتب المقتل والتواريخ من الثقاة المعروفين بالعلم والتثبت في الرواية من العامة والخاصة، ولو بالمراسيل والأخبار الضعاف، إذا كانت مما يمكن وقوع مضمونها، لا ما يستحيل، لا بالكذب والأباطيل كالذي في «نورالعين»، فإن ذلك محرمٌ بالكتاب والسنة وإجماع الفرقة المحقة. . .) انتهى.

تم الفراغ من تحريره نهار الثلاثاء الواقع فيه ١٥ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ، الموافق لـ٢٨ أيار ٢٠٠٢ م، ويتلوه (الأيام المكية وقيام مسلم) إن شاء الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السيد محمد حسن ترحيني العاملي

عبّا - جبل عامل

الفهرس

مقدمة	٧
تقييم النهضة	٧ ـ ٩
أقسام الكتاب	٩
القسم الأول: مصادر النهضة	١١
القرن الأول	١٢
القرن الثاني	١٣
ابن نباتة	١٥
جابر الجعفي	١٦
عمار بن معاوية	١٦
عوانة بن الحكم	١٦
أبو مخنف	١٧
القرن الثالث	٢٣
هشام الكلبي	٢٥
الواقدي	٢٦
معمر بن المثنى	٢٦
نصر بن مزاحم	٢٧
ابن سلام الهروي	٢٨
المدائني	٢٨
ابن سعد	٢٩

ابن خياط ٣٠
النهاوندي ٣٠
ابن قتيبة ٣١
البلاذري ٣٢
الأشعري القمي ٣٢
ابن أبي الدنيا ٣٢
أبو حنيفة الدينوري ٣٣
ابن سعيد الثقفي ٣٣
اليعقوبي ٣٤
الغلاّبي ٣٤
القرن الرابع ٣٧
الطبري ٣٩
ابن أعثم ٤٠
البغوي ٤١
البلخي ٤١
الجلودي ٤٢
ابن عبد ربه ٤٢
الشيباني ٤٣
المسعودي ٤٣
ابن يوسف الكاتب ٤٦
أبو الفرج الأصفهاني ٤٦
الصدوق ٤٧
ابن تمّام ٤٨
أبو زيد الهمداني ٤٨

ابن الخطاب ٤٨
القرن الخامس ٥١
الشيخ المفيد ٥٣
ابن مسكوية ٥٤
أبو نعيم الأصفهاني ٥٥
القضاعي ٥٥
شيخ الطائفة ٥٦
ابن عبد البر ٥٧
نجم الدين الجعفري ٥٨
القرن السادس ٥٩
الفتال النيشابوري ٦١
الفضل الطبرسي ٦١
الخوارزمي ٦٣
ابن عساكر ٦٤
أبو منصور الطبرسي ٦٦
ابن شهرآشوب ٦٧
ابن بقيرة ٦٨
أبو الفرج الجوزي ٦٨
القرن السابع ٦٩
ابن الأثير ٧١
ابن نما ٧١
كمال الدين بن طلحة ٧٣
السبط ابن الجوزي ٧٤
ابن العديم ٧٤

الرسعني	٧٥
ابن طاووس	٧٥
الإربلي	٧٥
أبو العباس الطبري	٧٦
يوسف الشامي	٧٦
القرن الثامن	٧٨
ابن طباطبا	٨١
أبو الفداء	٨٢
النويري	٨٢
الذهبي	٨٢
ابن الوردي	٨٤
الصفدي	٨٤
اليافعي	٨٥
ابن كثير	٨٥
القرن التاسع	٨٧
الدميري	٨٩
ابن خلدون	٩٠
العسقلاني	٩١
ابن الصباغ المالكي	٩٢
القرن العاشر	٩٣
السيوطي	٩٥
البروسوي	٩٥
ابن طولون	٩٦
الديار بكري	٩٦

محمد بن أبي طالب ٩٦
خلاصة هذا القسم ١٠١
الروح الأموية في غالب الكتب ١٠١
الكتب الواصلة ١٠٢
فوائد ١٠٤
القسم الثاني ١٠٥
الخبر التاريخي ١٠٧
المصادر القديمة ١١١
الفصل الأول ١١٣
زمن وفاة معاوية ١١٥
من هو والي المدينة ١١٨
كتاب يزيد إلى الوليد ١٢٢
وصول الكتاب إلى الوليد ١٢٨
بعث الوليد إلى الإمام ١٣٣
محادثة الإمام مع ابن الزبير ١٣٧
دخول الإمام على الوليد ١٤١
أمر ابن الزبير ١٥٢
ملاقاة الإمام لمروان ١٥٩
زيارة الإمام لقبر جده ١٦٢
ما فعله الإمام حال الخروج ١٦٧
نصيحة ابن الحنفية ١٦٩
لقاء الإمام مع الأطرف ١٧٤
لقاء الإمام مع أم سلمة ١٨٠
ندبة نساء بني عبد المطلب ١٨٧

وقت خروج الإمام من المدينة ١٩٠
كيفية الخروج ١٩٢
عزل الوليد ١٩٣
فوائد هذا الفصل ١٩٥
أسانيد أخبار أبي مخنف ١٩٥
ما يستفاد من أخبار الفصل ١٩٦
تعليل بقاء ابن الحنفية في المدينة ١٩٦
بعض مخازي معاوية ٢٠١
معاهدة صلح الإمام الحسن ٢٠١
فعل معاوية بعد الصلح ٢٠٢
بداية أخذ البيعة ليزيد ٢٠٧
طلب المغيرة للبيعة ٢١٧
طلب تأخير البيعة من زياد ٢١٩
كتاب معاوية إلى مروان باستعلام حال المدينة ٢٢١
وفود الأمصار ٢٢٢
كتاب معاوية إلى مروان أيضاً بأخذ البيعة ٢٢٩
ذهاب معاوية إلى المدينة ٢٣٣
ذهاب معاوية إلى مكة ٢٣٧
مرض معاوية ٢٤٦
وصية معاوية لإبنه يزيد ٢٤٦
ما فعله يزيد بعد وفاة معاوية ٢٦١
نوادر الأخبار ٢٧١
ارنيب بنت إسحاق ٣٠٠
أخبار لا أساس لها ٣١٣